

ملف العدد :

الإمام أمير المؤمنين عليه السلام

رسالة الإمام

إسلامية ثقافية شاملة

٢٣

السنة السادسة - العدد الثالث والعشرون - رجب ١٤٣١ هـ - يونيو ٢٠١٠ م

اقرأ خليفة

- ♦ على عتبات الإمام ... في حوار مع العلامة آل إسماعيل
- ♦ حب علي
- ♦ انتقال فضائل الإمام
- ♦ ابن تيمية والآيات النازلة في شأن الإمام علي
- ♦ الأبعاد الاجتماعية في حديث الكسأء
- ♦ العقل وال التربية مع العلم

Resalat Alqalam



رسالة القلم

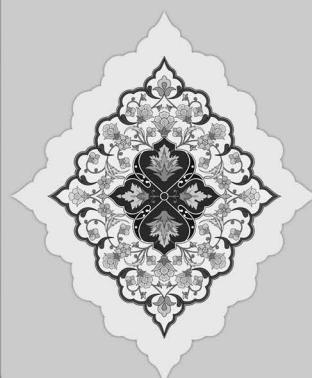
إسلامية ثقافية شاملة



فصلية تصدر عن
طلاب البحرين في الحوزة العلمية
بمدينة قم المقدسة

برعاية
مكتب البيان للمراجعات الدينية

- المشرف العام والمدير المسؤول:
عبد الله علي الدقاد
- رئيس التحرير:
عزيز حسن سلمان
- مدير التحرير:
عبد الرؤوف حسن الريبع
- رئيس هيئة التحرير:
خازبي عبد الحسن إبراهيم
- هيئة التحرير:
حسين علي أبو رويس
حسين فؤاد المرزوقي
محمد باقر خليل الشيخ
محمد علي خاتم



اقرأ في هذا العدد

٢٣



كلمة العدد

٣

= رئيس التحرير

إليك نعتذر

حوار العدد

٤

على عتبات الأمير عليه السلام
حوار مع سماحة الأستاذ العلامة الشيخ نزار آل إسماعيل (حفظه الله)

ملف العدد: الإمام أمير المؤمنين عليه السلام

٣٧

= السيد مجید السيد حمزة العلوی

حب على عليه السلام

٤٧

= غازی عبد الحسن السماسک

ابن تیمیة والآیات النازلة فی شأن الإمام على عليه السلام

٧٣

= عزيز حسن الخضران

انتحال فضائل الإمام عليه السلام

٩٩

= جعفر علي المالكي

الحكومة الإسلامية قرائياً .. حكومة الإمام على عليه السلام نموذجاً

١١٢

= قصي الشیخ علی العربی

أميرنا عليه السلام

بحوث ومقالات أخرى

١٣٥

= عبد الله عبد النبي ضيف

آية التطهير

١٤٦

= حسن هلال الزاكي

الأبعاد الاجتماعية في حديث الكسae

١٥٩

= حسين عبدالله الأعرج

العقل والتربيـة مع العلم

١٨١

= علي فاضل الصددي

المسوخ وأحكامها

إليكم نحتظر

بسم الله الرحمن الرحيم، اللهم صل على محمد وآل محمد.
عظيم مقامه حتى فاق الملائكة والنبيين، وسمت فضائله حتى
شابه فيها سيد المرسلين، واقترب من الحق تعالى حتى جعله القاسم
بين الجنة والنار فمفتيحهما بيده، ومن يكون مقامه هكذا فهو أمن
مؤمن، ضامن لرضا الله تعالى، لا يخاف شيئاً ولا يخشى، فما بعد رضا
الله رضا، ولا بعد كرامته كرامة، ولكنه عليه السلام قد ملا ليه ونهاهه بالعبادة
والخضوع، والصلوة والخشوع، وامتلأت نفسه من هيبة الله وعظمته،
وعلم كيانه خوف المعاد، ما جعله ساهرا الليل، قائمًا في محاباه، قابضاً
على حياته، يتململ تململ السليم، ويبكي بكاء الحزين وهو يقول: «يا
دنيا، يا دنيا، إليك عندي، أبي تعرضت، أم إلى تشنوقت: لا حان حيننا،
هيئات غري غيري، لا حاجة لي فيك، قد طلقتك ثلاثة لا رجعة فيها،
فعيشك قصير، وخطرك يسيء، وأملوك حقير، آه من قلة الزاد، وطول
الطريق، وبعد السفر، وعظيم المورد».

هذا هو حال إمام المتدين وأمير المؤمنين وسيد الوصيين، فكيف يجب
أن يكون حال الغارقين في الذنب والمعاصي، ولم يهيا زادًا للسفر وبعده،
والطريق وطوله.

إن من يحسب نفسه في عداد الموالين والمحبين والتشيعين لهذا
الإمام العظيم، ثم يرى الفارق الكبير بينه وبين إمامه وقدوته يحق له أن
يموت حياء منه عليه السلام، فإليك يا سيدني ومولاي نتوسل ونعتذر من جرأتنا في
الانتساب إليك، فاقبلنا أتباعاً وموالين وشيعة، فأنت باب الله الذي منه
يرد المؤمنون، والسلام عليك يوم ولدت في بيت الله، ويوم جاهدت في
سبيله، ويوم استشهدت في محراب بيته، ويوم تُبعث حيًا.

على عتبات الأمير عليه السلام

في حوار مع سماحة الأستاذ العلامة
الشيخ نزار آل إسماعيل حَفَظَ اللَّهُ عَنْهُ

حاوره: علي أحمد الكربابادي

تعريف مختصر بالشخصية المحاورة

سماحة الأستاذ الشيخ نزار آل إسماعيل حَفَظَ اللَّهُ عَنْهُ هو أحد أساتذة الحوزة العلمية في مدينة قم المقدسة، من اشتغل بالتحصيل في هذه المدينة المباركة من بدايات أيام شبابه، وبasher التدريس فيها مبتدئاً بدورس المقدمات ومروراً بمرحلة السطوح، ويشتغل حالياً بإعطاء الدروس في بحث الخارج فقها وأصولاً.

وأما أساتذته في بحث الخارج فهم:

١. سماحة آية الله العظمى الشيخ الوحداني الخراساني حَفَظَ اللَّهُ عَنْهُ.
٢. سماحة آية الله العظمى الشيخ ناصر مكارم الشيرازي حَفَظَ اللَّهُ عَنْهُ.
٣. سماحة آية الله العظمى السيد محمود الهاشمي الشاهرودي حَفَظَ اللَّهُ عَنْهُ.

بالإضافة إلى ما تقدم فإنه حَفَظَ اللَّهُ عَنْهُ يشغل منصب المدير في مدرسة الإمام المهدي حَفَظَ اللَّهُ عَنْهُ للطلبة الحجازيين؛ والتي ينتسب إليها جمع من طلبة العلوم الدينية من مختلف المجالس العربية، إضافة إلى مشاركته في المحافل العلمية، وكونه صاحب قلم له بحوثه وتحقيقاته.

وإليكم نص الحوار:

❖ من هو علي بن أبي طالب عليه السلام وما هو موقعه في الإسلام؟

□ بسم الله الرحمن الرحيم، الحمد لله رب العالمين والصلوة والسلام على أفضل خلقه محمد وآلـه الطاهرين. لا أدرى من أي باب أدخل إلى هذه الشخصية.. بطبيعة الحال يبدأ الموقف مهيبا وأمام إنسان عاش للإنسانية جماء، فلو سألت العرفاء، أو سألت الفقهاء، أو سألت المتكلمين، أو سألت الحكماء، أو سألت كل البشرية لقالوا كلهم كلمة واحدة وهي «علي»، حتى قالها: (الولا على هلك عمر)، وقال: (لا أبقاني الله لمعضلة ليس لها أبو الحسن).. إنه المنار وإنـه القدوة، ولا غرابة فهو نفس الرسول صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ.

أيها السائل عن قصتنا لو ترانا لم تفرق بيننا
روحـه روحـي وروحـي روحـه من رأـي روحـين حلـت بـدـنـا؟!

فـلو أـردـنا الدـخـول مـن بـاب: (يا عـلـي... وـلا عـرـفـك إـلـا اللـه وـأـنـا)^(١) لـم نـسـطـع أـن نـتـحـدـث عـن أي مـفـرـدـاتـها، وـمـن الصـعـب أـن نـتـمـثـل لـو صـورـة وـاحـدـة مـن صـورـ حـيـاتـه، حتـى أـنـ الـبعـض قد اـعـتـقـادـاتـ اـنـحرـافـيـةـ لـمـ ظـهـرـ مـنـ أـفـعـالـهـ ماـ يـبـهـرـ الـعـقـولـ، كـماـ ظـهـرـ لـعـيـسـيـ مـنـ إـحـيـاءـ الـأـمـوـاتـ فـرـأـواـ العـجـزـ عـنـ ذـلـكـ فـيـ القـوـةـ الـبـشـرـيـةـ، وـلـكـنـ لـمـ يـعـلـمـ هـؤـلـاءـ بـأـنـ جـاءـ عـنـ النـبـيـ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «إـنـ اللـهـ عـبـادـاـ أـطـاعـواـ اللـهـ فـأـطـاعـهـمـ يـقـولـونـ لـلـشـيـءـ بـأـمـرـهـ كـنـ فـيـكـونـ»^(٢)، يـقـولـ ابنـ أـبـيـ الـحـدـيدـ:

تـقـبـلـتـ أـفـعـالـ الـرـبـوبـيـةـ الـتـيـ عـذـرـتـ بـهـاـ مـنـ شـكـ أـنـكـ مـرـبـوبـ وقدـ قـيـلـ فـيـ عـيـسـيـ نـظـيرـكـمـلـهـ فـخـسـرـ لـمـ عـادـيـ عـلـاـكـ وـتـتـبـيـبـ وـالـشـأنـ الـبـاطـنـيـ الـذـيـ هـوـ أـعـلـىـ مـنـ الشـأنـ الـظـاهـرـيـ لـاـ نـسـطـعـ الـوـصـولـ إـلـيـهـ، وـهـذـاـ قـدـ تـخـتـلـطـ الصـفـاتـ فـيـكـونـ فـيـ حـالـةـ إـفـرـاطـ كـمـاـ فـعـلـ الـغـلـةـ، أـوـ فـيـ حـالـةـ تـفـريـطـ كـمـاـ فـعـلـ الـطـرـفـ الـمـقـابـلـ، فـعـلـيـهـ نـتـرـكـ هـذـاـ الـأـمـرـ وـهـذـهـ الـمـعـرـفـةـ وـبـهـذـاـ الـمـسـتـوـىـ إـلـىـ

من اختارهم: ﴿وَجَعَلْنَاهُمْ أَئِمَّةً يَهْدُونَ بِأَمْرِنَا﴾^(٣).

إلا أننا لا نبتغي أن نقف عند ذلك، لأننا نريد أن نستذكر عليا في الصفات، ونريد أن نستذكر عليا ممارسة.. إذن لابد وأن ندخل على هذه الشخصية من الموقف العملي، فهم الذين أرادوا أن نتمثلهم في عمل وفي قدوة من باب: «ألا وإنكم لا تقدرون على ذلك ولكن أعينوني بورع واجتهاد»^(٤) إشارة إلى الجانب العملي في شخصيته حتى نزرع في أنفسنا شجرة هوا ثم نزرعها في الآخرين: «إِنَّ اللَّهَ لَا يُغَيِّرُ مَا بِقَوْمٍ حَتَّى يُغَيِّرُوا مَا بِأَنفُسِهِمْ»^(٥).. فهذا الجانب يؤهلنا إلى أن نشير إلى شخصيته، فنقول: إن هناك مقامات ثلاثة للأنبياء والأئمة:

الأول: مقام البشرية، وبه يتعاملون مع الناس.

الثاني: مقام الرسالة، وبه يرشدون الخلق إلى توحيد الله وعبادته.

الثالث: مقام الولاية وبه يدعون الخاصة إلى السلوك.

فمن الخطأ أن نذكر اسم علي وفضائله للتبرك فقط، بل لابد وأن نتعدي في التحديد إلى بعد الآخر في هذه الشخصية وهو بعد العملي، فإذا أردنا أن نعرفه من هذا الجانب فنقول: الشخصية التي نتحدث عنها شخصية تناسب مقامها وما لها من الصفات العظيمة لأجل الإسلام، لم يكن يصدر من أمير المؤمنين عَلَيْهِ الْكَبَّةُ قول أو فعل إلا لنصرة الدعوة، فهو الإسلام المتجسد، فصبر ولمدة خمس وعشرين سنة في سبيل الحفاظ على الكيان الإسلامي ووحدة الأمة.. فهو رئيس دولة وحاكم عظيم كانت سلطنته مبسوطة على بلاد واسعة، إلا أنه لم يجلس بعيدا عن ضوضاء الحياة وقضايا الناس، وإنما قاد المجتمع ومارس حياته كأحدهم، وحمل همومهم.. شخصية مظلومة، ومظلومة هذه الشخصية أنه كان يعيش مع أولئك الذين علت صرخات صلاتهم وتلاوتهم للقرآن على صداه^(٦)، والسؤال هو: أين كان صداه وأين كانت معارفه؟ أليس كان هو القائل: «سلوني قبل أن تفقدوني»^(٧).

❖ وقف الأدباء والكتاب أمام أمير المؤمنين عَلَيْهِ الْكَلَمُ وَقَفَةُ إِجْلَالٍ، فَهُلْ

يُسْتَوْقِدُكُمْ شَيْءٌ مِّنْ كَلْمَاتِهِمْ وَأَرَائِهِمْ فِي الْمَقَامِ؟

□ إذا أرادت الإنسانية أن تتمثل البطولات فهذا هو على عَلَيْهِ الْكَلَمُ، وإذا أرادت أن تتمثل الصلاح والسلوك فهذا هو على عَلَيْهِ الْكَلَمُ، قد تغنى باسمه الملايين من البشر من أول العهد إلى يومنا وإلى أن يبعث الله من في الأرض.. هي الكلمة التي ترتكز على الأرض فتناوها السماء عظمة وسموا وعز، قال فيه الأدباء الكثير لكنهم لم يوفوا أبداً، إلا أنها تتمثل بكلام بولس سالمة في تصدير غديريته: «حقاً إن البيان ليسف، وإن شعري لحصاة في ساحلها يا أمير الكلام، ولكنها حصاة مخضوبية بدم الحسين الفالي»، يقول بولس سالمة:

يا مليك الحياة أنزل علَيَا عزماً منك تبعث الصبر حيَا
جود كفيك إن تشاء يملأ الشمس نماءً ويفرش الجدب فيَا
يوقظ الوردة فالربع على التل ضحوك الألوان طلق المُحيَا

ويقول الشيخ علي التاروقي في مدحه:

سعا مهفة الهفوف من هجر أنغمة الصوت ذا أم رنة الوتر
وذا الذي عطر الآفاق فائحة تردید نفسك ذا أم نفحة العطر

إلى أن يقول:

وذا الصقيل رقيق الحد أنفك أم سيف كسيف على سيد البشر
مروي البوادر من دم العساكر حزاز الحناجر مولى الفتح والظفر
وهو العبوس إذا اصطاد النفوس وحصاد الرؤوس مزيل البؤس والخذر

وهو الرؤوف ووهاب الألوف ورغـ سـامـ الـأـنـوـفـ لـأـهـلـ الـكـفـرـ وـالـغـيـرـ
بـحـرـ الـفـضـائـلـ يـنـبـوـعـ الـفـوـاضـلـ حـ لـالـمـشـاـكـلـ أـوـجـ الـجـدـ مـنـ مـضـ

وهذه القصيدة الغراء كثيرة الأبيات وهي مستقاة من ينبوع الصفات التي
فلا ينفك عن إلهاه، فما يذكر في هذه القصيدة من صفات لا ينفك عن إلهة
أمير المؤمنين عَلَيْهِ الْكَرَمُورُ، والشعراء الذين تبركوا باسمه يصعب
إحصاؤهم إلا أنا نتبرك بذكر اثنين منهم:

الأول: أبو الحسن حماد بن عبيد الله بن حماد العدوي العبدى المتوفى أواخر
قرن الرابع، يقول:

وأريد أسائل مستفيدة قلت سل واسمع جواباً قاهراً لم يقهر
قال الإمامة كيف صحت عندكم من دون زيد والأنام لجعفر
قلت النصوص على الأئمة جاءنا حتماً من الله العلي الأكابر

إلى أن يقول:

قلت الوصي على قياسك لم ينل حظ الخلافة بل غدت في حبتر
إذ كان لم يدع الأنام بسيفه قطعاً فيالك فريدة من مفتر

وهذه القصيدة مفعمة بالكناية والتعريض في أسلوب البرهان المجاد.

الثاني: الشيخ محمد السماوي:

يا	لؤلؤ	عقد	قد	أغنى	رساحب	ربيع	قد	روض
سودت	صحائف	أعمالي	وبدح	أبي	حسن	تببيض		
أفاليس	الله	له	أعطى	الحكم	الأخرى	وله	فوض	
وحباء	الأمر	وولاه	فيمن	يهواه	ومن	يبعض		

سيخاً من عاده غدا بقوى خصام لم يدحض
فأقام الهادي في (خم) والجمع هنالك لم ينفض

وكوثرية السيد الهندي «علم من فوقه نار»، وكل من هؤلاء الشعراء أدى
بدلوه جزاهم الله خير الجزاء، وأما كلمات العلماء والأدباء فقد فاضت وفاضت
حتى أنه أخفى محبوه فضائله خوفا وأخفى أعداؤه فضائله حقدا وخرج من بين
ذينك ما مليء الخافقين.

يقول ابن أبي الحديد: "فأما فضائله عليه السلام فإنها قد بلغت من العظم
والجلال والانتشار والاشتهر مبلغا يسمج معه التعرض لذكرها والتصدي
لتفصيلها.." ^(٨).

وقال أيضا: "وكانت العرب تفتخر بوقوفها في الحرب في مقابلته فأما قتلام
فافتخار رهطهم بأنه عليه السلام قتلهم أظهر وأكثر، قالت أخت عمرو بن عبد ود
تراثه:

لو كان قاتل عمرو غير قاتله بكنته أبدا ما دمت في الأبد
لكن قاتله من لا نظير له وكان يدعى أبوه بيضة البلد"

يقول عبد الرحمن الشرقاوي في مقدمة كتابه «علي إمام المتدين»: "فأرجو أن
أكون قد وفقت في رسم صورة مضيئة للإسلام ولقدرته على مواجهة مشكلات العصر،
من خلال تصويري للإمام علي بطلا خارقا ومحكرا وحاكيما وعانيا وزاهدا وإنسانا
عظيما.. وبما لهذا البطل المثالي الذي كان يواجه بنبلة الفروسية وبعظمة الزهد
وبسمو الفكر كل ما طالعته به الحياة الجديدة من أطماء وجود ودسائس وحيل
وأباطيل".

وقد نسب إلى الإمام الشافعي أو ابن حنبل أنه حين سُئل عن فضل الإمام

علي عليه السلام قال: "ما أقول في رجل أخفي أعداؤه فضائله بفضا وحسدا، وأخفي محبوه فضائله خوفا ورهبا، وهو بين ذين وذين قد ملأت فضائله الخافقين".

وروى العلامة الكنجي في الباب الحادي والثلاثين بإسناده عن ابن عباس قال: قال رسول الله عليه السلام: «ما أنزل الله تعالى آية فيها: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا﴾ إلا وعلى رأسها وأميرها».

وصفه ضرار بن خمرة: "وكان والله بعيد المدى شديد القوى يقول فصلا ويحكم عدلا يتفجر العلم من جوانبه وتنطق الحكمة من نواحيه ويستوحش من الدنيا وزهرتها ويستأنس بالليل ووحشته.." .

❖ ما هي العلاقة بين أمير المؤمنين عليه السلام وبين الرسول عليه السلام من جهة، وبينه عليه السلام وبينبني هاشم من جهة أخرى؟

□ علاقة أمير المؤمنين عليه السلام برسول الله عليه السلام علاقة واضحة وضوح الشمس في رائعة النهار، وأفضل من بين هذه العلاقة هو القرآن الكريم في آية المباهلة حيث يقول: ﴿وَأَنفُسَنَا وَأَنفُسَكُم﴾^(٩)، فالنفس واحدة، والكيان كيان واحد، والأهداف أهداف واحدة، ولا غرابة فإنه قد نشأ في حجر رسول الله عليه السلام منذ نعومة أظفاره، وتغذى من علمه وعمله.. أسلم على يديه وهو فتى، قال ابن الصباغ المالكي: "فلم يزل علي مع رسول الله عليه السلام حتى بعث الله عزوجل محمدنا نبيا، فاتبعه عليه السلام وأمن به وصدقه وكان إذ ذاك في السنة الثالثة عشر من عمره ولم يبلغ الحلم.. وأنه أول من أسلم وأمن برسول الله عليه السلام من الذكور"^(١٠)، ولا زام عليه السلام رسول الله عليه السلام حتى الممات، وقال: «وقد علمتم موضعه من رسول الله صلى الله عليه وآله بالقراة القرية والنزلة الخصيصة، وضعني في حجره وأنا ولد، يضماني إلى صدره...»^(١١)، وقال: «ولقد كنت أتبعه اتباع الفضيل أثر أمه...»^(١٢).

في الحقيقة يطول الكلام في بيان هذه العلاقة حيث جاءت لإعداده في تحمل

أعباء الرسالة، فهذا علي عليه السلام مع الرسول عليهما السلام من أول الدعوة، وهذا علي عليه السلام مع الرسول عليهما السلام في معاركه.. بدر وحنين والخندق وخبير وأحد وتبوك و.. فهو صاحب راية رسول الله عليهما السلام حيث بقيت مرفقة على رغم التخاذل من قبل البعض وفرارهم من الموقف.. إلا أن عليا عليه السلام بقي الدرع الواقي لرسول الله عليهما السلام وللمسلمين، فحمل ذلك الوسام الأكبر من قبل الرسول عليهما السلام: «برز الإسلام كله إلى الشرك كله»، وهكذا اتسعت العلقة لتشمل الأقرب إذ لم يكن أمير المؤمنين ليحصر نفسه بالدعوة وإنما جاء ليشارك عشيرته، ذلك عندما أمره الرسول عليهما السلام بالدعوة فقال عليه السلام: «دعاني رسول الله فقال: يا علي إن الله أمرني أن أنذر عشيرتي الأقربين فضقت ذرعاً وعلمت أنى متى أبادرهم بهذا الأمر أرى منهم ما أكره..» فاستجاب أمير المؤمنين لذلك فدعا عشيرته بعدما صنع صاعاً من طعام وجعل عليه رجل شاة وسقاهم حتى رروا.

هذه العلقة أثرت أثراً في استجابة البعض للدعوة، فحمل أمير المؤمنين عليه السلام شعار الظل لبني هاشم، فرأوه القدوة الحسنة الصالحة لنصرة رسول الله عليهما السلام. علاوة على ذلك تكون الصلة القريبة لبني هاشم بالولادة، فإنه هاشمي ولد من هاشميين، هذا النوع من التكوين يخلق في النفوس نظرة أخرى للشخص في الوسط الاجتماعي بالارتباط والتأثير.

❖ شخصية الإمام علي عليه السلام شخصية فريدة من نوعها، لها عدة من المميزات، كالبطولة والشجاعة، والعلم والأدب، وغيرها.. فهلا تفضلتم ببيان شيء من هذه الجوانب، وذكر بعض ما استوقفكم من هذه الصفات؟

□ صفات كثيرة وعظيمة تحلى بها أمير المؤمنين عليه السلام، كما أنها نبتغي من ذكرها الثواب والجزاء الحسن من قبل الله حتى تشملنا كلمتهم: «أحيوا أمنا، رحم الله من أحيَا أمنا»، نريد أيضاً أن نقدم الرؤية الواقعية لهذه الشخصية بعيداً عن

الإشباع في الكلمات غير المفهومة.. علاوة على أنها شخصية معنوية وعرفانية؛ لأن علياً عليه السلام مرتبط بالفيض الإلهي وهذه جنبة لا يعلمها إلا الله عزوجل، ولا يمكن أن نتحدث عنها لأننا عاجزون جداً عن الوصول إلى أسرارها، فلذلك تستعصي عليها الكلمات:

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ
وَالصَّفَاتُ الْأَحَدِيَّةُ نُورُ الْمُرْسَلِينَ
الْأَسْمَاءُ الْمُعْلَمَةُ الْذَّاتُ الْمُنْزَلَةُ الْفَيْنَةُ بَاءُ الْكِتَبِ

إلا أن اليراع لا يتوقف في بيان الجنبة العملية لتلك الصفات، فمن صفاته:

١- المحافظة على الشريعة: ففي كل الأحداث من أول الدعوة وبزوج نور الإسلام، إلى ما بعد وفاة الرسول عليهما السلام، وإلى الظروف التي عاشتها حكومته، لم ينس أمير المؤمنين الرسالة والحافظ عليها، فدفع الحق عن نفسه لأجلها فوق ناصحاً ومشاركاً هموم الأمة.. حتى أنه عندما جاءته الخلافة بعد مقتل عثمان كان يقول: «وَاللَّهِ مَا تَقْدَمْتُ عَلَيْهَا -الخلافة- إِلَّا خَوْفًا مِّنْ أَنْ يَنْزَوَ عَلَى الْأَمْرِ تِيسَّرْ مِنْ بِنِي أُمَّةٍ فَلَيَعْبُدُوا بِكَتَابَ اللَّهِ عَزَّ وَجَلَّ»^(١٣)، فالمهم هو الإسلام والمسلمون والمستضعفون: «لَوْلَا حُضُورُ الْحَاضِرِ وَقِيامُ الْحَجَّةِ بِوُجُودِ النَّاصِرِ، وَمَا أَخْذَ اللَّهُ عَلَى الْعُلَمَاءِ أَنْ لَا يَقَارِبُوا عَلَى كَظْلَةِ ظَالِمٍ وَلَا سَغْبِ مَظْلُومٍ لَأُلْقِيَتْ حَبْلَهَا عَلَى غَارِبِهَا».. فعليه عليه السلام قد كرس كل عناوينه لأجل الله عزوجل، وأجل الإسلام، وأجل الأمة والدفاع عن كل معاني الخير والصلاح.

٢- الشجاعة: أما شجاعته فهي أوسع من أن يحيص بها قائل.. ويكتفى أن نذكر حادثة ليلة البيت عندما قرروا إرسال رجل من كل قبيلة ليقتل النبي عليهما السلام، واتفقوا على ليلة تنفيذ الخطط، فأتى جبرئيل إلى النبي عليهما السلام وأخبره بذلك وأمره أن لا يبيت في فراشه وأنذن له بالهجرة، فعند ذلك أخبر علياً عليه السلام بأمرهم وأمره

أن ينام في موضعه.. استقبل علي عليه السلام أمر رسول الله عليه وآله بنفس صابر مطمئنة حينما قال للرسول عليه وآله: «أو تسلم يا رسول الله؟» فقال: نعم.. بذلك وعدني ربي» فتبسم وأهوى إلى الأرض ساجدا.. وعندما جاء الليل اتشح علي عليه السلام ببرد رسول الله عليه وآله واضطجع على فراشه، وجاء رجال قريش والشر يلاً نفوسهم فرأوا رجلاً نائماً، فأيقنوا بوجود النبي عليه وآله واطمأنوا قلوبهم، ولما حان الوقت هجموا على الدار وكان في مقدمتهم خالد بن الوليد، فوثب علي عليه السلام من فراشه فأخذ منه السيف وشد عليهم ففروا من أمامه، وبذلك كتب الله السلام لنبيه. هنا تتجلى العظمة وتتجلى كل معاني الشجاعة والتضحية، وقد باهى الله بهذه التضحية ملائكته فنزلت الآية: ﴿وَمِنَ النَّاسِ مَنْ يَسْرِي نَفْسَهُ أَبْتَغَاءَ مَرْضَاتٍ اللَّهُ وَاللَّهُ رَوُوفٌ بِالْعِبَادِ﴾^(١٤).

٣- العلم: ليس هنا توقف في الينبوع، تحار العقول في التفتيش عن الاستحالة، إلا أنها تخضع صاغرة أمامه. لقد ثبت أنه لابد للرسول من خليفة يجمع شمل الأمة ويرعاها ويحفظ الدين وامتداده، لئلا يذهب الناس عن الحق بعد تلك المتابع والمصاعب التي لاقاها الرسول عليه وآله، ولا يمكن أن يقوم إنسان مقام الرسول إلا بأن يتحلى بالصفات التي تؤهله لهذا المنصب الخطير من علم وعدل وشجاعة، ولا بد أن يكون علمه شمولياً للمعارف والأحكام والأديان علمًا حضوريًا، لأن كل صفة من تلك الصفات لابد أن تتواجد لديه بصورة أتم، ولا غرابة أن يكون لأمير المؤمنين عليه وآله ذلك، فهذا أصف بن برخيا كان عنده حرف واحد وقد أحضر به عرش بلقيس بأسرع من طرفة عين، وقد أعربت الأحاديث بأن لدى الأئمة عليه وآله اثنين وسبعين حرفاً، قد لا ندرك هذه الأسرار إلا أنه لا يهمنا ذلك بقدر ما يهمنا -من ناحية الاستطلاع- إثبات أن أمير المؤمنين رزق من العلم ما لا يحسى عدداً ولا يتوقف أبداً.. والناس عيال عليه، والقائل هو

الرسول ﷺ: «أقضاكم علي»، وروى الترمذى في صحيحه أن رسول الله ﷺ قال: «أنا مدينة العلم وعلى بابها»، وعلم علي عليه السلام كعلم النبي ﷺ إلا أن علم علي بواسطة النبي، وعلم النبي بواسطة جبرائيل الأمين.. كيف وقد علمه رسول الله ألف باب من العلم ينفتح له من كل باب ألف باب، وهو القائل: «سلوني قبل أن تفقدوني» بهذا الاطمئنان والتحدي، وفي مسند أحمد أنه لم يكن أحد من أصحاب النبي ﷺ يقول: (سلوني إلا علي بن أبي طالب)، وهناك المواقف الكثيرة التي يستشف منها ذاك المعنى: ولدت امرأة لستة أشهر فأمر عمر برجمها فقال له علي عليه السلام: «إن أقل الحمل ستة أشهر بقوله تعالى: ﴿وَفِصَالَهُ فِي عَامَيْنِ﴾^(١٥)، قوله تعالى: ﴿وَحَمْلُهُ وَفِصَالُهُ ثَلَاثُونَ شَهْرًا﴾^(١٦)، كذلك حكمه في ذي الرأسين بإيقاظ أحدهما.. ومسائل القضاء كثيرة، فالصحابة كانت تشتبه عليهم الأمور والأحكام وكانوا يراجعونه في ذلك، ولم ينقل أنه عليه السلام راجع أحدا منهم في شيء.. نقل أن أبا بكر لقيه بعض اليهود فقال: أين الله؟ فقال: على العرش؟ فقال اليهودي: ..خلت الأرض منه حيث اختص ببعض الأمكانه فانصرف اليهودي مستهزءا بالإسلام فلقيه علي عليه السلام فقال له: «إن الله أين الأين فلا أين له»، فأسلم على يده. وكذلك قضى عمر على امرأة حامل فقال له أمير المؤمنين عليه السلام: «إن كان لك عليها سبيل فليس لك على ما في بطئها سبيل»، فقال: لولا علي هلك عمر. وهكذا كان علمه وقضاءه، يقول سبحانه: ﴿أَفَمَن يَهْدِي إِلَى الْحَقِّ أَحَقُّ أَن يُتَّبَعَ أَمْنَ لَا يَهِدِّي إِلَّا أَن يُهَدَّى فَمَا لَكُمْ كَيْفَ تَحْكُمُونَ﴾^(١٧).

٤- الأدب: فحدث ولا حرج، فهذا النهج الخالد إنما خلد بما أنه لأمير المؤمنين عليه السلام، وهذه الكثرة في الشروح لم تأت عليه إلا لأنه لإمام المتكلمين، يقول عنه ابن أبي الحديد: "أما الفصاحة فهو عليه السلام إمام الفصحاء وسيد البلفاء، وفي كلامه قيل: دون كلام الخالق وفوق كلام المخلوقين، ومنه تعلم الناس الخطابة

والكتابة^(١٨)، وقال عبد الحميد بن محبوي (م ١٣٢): "حفظت سبعين خطبة من خطب الأصلع ففاضت ثم فاضت.."، وقال ابن نباتة: "حفظت من الخطابة كثرا لا يزيد إلا الإنفاق إلا سعة وكثرة.." .

وكلماته المأثورة تعطينا صورة من تلك الدائرة، يقول: «إذا أقبلت الدنيا على قوم أعارتهم محسن غيرهم، وإذا أدررت عنهم سلبيتهم محسن أنفسهم»، ويقول: «خالطوا الناس خالطة إن متم معها بكوا عليكم، وإن عشتم حنوا إليكم»، وهناك جوانب في شخصيته يجري القلم عليها ولا يقف إلا أنها قاصرة عن إحاطتها في مثل هذه الدقائق.

❖ ما هو دور نهج البلاغة في النص الشرعي؟ وما هي المميزات لهذا الكتاب؟ ومتى بُرِز وأخذ الناس يتداولونه في المجتمع الإسلامي؟ وهل هناك أمثلة عملية للاستفادة من كلمات أمير المؤمنين عَلَيْهِ الْكَلَمُ في عملية الاستنباط الفقهي؟

□ «نهج البلاغة» هذا العنوان المرهف.. عظمة هذا الكتاب جاءت بعد القرآن الكريم، جاء هذا الكتاب ليقول كلمته في التعاليم الإسلامية-الاجتماعية- الأخلاقية-التاريخية-الحكومية، وهكذا كل ما يلزم الإنسان الرسالي في ترتيب حياته الفردية والاجتماعية، يقول السيد محمد محبوي الدين عبد الحميد: "وبعد فهذا كتاب «نهج البلاغة» وهو ما اختاره الشرييف الرضي أبو الحسن محمد بن الحسين الموسوي من كلام أمير المؤمنين علي بن أبي طالب عَلَيْهِ الْكَلَمُ، وهو الكتاب الذي جمع بين دفتيره عيون البلاغة.. إذ كان من كلام أفسح الخلق بعد الرسول"، وقد احتوى من حقائق البلاغة ودقائق الفصاحة ما لا يبلغ قعره الفكر، يقول الإمام الشيخ محمد عبد المتصوّف المتوفى عام ١٣٢٣هـ : "وتأملت جملة من عباراته من مواضع مختلّفات، ومواضيع متفرّقات فكان يخيّل لي في كل مقام أن حروباً شبت وغارات

شنت، وأن للبلاغة دولة وللفصاحة صولة” إلى أن قال: ”ذلك الكتاب الجليل هو جملة ما اختاره السيد الشريف الرضا عليه السلام من كلام مولانا أمير المؤمنين علي بن أبي طالب كرم الله وجهه جمع متفرقه وسمّاه بهذا الاسم «نهج البلاغة»، ولا أعلم اسماً أليق بالدلالة على معناه منه”.

قام الشريف الرضا عليه السلام بجمعه من مصادره المعروفة سنة (٤٠٠ هـ) حيث قسم هذا الكتاب إلى خطب ورسائل وكلمات قصار، يقول: ”رأيت كلامه عليه السلام يدور على أقطاب ثلاثة: أولها: الخطب والأوامر، وثانيها: الكتب والرسائل، وثالثها: الحكم والمواعظ، فأجمعت بتوفيق الله تعالى على الابتداء باختيار محسن الخطب، ثم محسن الكتب، ثم محسن الحكم والأدب”^(١٩). وقد اهتم بجمع كلامه بعض المتقدمين على الشريف الرضا مثل: ١- نوف بن فضالة البكالي. ٢- ضرار بن ضمرة الضباري. ٣- الحارث الأعور الهمداني م(٦٥ هـ). ٤- كميل بن زياد النخعي. ٥- زيد بن وهب الجهي، له كتاب خطب أمير المؤمنين، يقول الشيخ الطوسي في الفهرست: ”زيد بن وهب له كتاب خطب أمير المؤمنين على المنابر في الجُمُع والأعياد وغيرها”^(٢٠). ٦- الأصبغ بن نباتة المجاشعي، وهو من خواص أمير المؤمنين وروى عهد مالك الأشتر. ٧- إسماعيل بن مهران، قال عنه الشيخ الطوسي: ”لقي الرضا وروى عنه وصنف مصنفات كثيرة منها خطب أمير المؤمنين”^(٢١). ٨- صالح بن حماد، قال عنه النجاشي: ”لقي أبا الحسن العسكري، له كتاب خطب أمير المؤمنين”^(٢٢). ٩- هشام الكلبي (م ٢٠٦)، قال عنه النجاشي: ”كان يختص بمذهبنا.. وله كتب كثيرة منها كتاب بالخطب”. ١٠- أبو الحسن علي بن محمد المدائني (م ٢٢٥).

وابتداء فإن العلماء يعرفونه إلى العالم الإسلامي من خلال الشروح بعدها الكثير، حتى أن صاحب الغدير أورد ما يقارب (٨١ شرحاً) وصاحب الذريعة

أورد ما يقارب (١٥٠)؛ ومن الشروح:

١- معارج نهج البلاغة لظهر الدين بن علي بن زيد البيهقي (٥٦٦م).

٢- منهاج البراعة لقطب الدين الرواندي (٥٧٣م).

٣- حدائق الحقائق لقطب الدين الكيوري البيهقي.

٤- منهاج البراعة للسيد حبيب الله الحوئي (م ١٣٢٤).

٥- شرح الشيخ محمد تقى شوشتري (م ١٤١٥).

٦- شرح ابن أبي الحميد المعتزلي.

٧- شرح ابن ميثم البحري (كمال الدين ميثم بن علي بن ميثم البحري).

لقد تناول العلماء وال المسلمين نهج البلاغة تناول تقدس وعظمة، وإلا لما جاء مثل الخطيب المصري عبد الرحيم بن محمد بن إسماعيل بن نباتة الفارقي المتوفى عام (٣٧٤هـ) ليقول: "حفظت من خطب الإمام علي كثيرا لا يزيد الإنفاق إلا سعة وكثرة، وحفظت مائة فصل من مواعظ علي بن أبي طالب". وكذلك أبو عبد الله محمد بن عبد الملك الفارقي الخطيب الزاهد البغدادي عاش ثمانين سنة وتوفي عام (٥٦٤هـ) وقد ترجم له ابن كثير في البداية والنهاية ٢٦٠ / ١٢ وقال عنه أنه كان يحفظ نهج البلاغة. يقول المسعودي (م ٣٤٦): "والذي حفظ الناس عنه من خطبه فيسائر مقاماته أربعمائة خطبة ونيف وثمانون خطبة يوردها على الديهية، وتدالى الناس عنه قولاً وعملاً".^(٢٣)

وعلى كل حال فقد أطبق العلماء على تقدس هذا الكتاب واشتهر اشتهرارا لا يخفى على أحد.. وبعد هذا كله كيف يمكن أن نأتي ونشكك في نسبته لأمير المؤمنين، وللتوضيح هنا نقطتان:

الأولى: في نسبة هذا الكتاب لأمير المؤمنين، والثانية: كيف يمكن أن نتعامل معه في تفسير النص الشرعي المؤثر في عملية الاستنباط؟

أما النقطة الأولى: فيمكن أن نجيز عليها من خلال لسان العلماء، ومن خلال المواقف العديدة، ومن خلال القرآن والظروف المعينة، فهناك من شكك في نسبة هذا الكتاب للإمام عَلِيُّهُ الْأَنْبَيْهُ، وأن ما في النهج انتحله الشريف، من أولئك الذين شککوا: ١- شمس الدين أحمد بن خلكان الأربلي البرمكي. ٢- الصفدي في (الوافي بالوفيات ٢ / ٣٧٥). ٣- بن تيمية في منهاج السنة. ٤- الذهبي. ٥- شوقي ضيف في (الفن ومذاهبه في التر العربى)، وهذا الإنسان يحمل نفسية ضعيفة وهزلية، فقد تتبع أمير المؤمنين حتى في نسبة تأسيس علم النحو في قصة الدؤلي المشهورة؛ حيث قال في كتابه (المدارس التحوية) ص ١٤: "وكأنه لم يكن مشغولاً حيث ذهب إلى العراق والكوفة يإعداد الجيوش لحرب معاوية، ولا كان مشغولاً بحروب الخارج، إنما كان مشغولاً بال نحو ووضع رسومه وأصوله وفصوله، وطبع الأشياء تتفى في تضاعيفها ما يقطع بانتحالها لما يجري فيها من تعريفات وتقسيمات منطقية لا يعقل أن تصدر عن علي بن أبي طالب أو أحد من معاصريه، ولعل الشيعة هم الذين نحلوه هذا الوضع القديم التحوي..". بهذه التوهمات الواهية أراد هذا الإنسان أن يدخل العلم بأوسع أبوابه، وكأنه تنسى الكلمات التي نقلناها عن حملة خطب أمير المؤمنين من مثل عبد الحميد بن يحيى (١٣٢م) وابن نباتة وأمثالهم.. أم أنه تنسى خطب الرسول ﷺ وأحاديثه التي فاضت وملأت صحاحهم مع أنه كان مشغولاً بإقامة الدعوة والدولة الإسلامية والمحرب مع العدو الكافر.

أما قوله بأن فيه تعريفات وتقسيمات منطقية.. إلخ، فهل أن النص الشرعي وفي مقدمته «القرآن الكريم» لم يأت بأدلة عقلية في ضمن الآيات الدالة على توحيد الله؟ وعلى أنه ﴿لَوْ كَانَ فِيهِمَا آلهَةٌ إِلَّا اللَّهُ لَفَسَدَتَا﴾^(٢٤)؟ ولكن المسافة بعيدة بين من التزموا بالقرآن بالتذبر في آياته الأنفسية والآفاقية ﴿أَفَلَا يَتَدَبَّرُونَ القرآن﴾^(٢٥) وبين من جعل القرآن والعترة وراء ظهره مثل شوقي ضيف.

وكل هذا التشكيك إنما جاء ليحكى نفوسا بعيدة عن الإنصاف، ولا عجب في ذلك فإن ثلة من ادعى الأدب تماذى في التشكيك حتى في القرآن الكريم وبلايته، وقد تصدى لهؤلاء أمثال مصطفى صادق الرافعى.. وكذلك فقد تصدى الكثير من العلماء لفريق التشكيك بنهج البلاغة من أمثال: ابن الجوزي و محمد بن طلحة الشافعى و عبد الحميد الكاتب وهو القائل: "ما تعلمت البلاغة إلا بحفظ كلام الأصل".

وقد أوضح أمير البيان الأمير شبيب أرسلان حين زار دمشق بعد رجوعه من أوربا عندما جرى الحديث عن نهج البلاغة فقال أحدهم: إنه موضوع على لسان علي. ووافقه الباقيون فسألوه عن رأيه فقال: إذا كان موضوعاً فمن هو واضحه؟ هل هو الشريف الرضي؟ قالوا: نعم. قال: إن الشريف الرضي لو قسم أربعين رجلاً ما استطاع أن يأتي بخطبة واحدة. قال صاحب الغدير: "والدعاوى المجردة بيطلان أكثر ما فيه وعزوه ذلك إلى سيدنا الشريف الرضي الذي عرفت موقفه العظيم من الثقة والعلم والجلالة، أو الترديد فيمن وضعه وجمعه بينهما مما لا يقام له في سوق الحقائق وزن، وليس له مناخ إلا حيث تربض فيه العصبية العميماء.." ^(٢)، ومثله في شرح ابن أبي الحديد، يقول: "فأقول: لا يخلو إما أن يكون كل نهج البلاغة مصنوعاً منحولاً أو بعضه، والأول باطل بالضرورة لأننا نعلم بالتواتر صحة إسناد بعضه إلى أمير المؤمنين.. والثاني: يدل على ما قلناه لأنَّ من قد أنس بالكلام والخطابة، وشدا طرفاً من علم البيان وصار له ذوق في هذا الباب، لا بد أن يفرق بين الكلام الركيك والفصيح.. ألا ترى أنا مع معرفتنا بالشعر ونقده لو تصفحنا ديوان أبي تمام فوجدناه قد كتب في أثنائه قصائد أو قصيدة واحدة لغيره لعرفنا بالذوق مبادرتها لشعر أبي تمام.. لأنَّا متى فتحنا هذا الباب وسلطنا الشكوك على أنفسنا في هذا النحو لم نثق بصحة كلام منقول عن رسول الله أبداً" ^(٣)، وهناك

كلمات إعجاب من كثير من العلماء منهم الشيخ محمود الألوسي، والشيخ ناصيف اليازجي، والدكتور زكي مبارك، وعباس محمود العقاد، والإمام محمد عبده، ولهذا جاء بعض الأعلام بكتابة رسائل ومؤلفات في مدارك نهج البلاغة، منهم:

١- الشيخ هادي آل كاشف الغطاء، له كتاب «مدارك نهج البلاغة».

٢- السيد هبة الدين الشهرياني، له كتاب «ما هو نهج البلاغة».

٣- العالمة السيد عبد الزهراء الحسيني الخطيب، له كتاب «مصادر نهج البلاغة وأسانيده».

٤- الشيخ عبد الله نعمة، له كتاب «مصادر نهج البلاغة».

وكذلك: ابن النديم والنرجاشي والطوسي وياقوت الحموي وحاجي خليفة وابن الأثير وسبط ابن الجوزي وأبو القاسم النجفي، وأغا بزرگ الطهراني، والعالمة السيد محسن الأمين.

بعد كل هذه الكلمات وكل هذا التتبع في خطب الأمير: (تقديساً - حفظاً - شرعاً) لا يبقى للمنصف أي شك في نسبة هذا الكتاب إلى أمير الكلمة علي بن أبي طالب عليه السلام.

وأيضاً نضيف إلى ذلك:

أولاً: موافقة هذا الكتاب لكل تلك الظروف التي عاشها أمير المؤمنين؛ من حرب أو ظروف الخلافة، أو ما عاشه الأمير من إقصاء، مما يجعلنا مذعنين بأن هذه الخطب في هذا الكتاب كانت تحكي شخصية واحدة فقط وهي شخصية علي عليه السلام.

ثانياً: المعالم والمعارف والعناوين المثبتة في هذا الكتاب تكشف عن كل ما ذكرناه سابقاً، فقد حوى هذا الكتاب شتى العناوين:

١- ما وراء الطبيعة. ٢- السلوك والعبادة. ٣- الحكومة والسياسة. ٤-

الخلافة. ٥- الحكم والحاكمية. ٦- الشجاعة. ٧- الدعاء. ٨- الانتقاد. ٩- المجتمع.
١٠- فروع الدين وأصوله.

وخصوصية هذه العناوين أنها اهتمت بالجانب العملي للإنسان، حتى أن كل عنوان من هذه العناوين حملت لفظة خاصة في البيان وفي الطرح، مثلاً عندما نأتي إلى عنوان «التقوى» في خطبته همام وهي طويلة وقد تدرج أمير المؤمنين عَلَيْهِ الْكَلَمُ الْأَمِينُ في البيان حتى وصل القمة، وفي الأخير (فصعق همام صعقة كانت نفسه فيها)، فمن مقاطعها: "فمن علامة أحدهم أنك ترى له قوة في دين، وحزمًا في لين، وإيماناً في يقين، وحرصاً في علم، وعلماً في حلم، وقصدًا في غنى، وخشوعًا في عبادة، وتحملًا في فاقة، وصبراً في شدة، وطلبًا في حلال، ونشاطًا في هدى، وتحرجاً عن طمع، يعمل الأعمال الصالحة وهو على وجل" نفس هذه الخطبة وهذه العناوين كانت موجودة في الأذهان وفي الجامع قبل الشرييف الرضي، ومع ذلك فهناك من لم يقبل هذه النسبة لعدة تشكيكات نذكر بعضها^(٢٨):

١- اشتمال نهج البلاغة على خطب ورسائل كثيرة مما يتذرع على الإنسان حفظها. وهذا التشكيك الواهي قد نسي التراث الضخم الذي خلفه الأدباء والعلماء على مر التاريخ، ونسى الحفاظ الذين دونوا تاريخ الأدب بخطبه الطويلة.. كيف وقد حفظ عبد الحميد الكاتب سبعين خطبة من خطب أمير المؤمنين، وابن نباتة كان يحفظ مائة من موعظه، ولا يخفى على الباحث بأن رسائل أمير المؤمنين كانت مكتوبة، كما أن عهده إلى مالك الأشتر كان مكتوبة، وذكر المؤرخون أن خطبة الإمام عَلَيْهِ الْكَلَمُ الْأَمِينُ في الجهاد: (إنه باب من أبواب الجنة) كانت مكتوبة بخطبه.

٢- جاء في بعض الخطب ذكر الوصي والوصاية.. وهذا المصطلح لم يظهر إلا بعد استشهاده.

ويكفي في جواب هذا الاعتراض النظر إلى الأحاديث التي وردت عن النبي ﷺ مثل حديث الدار الوارد في مسند أحمد بن حنبل حيث قال النبي ﷺ لما جمع عمومته وزعماء قريش وهم يومئذ أربعون رجلاً: «فَإِيْكُمْ يُؤَازِّرُنِي عَلَى أَمْرِي هَذَا عَلَى أَنْ يَكُونَ أَخِي وَوَصِّيٌّ وَخَلِيفَتِي فِيْكُمْ؟» فَأَحْجَمَ الْقَوْمُ وَلَمْ يَجْبِهِ أَحَدٌ إِلَّا إِلَامُ عَلِيٍّ، فَقَالَ مُخَاطِبًا لِلْجَمْعِ: «إِنَّ هَذَا أَخِي وَوَصِّيٌّ وَخَلِيفَتِي فِيْكُمْ مِّنْ بَعْدِي فَاسْمَعُوا لَهُ وَأطِيعُوهُ».

٣- بعض ما في النهج جاء في وصف الحيوانات وصفاً دقيقاً بأسلوب لم يعرف إلا في العصر العباسي؛ كوصف الطاووس، فمثى رأى الإمام الطاووس حتى يصفه؟!

هذا الاعتراض عجيب.. كيف تتصور عالماً وأديباً يتفوّه بهذا الكلام؟ وهل يخفى على أديب معلقة امرئ القيس الوصفية، وبتلك الدقة في الوصف والكلناء، بل في ترتيب تصورات مترابطة بين الشاعر والوجود الآخر مما حوله من أشياء وجودات؟ وهل أن الإمام لم ير الطاووس في سفراته إلى اليمن أو البصرة حتى لا يتمكن من وصفه؟ إنها اعتقادات مدفونة في تلك النفوس الهاشطة.

نتيجة كل ما مر هو عدم إمكان التشكيك في نسبة هذا الكتاب إلى أمير المؤمنين علي بن أبي طالب علیه السلام.

بعد بيان هذه النقطة الأولى نأتي هنا إلى النقطة الثانية وهي: هل من الممكن أن نتعامل مع هذا الكتاب المقدس في تفسير النص الشرعي المؤثر في عملية الاستنباط؟

يمكنا أن نتعرض إلى هذه النقطة في هذه العجلة بصورة مجملة جداً، هنا نذكر الأساس في التدرج للوصول إلى نتيجة معينة فنقول: كتاب نهج البلاغة إما أنه مندرج تحت كتب الأحاديث والأخبار (ما يحكي قول المعصوم)، أو أنه غير

مندرج بل هو من الكتب المؤلفة من قبل العلماء -بثابة الفقه الرضوي على مبني المشهور - ولا سبيل لاختيار الثاني لعدة أدلة وافية تدرجه في قول المعموم، فهناك قرائن كثيرة لا يشك القارئ أن الكتاب من صنيع أمير المؤمنين:

أولاً: المداومة على حفظه وقراءته منذ العصر الأول وقبل عهد الشريف الرضي.

ثانياً: الحكاية عن نفسه في المواطن حسب الظروف التي عاشها.

ثالثاً: حكاية الأحداث التي عاشها مع رسول الله عليه وآله وسنه، وكذلك ما ذكرناه سابقاً.. كل ذلك شواهد على أنه من أحاديثه عليه وآله وسنه، وهناك مؤيدات كثيرة، منها: المضامين التي احتواها هذا الكتاب، وكذلك اجتماع الخاصة والعامة على هذه النسبة من دون تشكيك، فإذا ثبت بلا ريب بأن هذا الكتاب يحكي كلام أمير المؤمنين عليه وآله وسنه نأتي إلى مسألة حجيته وعدمهما في عملية الاستنباط، وطبعاً سيختلف القول بحجيته على اختلاف المباني:

ومنهم: من يقول باختصاص الحجية بالمسانيد من الأخبار من الصاحح أو الموثقات.

ومنهم: من يقول باختصاص الحجية بأخبار الكتب الأربع.

ومنهم: من يقول بأن كل موثوق ومظنون بصدوره حجة، وهذا يعتمد على الشواهد والقرائن الظنية.

ومنهم: من يقول بحجية كل خبر غير معلوم الكذب أو غير مظنونه. تظهر الفائدة حينئذ لمن يعمل بمطلق الخبر إذا انجر ووافق الشهرة، أو إذا احتف بقرائن يطمئن إليها، هذا في الإلزام من الأحكام، أما في الآداب والسنن فيمكن أن يثبت ذلك من خلال قاعدة التسامح في أدلة السنن عند من يقبلها، أما إذا كان من الحكمة والإرشاد فلا تحتاج إلى كل هذا التكلف، فهذه كتب الفلسفه

والحكماء والتي اشتهرت نسبتها إليهم منذآلاف السنين لم يأت أحد ليناقش في تلك النسبة، بل أخذوها واحتجوها بها في إثبات شيء أو نفيه، وناقشوا مضمونها بما هي منسوبة إلى أصحابها.

بطبيعة كل ما مرّ فإن الأحكام الإلزامية وغيرها تعود إلى مبني أصحابها، إلا أننا نستطيع أن نجمع بين كل هذه المبني والآراء تحت عنوان: «قبول الخبر إذا كان متسالماً عليه» فيكون بمثابة «الناس مسلطون على أموالهم»، أو كان محفوفاً بقرائن قطعية أو يطمئن إليها ولكن كل هذا البحث يحتاجه لو ثبت ورود حكم خاص معارض لأنباءنا المعول بها، وهذا بحث مهم جداً يعتمد على التبوييب الفقهي لنهج البلاغة حتى نرى المعارض من غيره، والظاهر أن ذلك التبوييب الموسع غير موجود ويا للأسف وإن كان هنالك جهود مشكورة إلا أنها بقيت في دائرة ضيقة جداً. فالقول بأن غير الكتب الأربع (وإن لم تكن بحث يستغنى عنه الفقيه إلا أنها لا تعد ركناً لاستنباط الأحكام ومرجعاً عاماً للفقهاء الكرام)^(٢٩)، هذا الكلام يعتبر تراجعاً عن البحث والتحقيق، خلافاً لما كان عليه علماؤنا المتقدمون فإن لهم المبادرة الجادة في البحث والتحقيق عن القرائن المضمرة في هذه الجاميع من كلماتهم عليهم السلام، حيث حصلوا من خلال دراساتهم على لغة أخرى تسير بهم نحو أجواء النص وكأنهم إلى الواقع أقرب، ولو كان هناك تبوييب فقهي لنهج البلاغة واستقراء للفروع الفقهية في نهج البلاغة لانكشف لنا عن خزانة ضخمة، ولتأسست لنا نظريات فقهية من مثل نظرية: «أحكام أهل البغي» حيث بادر بعض علماء السنة للإشادة بهذه الأحكام، إلا أن الزمان لا يتوقف فلنحاول أن نخلق في أنفسنا الإرادة في البحث والتمحيص، وقد ينفتح لنا من خلال ذلك رؤى عملية صائبة من نبع الواقع.

هناك نبذة من الأحكام مثل قوله عليهم السلام: «ومن تمام الأضحية استشراف أذنها

سلامة عينها، فإذا سلمت الأذن والعين سلمت الأضحية وقت ولو كانت عضباء القرن تجر رجلها إلى المنسك». ومنها قوله عليه السلام: «فامنع من الاحتقار فإن رسول الله عليه وآله وسنه منع منه».

إلا أنه تستوقفني بعض الكلمات وهي: «لا قربة بالتوافق إذا أضرت بالفرائض» و «إذا أضرت التوافق بالفرائض فارضوها»، وهذه الكلمات تشير إلى مسألة فقهية وهي عدم جواز فعل النافلة في وقت الفريضة، واستدل على المسألة بعدة أدلة، إما من خلال الأدلة العامة في توقيت الفرائض وعدم تداخل النافلة مع الفريضة، أو لخصوص: «إذا دخل وقت صلاة مكتوبة فلا صلاة نافلة حتى تبدأ بالمكتوبة»، أو «لا تصلى نافلة في وقت فريضة»، أو قيل لأبي جعفر: مالي لا أراك تتطوع بين الأذان والإقامة كما يصنع الناس؟ فقال: «إنما إذا أردنا أن تتطوع كان تطوعنا في غير وقت فريضة، فإذا دخلت الفريضة فلا تطوع»، وكل هذه النصوص المعتبرة ظاهرة في تحريم فعل النافلة في وقت الفريضة، وإذا ذهبتا للازم الوضع للتکلیف كانت النتيجة بطلان الصلاة النافلة، وقد نستفيد بطلان من خلال النهي في العبادة وهو موجب لفسادها، أو لأنَّ الأمر بالشيء يقتضي النهي عن ضده على أضعف الأحوال، ويعيده مقاييس فعل النافلة في الصلاة بفعل النافلة في الصوم فيما إذا كان عليه فريضة كما جاء في بعض الروايات: «أرأيت لو كان عليك من شهر رمضان كان لك أن تتطوع حتى تقضيه؟» قال: قلت: لا، قال: «فكذلك الصلاة»، نعم هناك من قال بالكرابة جمعاً بين الأدلة المجوزة والنهاية كما في هذه الرواية: قلت له عليه السلام: إذا دخل وقت الفريضة أتنفل وأبدأ بالفريضة؟ قال: «الفضل أن تبدأ بالفريضة، إنما أخرت الظهر ذراعاً عند الزوال من أجل صلاة الأوابين».

إلا أن هذه الأدلة مجحوب عنها إما بعد المكافأة للروايات المستفيضة المانعة، وإما بتأويل عنوان الفضل بالمشروعية بقرينة تخصيصه بالفريضة الدالة على عدم

مشروعية النافلة كما فسره صاحب المدائق رحمه الله، وهذا أنكر الجمع بالكرامة نظرا إلى أن الأمر حقيقة في الوجوب مجاز في غيره، كما أن النهي حقيقة في التحرير مجاز في غيره، فلا سبيل لحملها على غيرهما. ونتيجة مبناه أن الكرامة حكم من الأحكام الاعتبارية الشرعية تحتاج إلى دليل اعتبار من قبل الشارع، والجمع هذا ليس دليلا على ذلك التشريع، إلا أنه تؤثّر تبني الحكم بالكرامة الناتجة عن هذا الجمع في بعض المسائل الفقهية (انظر مسائل لباس المصلي تجد ذلك).

والعجب أنه لا يوجد في استدلالهم كلمات من الأمير عليه السلام في هذه المسألة، مع أن الكلمة التي نقلناها صريحة بل أصرح من الروايات التي استدلوا بها عندما يقول: «لا قربة بالنوافل»، أو «فارفضوها»، هذه الكلمات لا تحتاج إلى مقدمات في الوصول إلى النتيجة لأنها نص في المضمون، والذي يحتاج إلى المقدمات إنما هو الظاهر حتى يتعين.

إن قلت: إن هذه الكلمات إنما نتعامل معها معاملة المرسل.

نقول: بعض الروايات التي جاءوا بها ضعيفة من الناحية السنديّة، وما ذلك إلا لأجل الاعتضاد أو الانجبار بالشهرة أو الاحتفاف، فنقول هنا بصورة التعجب: لماذا لم ينظروا إلى كلمات أمير المؤمنين عليه السلام الصريحة بنفس النظرة؟ ولو من باب التبرك باسمه عليه السلام! لا أريد أن أكثر العبارة، وإنما هي خطوط وإشارات نرجوا أن تتبعها استجابة لتخرج كلمات الأمير عليه السلام إلى النور، لتدوّن في كتاب بعنوان «نظريات أمير المؤمنين الفقهية» إن شاء الله.

❖ ترتبط أفراح الشيعة بعيد مهم وهو المسمى عندهم بعيد الغدير،
 فما هو منشأ هذا العيد؟ وهل هو من مختصات الشيعة أم أنه عيد لعموم المسلمين؟ وما هي الانعطافة التي أوجدها الغدير في تاريخ الإسلام؟

□ إن واقعة «غدير خم» هي من أهم الأحداث التي وقعت في تاريخ الإسلام

وال المسلمين، لتشكل انعطافة كبرى في تاريخ الإنسانية، في العام العاشر للهجرة جاء الأمر للرسول ﷺ ليبلغ الناس العهد المسؤول عنه يوم القيمة: ﴿يَا أَيُّهَا الرَّسُولُ بَلَغْ مَا أُنْزِلَ إِلَيْكَ مِنْ رَبِّكَ﴾^(٣٠)، وإليك قصة هذه الحادثة الكبرى، فعند وصول الحاج منطقة الغدير (موقع بين مكة والمدينة بالجحفة) التي تتشعب فيها طرق المدنيين والمصريين وال العراقيين، وذلك يوم الخميس الثامن عشر من ذي الحجة، نزل إليه جبرائيل الأمين عن الله جل جلاله بقوله: ﴿يَا أَيُّهَا الرَّسُولُ بَلَغْ مَا أُنْزِلَ إِلَيْكَ مِنْ رَبِّكَ﴾ وأمره أن يقيم عليا علما وقادها للناس ويبلغهم ما نزله فيه من الولاية، غير الرسول ﷺ مسير القوافل نحو اليمن وأمرهم بالتوقف فتوقفت جميع المراكب وترجل الجميع، وكانت الحرارة بشدة حتى جعل الناس يلجؤون إلى تغطية رؤوسهم بطرف من ثيابهم ويضعون طرفا آخر تحت أقدامهم، ولف آخرون أقدامهم بعباءاتهم، لقد عمل الرسول ﷺ عملاً ليبقى الوضوح ركيزة في الأذهان حينما رفع عليا فوق المنبر، والسر في ذلك: حتى لا تبقى شبهة أو تشكيك في الأذهان، وعلى المنبر رفع الرسول أمير المؤمنين علي بن أبي طالب حتى وصلت قدماً أمير المؤمنين إلى ركبتي الرسول ﷺ، ثم أخذ بيده علي فرفعها حتى رأى بياض آباطهما، فقال: «من كنت مولاه فهذا علي مولاه، اللهم وال من والاه وعاد من عاده وأحب من أحبه وأبغض من أبغضه وانصر من نصره واخذل من خذله وأدر الحق معه حيث دار».

وتتشابكت كفاهما وكأنها شطرا فؤاد والأعمال أضلع

تتجلى صور هذا الإعلان في عدة نقاط يتبعها القارئ من خلال خطبة الرسول ﷺ، ومن النقاط الرئيسية التي تمثل سرّ إعلان الولاية:

- ١- تحذير الناس من أئمة يدعون إلى النار، حيث قال: «إِنَّ اللَّهَ وَأَنَا بِرِيشَانَهُمْ»، وهذا بيان لخطيبين رئيسين مستمرة في حياة الإنسان، وهما الخط الأبيض

المتمثل في الامتداد للرسول ﷺ، والخط الأسود والذي يقوده أئمة الكفر في القدر الأول، إلى يومك هذا؛ المتمثل في الاستكبار العالمي وأمريكا.

٢ - بيان الامتداد الحقيقي على طول الخط حتى لا تنقطع الصلة بين الأرض والسماء، ونستطيع أن نبين هذا الامتداد في شخص علي؛ أي في الصفات، وكذلك الامتداد لبقية الأئمة علیهم السلام؛ أي في الأفراد.

وال الأول: وهو الامتداد في الصفات نفهمه من أن يوم الغدیر هو يوم الجعل، أي جعل الإمامة، وهي في الحقيقة آخر جميع مراتب كمالات الإنسان، وقد ورد عن الصادق علیه السلام أن الله تبارك وتعالى اتخذ إبراهيم علیه السلام عبداً قبل أن يتخرّج نبياً، وأن الله اتخذ نبياً قبل أن يتخرّج رسولاً، وأن الله اتخذ رسولاً قبل أن يتخرّج خليلاً، وأن الله اتخذ خليلاً قبل أن يجعله إماماً، فلما جمع له الأشياء قال: ﴿إِنِّي جَاعِلُكَ لِلنَّاسِ إِمَاماً﴾.

والثاني: وهو الامتداد في الأفراد، ونفهم هذه الجهة من الامتداد من قوله عليه السلام: «من كت مولاه فهذا على مولاه»... ويفسره قوله عليه السلام: «أيها الناس كأني قد دعيت فأجبت، إني تارك فيكم التقلين كتاب الله وعتري أهل بيتي»، والذي يؤكد تحدثه عليه السلام عن هذا الامتداد أنه تحدث في خطبته عن الحجة المنتظر المصلح في آخر الزمان، فأشار إلى صفاته وأحواله: «ألا إن خاتم الأئمة من القائم المهدي، ألا إنه الظاهر على الدين، ألا إنه المنتقم من الظالمين...».

كل هذا مثل الامتداد الحقيقي لرسول الله عليه السلام في أهل البيت حفاظاً للدين عن الضياع، ومن بعدهم كان هذا الامتداد في الفقهاء: «فهم حجت عليكم وأنا حجة الله»، فهذه هي أواصر العلاقة من وحيها، فلا يمكن أن نتصور في نظرية الغدیر أي انقطاع لتلك الصلة بالوحي الإلهي، فلو فتشت في كل الأديان (المسيحية والمسيحية..) وفي كل المذاهب الإسلامية أيضاً لن تجد هذه الميزة إلا في المذهب

الإمامي، فكل تلك الأديان هي انقطاع عن الوحي، ولكن تأتي نظرية الغدير لتكرس الامتداد لضمان سلامة العقيدة وتحصينها عن الانحراف إلى آخر الدنيا، روى سعد بن عبادة قال: فوالله لقد سمعت رسول الله يقول: «إذا أنا مت تضل الأهواء بعدي ويرجع الناس على أعقابهم فالحق يومئذ مع علي».

فنظريّة الامتداد سرّ آخر: «الله أكبير على إكمال الدين وإنعام النعمة ورضي رب برسالي والولاية لعلي من بعدي»، فما دامت النبوة جاءت لعلاج الأمراض، وإيصال المجتمع إلى الصلاح والسعادة، وربط الإنسان بالسماء والإسلام رسالة شاملة كاملة فهي تحتاج إلى رعاية على طول الخط وإلى الأبد، والهدف من هذا الامتداد هو السير نحو الكمال والسعادة، فالأنبياء أنبأوا إليهم مسؤولية هداية الناس عن طريق الوحي وهذا يثبت لزومه وضرورته وجود أفراد حفظة ينهضون بتعليم المجتمع بحيث تبقى هذه التكاليف السماوية ما دام الإنسان: ﴿وَجَعَلْنَاهُمْ أَئِمَّةً يَهْدُونَ بِأَمْرِنَا﴾^(٣).

❖ في قضية زواج الزهراء عليها السلام لماذا قدم رسول الله عليه صلوات الله عليه وآله وسلامه أمير المؤمنين عليها السلام على من تقدم لخطبتها؟

□ بادر القوم لخطبة فاطمة عليها السلام من أيها طلبا للشرف ورغبة في المنزلة، ولا بد لكتاب الصحابة أن يتقدموا لطلبتها من رسول الله صلوات الله عليه وآله وسلامه، وكان الرسول يعرض في كل مرة بعد أن تظهر فاطمة عدم رغبتها في ذلك، والرسول في ذلك يريد أن يرسم الخطة في إطلاع البنت عن رغبتها لأنها الأساس في تقويم اللبنات الصالحة في العائلة، واستمر الرسول يعرض عمن جاء لخطبتها ويردّ بقوله: «انتظر فيها أمر القضاء» حتى استبد اليأس على أولئك، حتى جاؤوا إلى علي عليها السلام وهو ينضح الماء ليقولوا له: إن أهل الشرف تقدموا لخطبة فاطمة، ولكن الرسول ردّهم جميعا فحبدا لو عرضت خطبك عليه، تبيّن على للذهب وقبل وصوله دار الرسول

أتي الوحي ليقول للرسول: (يا محمد إن الله تعالى يقرأ عليك السلام، ويقول لك: إني قد زوجت فاطمة ابنتك من علي بن أبي طالب في الملأ الأعلى، فزوجها منه في الأرض).^(٣٢)

يأتي الرسول ﷺ ليقول لفاطمة ؑ: «إن علي بن أبي طالب من قد عرفت قرابته وفضله وإسلامه»، وهذه نقطة لم يقلها الرسول في غير مورد علي ؑ، وهذا يعني أن من خطب فاطمة لم يكونوا في مستوى صفات فاطمة ؑ؛ هذه الصفات والأوسمة التي جاءت من قبل رسول الله ﷺ؛ فهي روح الرسول التي بين جنبيه، و«كمل من الرجال كثير ولم يكمل من النساء إلا أربع وعدّ منها فاطمة»، وهي «من آذها فقد آذى الرسول»، وهي: «من أبغضها فقد أبغض الرسول»، فإذا كان هذا مستوى فاطمة فما عساك تظن فيمن يستحق خطبتها غير علي بن أبي طالب، ونستطيع من خلال المعادلة الموجودة في آية المباهلة ﴿وَنِسَاءَنَا وَنِسَاءَكُمْ وَأَنفُسَنَا وَأَنفُسَكُم﴾^(٣٣) أن نقول بأن هذه المعادلة جاءت لتركتز هذا المستوى من الصفات، وقد أورد الشعاعي في تفسير قول ابن عمر: «لعلى ثلث لو كانت لي واحدة منها كانت أحب إلى من حمر النعم: تزويع فاطمة، وإعطاء الرأبة، وأية النجوى».

فما دمنا نتكلّم عن هذا الزواج فلا بد وأن ننظر إلى أن تلك الصفات ليست لموضوع عاطفي أو نظرة خارجية، وإنما هي الصفات الإلهية المهمة المؤثرة في تكوين العائلة القائدة والعائلة القدوة، وهذا أمر خطير جداً على مستوى التغيير، إذن لا بد وأن يكون هناك من الصفات التي تؤهل الشخص إلى ذلك المستوى من:

- ١- العبودية لله والخروج من حكم النفس.
 - ٢- العلم الإلهي الذي يؤتنيه من يشاء.
 - ٣- الشجاعة في الله.
 - ٤- العدالة في الدائرة الأوسع.
 - ٥- التقوى في النفس وفي الآخرين.
- ويتفرع على هذا كل صفات الخير.

❖ لعل لكلمات أمير المؤمنين عَلَيْهِ الْكَلَمَاتُ في غرر الحكم طريقة خاصة ونفس خاص يميزها عن بقية كلماته، فهل توافقون على ذلك؟

□ بطبيعة الحال ستكون الكلمات القصار لأمير المؤمنين لها ميزة خاصة، ووقع في العواطف والعقول، يستشعر ذلك أصحاب الذوق الرفيع لعدة جوانب، فهي:

أولاً: تحوي زبدة من الأفكار في كلام موجز.

ثانياً: إنها شفافة التركيب والرؤى.

ثالثاً: إنها في متناول الذهن، وهذا يسترسل الإنسان في إتقانها وفي حفظها.

رابعاً: قرب تلك الكلمات إلى الحس في بيان الهدف.

يقول عَلَيْهِ الْكَلَمَاتُ: «إذا أقبلت الدنيا على قوم أغارتهم محاسن غيرهم، وإذا أدبرت عنهم سلبهم محاسن أنفسهم».

«خالطوا الناس مخالطة إن متم معها بكوا عليكم، وإن عشتم حنوا إليكم».

«والله لا أكون كالضبع تام على طول اللدم حتى يصل إليها طالبها وبختلها راصدها»، وإن كانت هذه في خطبة إلا أنها جاءت على الألسن مثلا، وللدم: صوت الحجر أو العصا أو غيرهما تضرب به الأرض ضربا خفيفا، يقول: لا أفعد عن الحرب في سبيل الحق فيكون حال الضبع مع صائدتها، فأكون قد أسلمت نفسي على هذا الصوت وهو صوت الحيلة.. وإذا أردنا أن نتمثل بهذه الكلمات فإن أهل الإيمان لا يقدعون عن إقامة الحق حتى يستسلموا لصوت أمريكا الشيطان الأكبر، حتى تنطلي علينا أصواتها وحيلها فننام فنصبح فريسة لهم.

❖ تناول بعض العلماء عهد الإمام علي عَلَيْهِ الْكَلَمَاتُ إلى مالك الأشتر بنحو من الشرح والتفصيل، فما هو هذا العهد الذي جلب انتباهم؟ وما هي

مبادئه التي يدعى كونها من أفضل الأسس والقواعد التي تؤسس عليها الدولة الدينية؟

□ العهد المقدس لأمير المؤمنين عليه السلام يمثل جزئيات الإنسان الحاكم، والإنسان الرسالي التي ترتبط بالتطبيق لا بالتنظير، فكل كلمة كلمة في هذا العهد لها مجال واسع من الدراسة، والعهد يمثل نظرية الحكم والحاكم، وهو حلقة وشبيحة بين الحاكم والأمة في كل الحالات: الاجتماعية-السياسية - الاقتصادية.

فالعهد يمثل انعطافة في الحكم الإسلامي في سبيل إزالة التضليل الذي اتخذه الأعداء والمنافقون حيث بذلوا جهوداً بإبعاد الناس عن التعاليم الدينية، وإرباك المجتمع وجعله يعيش ضبابية مميتة في التطبيق عبر أبواقهم الخبيثة بأن الدين لا يملك تقنياناً للحكم.. فجاء هذا العهد لمواجهة هذه الذهنية السلبية بعناصر مميزة:

١- محورية «الحاكمية الله» في التطبيق: يقول عليه السلام: «فانظر إلى عظم ملك الله فوق وقدرته منك على ما لا تقدر عليه من نفسك...» إذن الارتباط بالله والنظر إلى عظمته يجعل الحاكم متواضعاً، فيجعل أولاً: حكمه مستمدًا من التعاليم التي شرعها الله، وثانياً: أن يحصل بينه وبين الأمة تماساً وارتباطاً.

٢- العدالة: وهي أن توصل لكل ذي حق حقه، يقول عليه السلام: «أنصف الله من نفسك ومن خاصة أهلك»، «وليس شيء أدعى إلى تغيير نعمة الله وتعجيل نقمته من إقامة على ظلم»، ويقول: «وليكن أحب الأمور إليك أوسطها في الحق وأعمها في العدل» وأساس الحكم إقامة العدل، فالميل من قبل الحاكم هو الخروج عن الدائرة، وبالتالي سوف يشب سخط الناس ويسبب خللاً وشللًا في التطبيق.

٣- التواضع: «واجعل لنوي الحاجات قسماً تفرغ لهم فيه شخصك وتجلس لهم مجلساً عاماً فتواضع فيه الله الذي خلقك» وهذا التواضع هو الجسر الذي يربط الحاكم بالمحكوم فيخلق من خلاله الطاعة.

٤- البطانة: «ثم إن للواли خاصة وبطانة فيهم استئثار تطاول وقلة إنصاف في معاملة فاحسّم مادة أولئك بقطع أسباب تلك الأحوال»، وهذا في الحقيقة متفرع عن العدالة. والبطانة هي ما تسمى عندنا بالحاشية التي لها تأثير واضح على مجرى الأمور الاجتماعية والاقتصادية، وقد سببت الحاشية في كثير من الأحيان انحرافا وأضرارا لا تعوض، يحتاج المحاكم أو المتولى إلى تحجيمها، لأنها سوف تفصل المحاكم والمتولى عن الأمة، وسوف تخلق في الأمة ذهنية سلبية تجاه الدين، والحاشية في أغلب الأحيان لا تملك إلا التكبر والاستعلاء، لا تتجاوب إلا مع الكبار، فيحرمون أصحاب الحق حقوقهم، قد أغلقوا الأبواب على الفقراء والمحرومين فهم فئة استغلالية استغلوا الدين في تمشية مآربهم، والإمام عثثة ناظر إلى ما هو الغالب، وإلا فهناك من الحاشية ما لها تأثير إيجابي على الواقع الاجتماعي والديني.

٥- البصيرة: هذه الصفة جاءت في ضمن أهداف النهج، لأن العنصر الأساس في بقاء المشروع للإنسان المسلم في بعديه الفردي والاجتماعي، وفي كل النواحي الاجتماعية والسياسية والاقتصادية، فقدان هذا العنصر يعني السقوط أمام العدو المستكبر وأذنابه، وجاء هذا العنوان هدفا رئيسيا لعهد أمير المؤمنين عثثة مالك الأشتر، لأن العهد يكفل الناحية العملية بما يرتبط بالخواص، وبطبيعة الحال إنما البصيرة هي نفوذ الرؤية عند العمل وعند التطبيق وعند المحك، والمعضلة الأساس التي واجهها أمير المؤمنين عثثة في أيام خلافته هم أولئك الذين يدعون السير على نهج الإسلام وهم لا يفهّمون شيئاً (حياري عن الحق لا يبصرونها) فصاروا ضحية مكر معاوية وبطشبني أمية، بخلاف الذين (حملوا بصائرهم على أسيافهم) فهؤلاء أمة واعية حيث وقفوا موقف المشرف في نصرة الحق، وسبب ذلك أنهم انطلقوا من خلال الإخلاص لا من خلال الأهواء: «ما أخلص العبد

الإيمان بالله ربِّ الْأَرْضِ أربعين يوماً إِلَّا زهدَ الله ربِّ الْأَرْضِ فِي الدُّنْيَا وَبَصَرَهُ دَاعِهَا وَدَوَاعِهَا».

هؤلاء يقفون إلى جانب الحق أينما كان وفي أي وقت، يتناسون عنوانينهم في أيام الفتنة وعند المحك لينصروا الحق وأهله، ولি�كشفوا ألاعيب أمريكا وإسرائيل ومحظطاتهم، وبالعكس فإن الفتنة تزيدهم صلابة ووعياً، وقد اعتبر الإمام عاشورى الفتنة في جانب سلبي يستفيده السياسيون وأصحاب المصالح إِلَّا أنها في الجانب الآخر تحمل وجهاً تربوية «لا يقولن أحدكم اللهم إِنِّي أَعُوذُ بِكَ مِنَ الْفَتْنَةِ لَأَنَّهُ لَيْسَ أَحَدَ إِلَّا وَهُوَ مُشْتَمِلٌ عَلَى فَتْنَةٍ، وَلَكُنْ مَنْ اسْتَعَذَ فَلِيُسْتَعِذَ مِنْ مَضَالَاتِ الْفَتْنَةِ».

وهنا نسأل: ما هي وظيفة أهل البصيرة في حالة الفتنة والتباس الحق بالباطل؟

الأصل الأساس هو مواجهة أصحاب الفتنة الذين هم إثارة النعرات والاختلافات والأحقاد في وسط المجتمع الواحد، وإذا لم يتحقق هذا الموقف الإيجابي فلا أقل من تحقق الموقف السلبي في مقابل الفتنة وهو الابتعاد عن أصحاب الفتنة حتى لا يستفيدوا موقفاً في مقابل الحق.. كانت هذه البصيرة من الأهداف الواضحة لأهل البصيرة، يقول عاشورى: «ولا تدخلن في مشورتك بخيلاً... ولا جاناً يضعفك عن الأمور»، ويقول عاشورى: «ولا يكون الحسن والمسيء عندك بمنزلة سواء»، ويقول عاشورى: «ولا تنقض سنة صالحة عمل بها صدور هذه الأمة، واجتمع بها الآلفة وصلاحت عليها الرعية، ولا تحدثن سنة تضر بشيء من ماضي تلك السنن فيكون الأجر لمن سنها والوزر عليك بما نقضت منها».

لا نريد أن نطيل، وإن فالنبع لا ينضب، والقافلة لا تهدأ، فالسلام عليك يا أمير المؤمنين، جئتك بنظرة الحاجة فأوف لنا الكيل.. هذا ما قصدته من هذه الكلمات، والحمد لله رب العالمين.

المواهمش:

- (١) مدينة المعاجز، السيد هاشم البحرياني، ج ٢، ص ٤٣٩.
- (٢) الصراط المستقيم، علي بن يونس العاملي، ج ١، ص ١٦٩.
- (٣) الأنبياء: ٧٣.
- (٤) نهج البلاغة، شرح الشيخ محمد عبده، ج ٣، ص ٧٠.
- (٥) الرعد: ١١.
- (٦) يقول الإمام الخامنئي حفظه الله: «في عصر أمير المؤمنين عليه السلام عندما كان الصفان أو الجيშان يلتقيان كان كل منهما يؤدي الصلاة، وإذا حل شهر رمضان كان الكل يصوم، وكانت أصوات وأصداء تلاوة القرآن الكريم تسمع من المعسكرين» إلى أن يقول: «هذه هي خصوصية عصر أمير المؤمنين، وألام هذا الأمير وأوجاعه».
- (٧) نهج البلاغة، شرح الشيخ محمد عبده، ج ٢، ص ١٣٠.
- (٨) شرح نهج البلاغة، ابن أبي الحديد المعتزلي، ج ١، ص ٥.
- (٩) آل عمران: ٦١.
- (١٠) الفصول المهمة في معرفة الأئمة، ابن الصباغ المالكي، ج ١، ص ١٨١ - ١٨٢.
- (١١) نهج البلاغة، شرح الشيخ محمد عبده، ج ٢، ص ١٥٧.
- (١٢) ن. م، ص ١٥٧.
- (١٣) موسوعة الإمام علي بن أبي طالب في الكتاب والسنّة والتاريخ، الريشهري، ج ٤، ص ٦٩.
- (١٤) البقرة: ٢٠٧.
- (١٥) لقمان: ١٤.
- (١٦) الأحقاف: ١٥.
- (١٧) يونس: ٣٥.
- (١٨) شرح نهج البلاغة، ابن أبي الحديد المعتزلي، ج ١، ص ٨.
- (١٩) من المقدمة على نهج البلاغة.
- (٢٠) فهرست الشيخ الطوسي، ص ٧٣.
- (٢١) ن. م، ص ١١.

- (٢٢) ن. م، ص ١٠٨.
- (٢٣) مروج الذهب، ج ٢، ص ١٩٠.
- (٢٤) الأنبياء: ٢٢.
- (٢٥) النساء: ٨٢.
- (٢٦) موسوعة الغدير، العلامة الأميني، ج ٤، ص ١٩٥.
- (٢٧) شرح نهج البلاغة، ابن أبي الحديد المعتزلي، ج ٢، ص ٥٤٦.
- (٢٨) ومن أراد المزيد فليراجع مجلة «تراثنا» العددان الثالث والرابع (٩١-٩٢) السنة الثالثة والعشرون ذو الحجة ١٤٢٨هـ موضوع «دعوات وشبهات أثارها البعض حول نهج البلاغة» للشيخ عبد الرسول الغفاري.
- (٢٩) مقدمة كتاب جامع أحاديث الشيعة للسيد البروجردي، ج ١، ص ١٠.
- (٣٠) المائدة: ٦٧.
- (٣١) الأنبياء: ٧٣.
- (٣٢) ذخائر العقبى، الطبرى، ص ٣٢.
- (٣٣) آل عمران: ٦١.



حبّ عليٰ

عليه
السلام

السيد مجید السيد حمزہ الاعوی

وطئۃ

إنَّ الحديث عن العظام يُعتبر ضرورة إنسانية؛ لأنَّ لنا في حياتهم معيناً لا ينضب من الدروس وال عبر والإيجان والأمل فهم عثابة المنارات التي تهدينا في هذه الحياة المظلمة، فحياتهم محطات للتأمل والتزود لمواجهة مشاكل ومصاعب الحياة ومن أجل ديمومة المسيرة، فهم الذين يبعثون الثقة في نفوسنا حين يلقنونا دروساً قيمة عن البطولات والسمو بالنفوس إلى أسمى مراتب الجد والعزة والشرف التي أرادها الله لنا.

فعلي بن أبي طالب عليه السلام - الذي نحن بصدق الحديث عنه - هو أشرف عظماء البشرية وأنبيلهم وأقدسهم وأفضلهم بعد ابن عمه محمد صلوات الله عليه وآله. " فهو أمير المؤمنين، وسيد المسلمين، وقائد الفرّ المجلّين، وخاتم الوصيّين، وأول القوم إيماناً، وأوفاهم بعهد الله، وأعظمهم مزيّة، وأقومهم بأمر الله، وأعلمهم بالقضية، ورایة الهدى، ومنار الإيمان، وباب الحكمة، والمسوس في ذات الله، خليفة النبي صلوات الله عليه وآله، الهاشمي، وليد الكعبة المشرفة، ومطهّرها من كل صنم ووثن، الشهيد في البيت الإلهي (جامع الكوفة) في محاربه حال الصلاة سنة ٤٠ للهجرة. وكل جملة من هذه الجمل ، وعبارة من هذه العبارات ، كلمة قدسية نبوية أخرجها الحفاظ من أهل السنة"^(١).

على جسد الإسلام

وبعد هذه الأوصاف التي سُجّلت في حق هذه الشخصية التي جسّدت معنى الإسلام في الواقع العملي، بأسماى وأرقى معانيه، فهو القدوة والإمام والأسوة، فمن حق الأمة الإسلامية أن تفتخر بهذه الشخصية العظيمة التي أنطقت ألسنة الكثرين فمدحوها وأثنوا عليها، وتغنوّوا بها، فإننا نجد أعظم الأدب وعباقرة الكلمة وقفوا أمامه متبحرين متعجبين فيها هو الشريف الرضي رحمه الله قال عنه: "كان أمير المؤمنين مشرع الفصاحة وموردها، ومنشاً للبلاغة ومولدها، ومنه ظهر مكنونها، وعنه أخذت قوانينها، وعلى أمثلته هذا كل قائل خطيب، وبكلامه استعان كل واعظ بلين، ومع ذلك فقد سبق فقصروا، وتقدم وتأخروا لأنَّ كلامه الكلام الذي عليه مسحة من العلم الإلهي، وفيه عبة من الكلام النبوى..".^(٢)

وفي موضع آخر ينقل لنا الجاحظ عن النظام: "علي بن أبي طالب محنّة للمتكلم إن وف حقه على، وإن بخسه حقه أساء، والمنزلة الوسطى دقّيقه الوزن حادة اللسان، صعبة الترقى إلا على العاذق الذكي"^(٣).

ويقول فيه جبران خليل جبران: "إن علياً من عمالقة الفكر والروح والبيان في

كل زمان ومكان^(٤)، وقال ميخائيل نعيمة "بطولات الإمام ما اقتصرت على ميادين العرب، فقد كان بطلًا في صفاء بصيرته وطهارة وجداهه وسحر بيانه...."^(٥).

ومن عجيب ما رواه الشيخ الصّدوق طاب ثراه بسنده عن عامر الشّعبي قال: تكلّم أمير المؤمنين عليه السلام بتسع كلمات، ارتجلهنّ ارتجلًا، ففأن عيون البلاغة، وأيتمن جواهر الحكمة، وقطّعن جميع الآنام عن اللّاحق بوحدة منها: ثلات منها في المناجاة، وثلاث منها في الحكم، وثلاث منها في الأدب. فأمّا اللاطي في المناجاة، فقال: «إلهي كفى لي عزّاً أن أكون لك عبداً، وكفى بي فخرًا أن تكون لي ربّاً، أنت كما أحبّ، فاجعلني كما تحبّ». وأمّا اللاطي في الحكم، فقال: «قيمة كلّ أمرئ ما يحسنها، وما هلك امرؤ عرف قدره، والمرء مخبّو تحت لسانه»، وأمّا اللاطي في الأدب، فقال: «امتن على من شئت تكن أميره، واحتاج إلى من شئت تكن أسيره، واستغن عن شئت تكن نظيره»^(٦).

وفي موقع آخر نجد الكاتب المسيحي جورج جرداق قد تأثر من خلال قراءته الإنسانية والحضارية والأخلاقية لعلي عليه السلام في موسوعته القيمة (علي صوت العدالة الإنسانية) فيقول: "وماذا عليك يا دنيا لو حشدت قواك فأعطيت في كلّ زمن علىّاً بعقله وقلبه ولسانه وذي فقاره".^(٧)

فالإمام علي عليه السلام عنده هو كما قال ابن أبي الحديد المعتزلي: "وانني لأطيل التعجب من رجل يخطب في الحرب بكلام يدل على أن طبعه مناسب لطبع الأسود والنمور وأمثالهما من السباع الضاربة، ثم يخطب في ذلك الموقف بعينه إذا أراد الموعظة بكلام يدل على أن طبعه مشاكل لطبع الرهبان لابسي المسوح الذين لم يأكلوا لحما ولم يريقوا دماء، فتارة يكون في صورة بسطام بن قيس الشيباني، ومتيبة بن العارث اليربوعي، وعامر بن الطفيلي العامري، وتارة يكون في صورة سقراط العبر اليوناني، ويوحنا العمدان الإسرائيلي، والمسيح ابن مریم الإلهي. وأقسام بمن تقسم

الأمم كلها به لقد قرأت هذه الخطبة منذ خمسين سنة وإلى الآن أكثر من ألف مرة، ما قرأتها فقط إلا وأحدثت عندي روعة وخوفاً وعظة، وأثرت في قلبي وجيباً وفي أعضائي رعدة، ولا تأملتها إلا وذكرت الموتى من أهلي وأقاربى وأرباب ودى، وخيلت في نفسي أني أنا ذلك الشخص الذى وصف عليه السلام حاله، وكم قد قال الوعاظون والخطباء والفصحاء في هذا المعنى، وكم وقفت على ما قالوه وتكرر وقوفي عليه، فلم أجد لشيء منه مثل تأثير هذا الكلام في نفسي، فإما أن يكون ذلك لعقيدتي في قائله، أو كانت نية القائل صالحة ويقينه كان ثابتًا، وإخلاصه كان محضاً خالصاً، فكان تأثير قوله في النفوس أعظم، وسريران موعظته في القلوب أبلغ^(٨).

هذه بعض الكلمات والأقوال قد اختبرت بصورة عشوائية من أجل أن نبين فيها كيف وقفت جميع العقول حيارى أمام شخصية أمير المؤمنين الإمام علي عليه السلام لما حازت عليه من الفضائل والمناقب.

على عليه السلام فكر يتجدد

فأي صفحة تقرأ من حياة علي عليه السلام، تجدها تجلب لك نموذجاً لا نظير له في موافقه وأفعاله.. في أحاديثه وأفكاره...

ومن الملفت للنظر أن مناقب الإمام علي عليه السلام لم تنحصر في فترة زمنية دون أخرى، وإنما كل يوم من أيامه، بل كل ساعة من ساعاته هي منقبة. وقد شوهدت مناقبه منذ لحظة ولادته، حيث فتحت له الكعبة المشرفة جدرانها، ليكون ولیدها الأوحد، وحتى آخر لحظة من حياته. إلى يومنا هذا نجد أن مناقبه وأقواله قد تركت آثارها على القاصي والداني.

وأخيراً ما قاله الرئيس السابق لـ هيئة الأمم المتحدة كوفي أناan، يوصي أحد لجانه في الأمم المتحدة بأن يدرسوا أقوال الإمام علي عليه السلام ويتأملوها جيداً، فإنه معجب بحديث الإمام علي عليه السلام الذي يقول فيه «الناس صنفان: إما أخ لك في الدين، أو

نظير لك في الخلق»^(٩).

وقد طلب من هذه اللجنة بأن توظف فلسفة الإمام علي عليه السلام في مواثيق الأمم المتحدة، وهذا إن دل على شيء فإنما يدل على أن فكر علي عليه السلام فكر متجدد وأنه صالح لكل زمان ومكان، وفي الحقيقة الواقع إنَّ الذي يقرأ سيرة أمير المؤمنين عليه السلام بوعي ثاقب ونظرية متحفصة يرى أن شخصيته عليه السلام شخصية عالمية، ولن يستوي شخصية إقليمية أو قومية أو طائفية، فهو ولِّي رسول الإنسانية عليهما السلام، ومنبع الإنسانية التي تجتمع القلوب والآراء حوله. ولكن للأسف أن العالم كله إلى الآن لم يتوصل إلى معرفة أسرار وعظامه هذه الشخصية.

فكم نحن بحاجة إلى وضع آلية نستطيع من خلالها أن نُعرِّف هذه الشخصية العظيمة للعالم، وإن كنا نُقرُّ بأنه ليس من اليسير الغوص في أعماق شخصية هذا الفذ ولا سبر غوره، ولا نستطيع أن نحيط بجوانب شخصيته، كيف وقد قال عنه رسول الله محمد عليهما السلام: «يا علي، ما عرف الله إلا أنا وأنت، وما عرفني إلا الله وأنت، وما عرفك إلا الله وأنت».^(١٠)

إلا أن هذا لا يمنع أن نفترض أن معين هذه الشخصية بقدر ما نستطيع، وبقدر ما نستطيع أن نقدمه للبشرية المتعطشة لأفكار علي عليه السلام، فإن في حياته وأقواله وما ثرَّ الكثير الكثير من الحلول لمشاكل هذا العالم الذي يعيش الانهيار على جميع الأصعدة والمستويات.

المدخل إلى علي عليه السلام

وإن كنَّا نحَا في كيفية الدخول لهذه الشخصية، وأي مسلك نسلك، إلا أننا نسلك مسلكًا هو سلكه في علاقته مع رسول الله عليهما السلام، فنتعلم منه هذا المسلك وهو مسلك (الحب)، فقد أحب رسول الله عليهما السلام حباً جعله يقدم نفسه لكي تسلم نفس رسول الله عليهما السلام، فنحن نقتفي أثره، ونحاول أن نبحث عن هذا السر

المقدس، هل يمكننا ان نكتشف جوانب منه؟ وما هو سر الأمر الإلهي المكرر والمؤكد بأن نحبه وأبناءه ونواлиهم؟ وما هو سر هذه الصلة الوثيقة، والعلاقة الوطيدة، بين حب الإمام عَلَيْهِ الْكَلَمُ وَبَيْنَ أَعْظَمِ نَعْمَ اللَّهِ، وهي الجنة، أو بمعنى آخر، لماذا جعلت الجنة لحبيه عَلَيْهِ الْكَلَمُ ومواليه؟

حقيقة الإيمان

إن حقيقة الإيمان وطبيعة العلاقة مع الله عَزَّوجلَّ تتكون من عدة عناصر متناسقة ومتالفة بحيث تشكل الأسلوب الصحيح للعلاقة مع الله عَزَّوجلَّ، وهذه العناصر قد ذكرت في مجموعة من النصوص من آيات وروايات وأدعية مثل: الرجاء، والخوف، والتضرع، والاستغفار، والحب، ووو. إلا أن الحب -الذي نحن بصدده الحديث عنه- من أفضل هذه العناصر وأقواها للوصول لله عَزَّوجلَّ.

فقد روي في جملة من النصوص الإسلامية بأن حقيقة الإيمان هو الحب، فقد ورد عن إمامنا الباقر عَلَيْهِ الْكَلَمُ قال: «الإيمان حُبٌ وبُغضٌ»^(١١) ، وعنده أيضاً عَلَيْهِ الْكَلَمُ قال: «الدِّينُ هُوَ الْحُبُّ، وَالْحُبُّ هُوَ الدِّينُ»^(١٢).

وعن الفضيل بن يسار قال: سَأَلْتُ أَبَا عَبْدِ اللَّهِ عَلَيْهِ الْكَلَمُ عَنِ الْحُبِّ وَالْبُغضِ أَمِنَّ الْإِيمَانِ هُوَ؟ فَقَالَ: «وَهُلِ الْإِيمَانُ إِلَّا الْحُبُّ وَالْبُغضُ»^(١٣).

إن من أبرز مظاهر الارتباط بالله عَزَّوجلَّ والعبودية له هي طاعة أوليائه وتوليهم، وأن من أرفع درجات الولاية المحبة الصادقة لهم، وهذا ما يظهر من آية المودة، فإننا نجد أن جميع الأنبياء الذين سبقو نبينا محمد عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ أعلنا لأقوامهم الذين عرضوا عليهم الأجر على عملهم الكبير وهدايتهم العظيمة أنهم لا يريدون أجرًا. فإن أجراهم على الله عَزَّوجلَّ، إلا أن نبينا عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ تقيّز عن سبقه بطلب الأجر على الرسالة والدعوة الكبرى التي ضحى في سبيلها بكل غال ورخيص فقال لقومه: «قُلْ لَا أَسْأَلُكُمْ عَلَيْهِ أَجْرًا إِلَّا الْمَوَدَّةَ فِي الْقُرْبَى»^(١٤) أي ما يكن أن

تقديمه لقاء هدايتكم وإنقاذكم من النار هو التقرب إلى أهل بيتي ومحبتهم. وهذه الحبة وال媿ة سوف تعود بالنفع والفائدة عليكم ولا يتصور أحدكم أن هذا النفع سيعود عليّ بل هو لكم: ﴿قُلْ مَا سَأَلْتُكُمْ مِنْ أَجْرٍ فَهُوَ لَكُمْ﴾^(١٥). وأي منفعة هذه يقول: ﴿قُلْ مَا أَسْأَلْكُمْ عَلَيْهِ مِنْ أَجْرٍ إِلَّا مَنْ شَاءَ أَنْ يَتَّخِذَ إِلَى رَبِّهِ سَبِيلًا﴾^(١٦) فهذه الحبة وال媿ة ستكون هي السبيل إلى الله والطريق للوصول إليه فهي تختصر الطريق للوصول إلى الله ﷺ فهي الموصلة إلى الغاية النهاية.

وبتعبير آخر أن الم媿ة في قربى رسول الله ﷺ هو الذي يمثل استمراراً لمنهج النبي ﷺ وقيادته، فالارتباط بذوي قرباه هو الذي يعطي الضمانة للوصول إلى الله ﷺ.

الحب الحقيقي

إن الحب الحقيقي هو الذي لا ينفصل عن العمل، بل من أحب تكون علامه حبه العمل والحركة واتباع المحبوب، وهذا ما تشير إليه الآية الكريمة: ﴿قُلْ إِنْ كُنْتُمْ تُحِبُّونَ اللَّهَ فَاتَّبِعُونِي يُخْبِئُكُمُ اللَّهُ وَيَغْفِرُ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ وَاللَّهُ غَفُورٌ رَّحِيمٌ﴾^(١٧) فالآية المباركة تبين بأنّ الحب ليس هو علاقة قلبية فحسب، بل يجب أن تظهر آثاره في عمل الإنسان. إنّ من يدعى حبّ الله، فعليه أولاً اتباع رسوله وجعله الأسوة والقدوة.

فالآية المباركة تشير إلى مسألة مهمة وهي أن من يعتقدون بأنّ الإيمان والحب والحبّة قلبية فحسب، هم غرباء على منطق الإسلام تماماً. وما يؤكّد هذا المعنى ما ورد عن إمامنا الصادق ع: «مَا أَحَبَّ اللَّهُ مَنْ عَصَاهُ»، ثمّقرأ هذه الأبيات:

تَعْصِي إِلَهَهُ وَأَنْتَ تُظْهِرُ حُبَّهُ هَذَا مُحَالٌ فِي الْفِعَالِ بَدِيعُ

لَوْ كَانَ حُبُكَ صَادِقًا لَأَطَعْتُهُ إِنَّ الْمُحِبَّ لِمَنْ يُحِبُّ مُطِيعٌ^(١٨)

ومن جهة أخرى نجد أن للحب درجات مختلفة، إلا أن الدرجة المطلوبة هي التي تؤدي إلى تغيير باطن الإنسان من الضلال إلى الهدى، من الانحراف إلى الاستقامة ومن الكفر إلى الإيمان، هذا ما تبيّنه العبارة الواردة في الصحيفة: «وَنَعْمَةُ اللَّهِ مُحَمَّدٌ وَأَهْلُ بَيْتِهِ، حُبُّهُمْ إِيمَانٌ يُدْخِلُ الْجَنَّةَ، وَبُغْضُهُمْ كُفْرٌ وَنِفَاقٌ يُدْخِلُ النَّارَ»^(١٩).

فالحب في واقعه هو الذي يسهل سبيل الطاعة. بل الطاعة ليست سوى إحدى لوازم الحب، وبقدر الحب تكون الطاعة، وذلك لأن القلب كما يقول أمير الكلام عَلَيْهِ السَّلَامُ: «.. الْقَلْبُ أَمِيرٌ مُسْلِطٌ عَلَى الْجَوَارِحِ وَالرَّعْيَةِ تَبِعُ أَمِيرِهَا..»^(٢٠) فكل الأفعال التي تصدر من الأعضاء والجوارح، إنما تكون بإمرة القلب. وهذا الدور مرتبط بالشيء المحبوب الذي تعلق به القلب، وهذا قيل إذا صلح القلب صلح الإنسان بصلاح أعماله.

من هنا نستطيع أن نعرف معنى الكلمة المأثورة عن إمامنا الصادق عَلَيْهِ السَّلَامُ: «وَهُلِ الدِّينُ إِلَّا الْحُبُّ»^(٢١) ومن خلال هذا الحديث الشريف نعرف قيمة الحب ودوره المركزي، حيث أضحى أحد أهم مميزات الإسلام.

محبة أولياء الله

وفي حديث عن مولى المتّقين علي عَلَيْهِ السَّلَامُ قال: «.. مَنْ سَرَهُ أَنْ يَعْلَمَ أَمْحَبَّ لَنَا أَمْ مُبْغَضَ فَلَيَمْتَحِنْ قَلْبَهُ فَإِنْ كَانَ يُحِبُّ وَلِيًّا لَنَا فَلَيَسْ بِمُبْغِضٍ لَنَا وَإِنْ كَانَ يُبغِضُ وَلِيًّا لَنَا فَلَيَسْ بِمُحِبٍّ لَنَا»^(٢٢) وفي هذا الحديث الشريف علامه قوية الدلالة، على أن أهل البيت عَلَيْهِمُ السَّلَامُ وإن غابوا عنا إلا أن أولياءهم موجودون بيننا فأنهم حجة علينا، ومحبتنا لهم هي محبة متصلة بأهل البيت عَلَيْهِمُ السَّلَامُ.

وفي هذا السياق نجد جواب الإمام الباقر عَلَيْهِ السَّلَامُ لسائل سائله إذا كان فيه خير أم لا؟ فقال عَلَيْهِ السَّلَامُ: «إِذَا أَرَدْتَ أَنْ تَعْلَمَ أَنْ فِيكَ خَيْرًا فَانْظُرْ إِلَى قَلْبِكَ فَإِنْ كَانَ يُحِبُّ

أَهْل طَاعَةِ اللَّهِ وَيُغْضَبُ أَهْلَ مَعْصِيَتِهِ فِينِكَ خَيْرٌ وَاللَّهُ يُحِبُّكَ وَإِذَا كَانَ يُغْضَبُ أَهْلَ طَاعَةِ اللَّهِ وَيُحِبُّ أَهْلَ مَعْصِيَتِهِ فَلَيْسَ فِينِكَ خَيْرٌ وَاللَّهُ يُغْضَبُ الْمَرءَ مَعَ مَنْ أَحَبَ»^(٢٣).
فَأَصْلُ الْخَيْرِ هُوَ حُبُّ اللَّهِ عَزَّوَجَلَّ. وَظُهُورُ هَذَا الْخَيْرِ فِي حُبِّ أُولَائِهِ وَعِبَادَهُ الصَّالِحِينَ.

محبة علي عليه السلام

ونختم الكلام بما رواه الصدوق عليه السلام في كتاب فضائل الشيعة، عن النبي صلوات الله عليه عليه السلام أنه قال في حديث طويل: «ألا ومن أحب علينا فقد أحبني ومن أحبني فقد رضي الله عنه، ومن رضي عنه كافأه الجنة، ألا ومن أحب علينا لا يخرج من الدنيا حتى يشرب من الكوثر، ويأكل من طوبى ويروى مكانه في الجنة. ألا ومن أحب علينا فتحت له أبواب الجنة الثمانية يدخلها من أي باب شاء بغير حساب، ألا ومن أحب علينا أعطاه الله كتابه يمينه وحاسبه حساب الأنبياء، ألا ومن أحب علينا هو ن الله عليه سكرات الموت وجعل قبره روضة من رياض الجنة، ألا ومن أحب علينا أعطاه الله بكل عرق في بدنها حوراء وشفع في ثمانين من أهل بيته وله بكل شعرة في بدنها حوراء ومدينة في الجنة، ألا ومن أحب علينا بعث الله إليه ملك الموت كما يبعث إلى الأنبياء ودفع الله عنه هول منكر ونكير وبغض وجهه وكان مع حمزة سيد الشهداء، ألا ومن أحب علينا جاء يوم القيمة ووجهه كالقمر ليلة البدر، ألا ومن أحب علينا وضع على رأسه تاج الملك وأليس حلة الكرامة، ألا ومن أحب علينا جاز على الصراط كالبرق الخاطف، ألا ومن أحب علينا كتب الله له براءة من النار وجوازا على الصراط وأمانا من العذاب ولم ينشر له ديوان ولم ينصب له ميزان وقبل له الدخول الجنة بلا حساب، ألا ومن أحب آل محمد أمن من الحساب والميزان والصراط، ألا ومن مات على حب آل محمد لم يشم رائحة الجنة»^(٢٤).

نَسَأَ اللَّهُ عَزَّوَجَلَّ أَن يثبِّتنا عَلَى مَحْبَةِ عَلِيٍّ عَلَيْهِ السَّلَامُ وَأَن يُرْزَقَنَا شَفاعةَ عَلِيٍّ عَلَيْهِ السَّلَامُ إِنَّه

عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ.



المواهش:

- (١) الغدير ٢: ٣٣.
- (٢) مقدمة نهج البلاغة للشريف الرضي عليه السلام.
- (٣) نهج الصباغة، ج ١٠، ص ٣٤٩.
- (٤) الإمام علي صوت العدالة الإنسانية: ٥/ ٢١٨.
- (٥) المصدر السابق.
- (٦) الأمثال والحكم المستخرجة من نهج البلاغة، ص ٣٤٢.
- (٧) علي صوت العدالة الإنسانية ١ / ٤٩.
- (٨) شرح نهج البلاغة (ابن أبي الحديد)، ج ١١، ص ١٥٣.
- (٩) تصنیف نهج البلاغة، ص ٥٩٤.
- (١٠) روضة المتقين في شرح من لا يحضره الفقيه، ج ٥، ص: ٤٩.
- (١١) بحار الأنوار ج: ٧٥ ص: ١٧٥.
- (١٢) وسائل الشيعة ج: ١٦ ص: ١٧١.
- (١٣) وسائل الشيعة ج: ١٦ ص: ١٧٠.
- (١٤) الشورى (٢٣).
- (١٥) سبأ (٤٧).
- (١٦) الفرقان (٥٧).
- (١٧) سورة آل عمران (٣١).
- (١٨) وسائل الشيعة ج: ١٥ ص: ٣٠٨.
- (١٩) الصحيفة السجادية ص: ٢٠.
- (٢٠) شرح نهج البلاغة ج: ٢٠ ص: ٦٩.
- (٢١) وسائل الشيعة ج: ١٦ ص: ١٧٢.
- (٢٢) بحار الأنوار ج: ٢٧ ص: ٥٤.
- (٢٣) وسائل الشيعة ج: ١٦ ص: ١٨٤.
- (٢٤) بحار الأنوار ج: ٧ ص: ٢٢٢.



ابن تيمية والآيات النازلة

في شأن الإمام علي عليه السلام

خازبي عبد الرحمن استمك

المقدمة

يُعتبر كتاب منهاج السنة النبوية لابن تيمية^(١) الحراني -الذي يأتي كردًا على كتاب منهاج الكرامة في معرفة الإمامة لابن مطهر العلامة الحلي قتيله- من الكتب التي لفت أنظار الباحثين، لا لميزة علمية في الكتاب، بل لجدل أثاره تحبّط الكاتب.

حيث تفنن ابن تيمية في منهاجه -في سبيل الانتصار لآرائه الشاذة- بكثرة دعوى الإجماع وتکذيب الآخر والسب والشتم، بل الافتراء زوراً وبهتانًا، فهذا هو الشيخ نصير الدين الطوسي قتيله وتلميذه العلامة ابن المطهر الحلي قتيله، وهما من

كبار الطائفة الشيعية ولهما مكانة جليلة عند علماء الإسلام، ينالان القسم الأكبر من سبابه وشتائمه وافتراءاته، حيث يقول في معرض حديثه عن الشيخ نصير الدين الطوسي: "ومن المشهور عنه -يعني الشيخ نصير الدين الطوسي- وعن أتباعه الاستهتار بواجبات الإسلام ومحرماته، لا يحافظون على الفرائض كالصلوات، ولا ينزعون عن محارم الله من الفواحش والخمر وغير ذلك من المنكرات، حتى أنهم في شهر رمضان يذكرون عليهم إضاعة الصلوات، وارتكاب الفواحش، وشرب الخمور، وما يعرفه أهل الخبرة بهم، ولم يكن لهم قوة وظاهر إلا مع المشركين الذين دينهم شرّ من دين اليهود والنصارى. وبالجملة فأمر هذا الطوسي وأتباعه عند المسلمين أشهر وأعرف من أن يعرف ويوصف".^(٢)

وجاء في مقدمة منهاجه تعريضاً بالعلامة الحلي تتبّعه وكتابه: "وهذا المصنف سمى كتابه منهاج الكرامة في معرفة الإمامة، وهو خلائق بأن يُسمى منهاج الندامة. كما أنّ من ادعى الطهارة -وهو من الذين لم يُرد الله أن يطهر قلوبهم، بل من أهل العجب والطاغوت والنفاق- كان وصفه بالنجاسة والتکدير أولى من وصفه بالتطهير".^(٣)

ولم يقف عند هذا الحدّ، بل قاده عدم اتزانه العلمي وتعصبه إلى تكذيب مناقب وفضائل أهل البيت عليهم السلام -بشكل عام- والإمام علي عليه السلام-بشكل خاص -المتوترة عند الفريقين، وتبrier مطالب وجرائم أعدائهم وخصومهم من بنى أمية -بشكل عام- ومعاوية بن أبي سفيان -بشكل خاص- المتسالم عليها عند عموم الخاصة ومنصفي العامة. وهذه هي الغاية القصوى التي أرادها من كتابه منهاج السنة.

يقول في منهاجه عن أهل البيت عليهم السلام، وهم الذين اصطفاهم الله وطهرهم تطهيراً: "إنّ فكرة تقديم آل الرسول هي من أثر الجاهلية في تقديم أهل بيت

الرؤساء^(٤).

ويقول في مورد آخر وهو ينفي أن تكون هناك مصلحة من وجود أهل البيت عَلَيْهِمُ السَّلَام مخالفًا بذلك ما ورد عن الرسول عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَامُهُ في حديث التقلين: "لم يحصل بهم شيء من المصلحة واللطف"^(٥).

ويقول في معرض حديثه عن حروب الإمام علي عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَامُهُ ومبرير أفعال خصومه: "علي إِنَّمَا قاتل الناس على طاعته، لا على طاعة الله. ويضيف قائلاً: فمن قدح في معاوية بأنه كان باغياً قال له النواصب: وعلى أَيْضًا كان باغياً ظالماً، قاتل الناس على إمارته وصال عليهم، فمن قتل النفوس على طاعته كان مریداً للعلو في الأرض والفساد، وهذا حال فرعون، والله تعالى يقول: ﴿تُلْكَ الدَّارُ الْآخِرَةُ نَجْعَلُهَا لِلَّذِينَ لَا يُرِيدُونَ عُلُوًّا فِي الْأَرْضِ وَلَا فَسَادًا وَالْعَاقِبَةُ لِلْمُتَقْبِنِ﴾، فمن أراد العلو في الأرض والفساد لم يكن من أهل السعادة في الآخرة"^(٦).

ويقول في مورد آخر معلقاً على قتال الإمام علي عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَامُهُ للناكثين والقاسطين والمارقين الذين أخبره الرسول عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَامُهُ بقتالهم: "ليس علينا أن نبایع عاجزاً عن العدل علينا ولا تاركاً له، فائمة السنة يسلّمون أنه ما كان القتال مأموراً به لا واجباً ولا مستحباً"^(٧).

وقال أيضاً: "فلا رأي أعظم ذمّاً من رأي أريق به دم ألف مولفة من المسلمين، ولم يحصل بقتالهم مصلحة للمسلمين لا في دينهم ولا في دنياهم بل نقص الخير كما كان وزاد الشر على ما كان..."^(٨).

فلهذا نلاحظ أن ابن حجر العسقلاني يقول عن ابن تيمية في لسان الميزان: "وجدته كثير التحامل إلى الغاية في رد الأحاديث التي يوردها ابن المطهر، وإن كان معظم ذلك من الموضوعات والواهيات، لكنه رد في رده كثيراً من الأحاديث العجیاد التي لم يستحضر حالة التصنيف مظاہها، لأنّه كان لاتساعه في الحفظ يتکل على ما

في صدره، والإنسان عامد للنسopian، وكم من مبالغة لتوهين كلام الرافضي أدته أحياناً
إلى تتفليس على خليفة الله "⁹".

ويؤكد هذا المعنى -أي التسرع في رد الأحاديث الصحيحة وتكذيبها من قبل ابن تيمية- الألباني في كتابه سلسلة الأحاديث الصحيحة في معرض تصحيحه لحديث الغدير: "إذا عرفت هذا فقد كان الدافع لتحرير الكلام على الحديث وبيان صحته، أتني رأيت شيخ الإسلام ابن تيمية قد ضعف الشطر الأول من الحديث، وأما الشطر الآخر فزعم أنه كذب، وهذا من مبالغاته الناتجة في تقديره من تسرعه في تضليل الأحاديث قبل أن يجمع طرقها، ويدقق النظر فيها، والله المستعان" (١٠).

وقال الألباني أيضاً في معرض تصحيحه لحديث الولاية: " فمن العجيب حقاً أن يتجرأ شيخ الإسلام ابن تيمية على إنكار هذا الحديث وتكذيبه في منهج السنة... إلى أن قال: فلا أدري بعد ذلك وجه تكذيبه للحديث، إلا التسرع والبالغة في الرد على الشيعة" (١١).

رأي علماء أهل السنة والجماعة في ابن تيمية وعقيدته

قال ابن جهبل في مقدمة رده على ابن تيمية ومذهب الحشوية الذي يتبعها
بعد أن ينتقد مذهب الحشوية الذي تبعاه ابن تيمية: "أدعى -أي ابن تيمية- أنه
يقول بما قاله الله ورسوله ﷺ والسابقون الأولون من المهاجرين والأنصار ~~جئنهم~~. ثم
إنه قال ما لم يقله الله ولا رسوله ولا السابقون الأولون من المهاجرين والأنصار ولا
شيئاً منه" (١٢).

وقال الحافظ السبكي في مقدمة كتابه الدرة المضيئة في الرد على ابن تيمية:
”أما بعد فإنه لما أحدث ابن تيمية في أصول العقائد، ونقض من دعائم الإسلام
الأركان والمعاقد. بعد أن كان مسترًا بتبعية الكتاب والسنة، مظهراً أنه داع إلى الحق،

هادٍ إلى الجنة، فخرج عن الاتباع إلى الابداع، وشدَّ عن جماعة المسلمين بمخالفة الإجماع، وقال بما يقتضي الجسمية والتركيب في الذات المقدسة، وإنَّ الافتقار إلى الجزء ليس بمحال، وقال بحلول الحوادث بذات الله تعالى...^(١٣).

وقال اليافعي في مرآة الجنان: "كان ابن تيمية يقول: ﴿الرَّحْمَنُ عَلَى الْعَرْشِ اسْتَوَى﴾ استواءً حقيقة. وأنَّه يتكلم بحرف وصوت، وقد نودي في دمشق وغيرها: من كان على عقيدة ابن تيمية حلٌّ ماله ودمه. وقال في حوادث (سنة ٧٢٨هـ): "وله مسائل غريبة أُنكر عليها وحُبس بسببها، مبادئه لمذهب أهل السنة، ثم عُذِّ له قبائح، قال: ومن أقبحها نهيه عن زيارة النبي ﷺ".^(١٤)

وقال أبو بكر الحصيني الدمشقي في ردِّه على ابن تيمية: "فاعلم أَنِّي نظرت في كلام هذا الغبيث الذي في قلبه مرض الرذيج، المتبع ما تشابه من الكتاب والسنة ابتفاء الفتنة، وتبعه على ذلك خلق من العوام وغيرهم ممن أراد الله بِهِمْ إهلاكه، فوجدت فيه ما لا أقدر على النطق به، ولا لي أنامل تطاوعني على رسمه وتسطيره، لما فيه من تكذيب رب العالمين، في تتربيه لنفسه في كتابه المبين، وكذا الازدراء بأصنفياته المنتخبين وخلفائهم الراشدين، وأتباعهم الموقفين، فعدلت عن ذلك إلى ذكر ما ذكره الأئمة المتقوون، وما اتفقا عليه من تبعيده وإخراجه ببغضه من الدين".^(١٥)

وقال ابن حجر العسقلاني في ترجمة ابن تيمية في كتابه الدرر الكامنة في أعيان المائة الثامنة: "وافترق الناس فيه -أي في ابن تيمية- شيئاً، فمنهم من نسبه إلى التجسيم، لما ذكر في العقيدة الحموية والواسطية وغيرهما من ذلك قوله: إنَّ اليد والقدم والساقي والوجه صفات حقيقية لله، وأنَّه مستُّ على العرش بذاته، ومنهم من ينسبه إلى الزندقة، لقوله: إنَّ النبي لا يستغاث به، وإنَّ في ذلك تنقيضاً ومنعاً من تعظيم النبي، ومنهم من ينسبه إلى النفاق لقوله في علي ما تقدم^(١٦)، ولقوله أنَّه كان مخدولاً حيثما توجه، وأنَّه حاول الخلافة مراراً فلم ينلها، إنَّما قاتل للرئاسة لا

للديانة، ولقوله أَنَّهُ كَانَ يُحِبُ الرِئَاسَةَ، وَأَنَّ عُثْمَانَ كَانَ يُحِبُ الْمَالَ، ولقوله أَبُو بَكْرُ أَسْلَمَ شِيخًا يَدْرِي مَا يَقُولُ، وَعَلَى أَسْلَمَ صَبِيًّا وَالصَبِيُّ لَا يَصْحُ إِسْلَامُهُ عَلَى قَوْلٍ^(١٧).

وقال الشيخ محمد الكوثري المصري في مقدمة كتاب السيف الصقيل للسبكي: "وقد استمرت فتن المخدوعين من الرواة على طول القرون مجيبة لسخط الله تعالى ولاستخاف العقلاة من غير أن يخطر ببال عاقل أن يناضل عن سخافات هؤلاء، إلى أن نبغ في أواخر القرن السابع بدمشق حراني تجرّد للدعوة إلى مذهب هؤلاء الحشووية السخفاء متظاهراً بالجمع بين العقل والنقل على حسب فهمه من الكتب بدون أستاذ يرشده في مواطن الزلل، وحاشا العقل الناهض والنقل الصحيح أن يتضادا في الدفاع عن تحرير السخفاء إلا إذا كان العقل عقل صابئ والنقل نقل صبيّ، وكم انخدع بخزعبلاته أناس ليسوا من التأهل للجمع بين الرواية والدراءة في شيء وله مع خلطائه هؤلاء موقف في يوم القيمة لا يُفْبِطُ عليه. ومن درس حياته يجدها كلها فتن لا يشيرها حافظٌ بعقله غير مصابٍ في دينه، وأَنَّ يوجد نص صريح منقول أو برهان صحيح معقول يثبت الجهة، والحركة، والثقل، والمكان، ونحوها لله سبحانه؟...الخ، إلى أن يقول: وكل ما في الرجل أَنَّهُ كَانَ لَهُ لسان طلاق، وقلم سيال، وحافظة جيدة، قلب بنفسه -بدون أستاذ رشيد-. صفحات كتب كثيرة جداً من كتب التحل التي كانت دمشق امتلأت بها بواسطة الجوافل من استيلاء المغول على بلاد الشرق، فاغترّ بما فهمه من تلك الكتب من الوساوس والهواجس، حتى طمحت نفسه إلى أن تكون قدوة في المعتقد والأحكام العملية ففاه في القبيلين بما لم يفه به أحد من العالمين مما هو وصمة عار وأمارة مروق في نظر الناظرين، فانقضّ من حوله أناس كانوا تعجلوا في إطرائه بادئ بدء قبل تجربته، وتخلوا عنه واحداً إثر واحد على تعاقب فته المدونة في كتب التاريخ، ولم يبق معه إلا أهل مذهبة في الحشو من جهله المقددة، ومن ظنَّ أَنَّ علماء عصره صاروا كلاماً إلَّا واحداً ضده حسداً من عند أنفسهم فليتهم عقله وإدراكه قبل اتهام الآخرين، بعد أن درس مبلغ بشاعة شواده في

الاعتقاد والعمل وهو لم يزل يُستتاب استتابة إثر استتابة، وينقل من سجن إلى سجن إلى أن أفضى إلى ما عمل وهو مسجون قُبْر هو وأهواه في البابين بموته وببردود العلامة عليه وما هي ببعيدة عن متناول روّاد الحقائق^(١٨).

رسالة الحافظ الذهبي لابن تيمية

قال الحافظ شمس الدين الذهبي^(١٩) مؤرخ الشام ومحدثها الكبير في رسالته التي بعثها ابن تيمية ينصحه فيها: "الحمد لله على ذلّتي يا رب ارحمني وأقلّني عشرتي، واحفظ على إيماني واحزنناه على فلة حزني، وأسفاه على السنة وذهب أهلها. إلى كم ترى القذاة في عين أخيك وتتسى الجذع في عينك؟ إلى كم تمدح نفسك وشقاشقك^(٢٠) وعبارتك وتذمّ العلماء وتتّبع عورات الناس؟ مع علمك بنهي الرسول ﷺ: "لا تذكروا موتاكم إلا بخير، فإنّهم قد أفضوا إلى ما قدّموا" بل أعرف أنك تقول لي لتتصر نفسك. يا رجل بالله عليك كف عنّا، فإنك محاجج عليم اللسان لا تقر ولا تنام، إياكم والغلوطات في الدين، كره نبيك المسائل وعابها ونهى عن كثرة السؤال وقال: "إن أخواف ما أخاف على أمتي كل منافق عليم اللسان" وكثرة الكلام بغير ذل، تقسي القلب إذا كان في الحلال والحرام فكيف إذا كان في عبارات اليونسية والفلسفية وتلك الكفرات التي تعمي القلوب، والله قد صرنا ضحكة في الوجود، فإلى كم تتبش دقائق الكفرات الفلسفية؟ لنرد عليها بعقولنا، يا رجل! قد بللت سموم الفلسفه وتصنيفاتهم مرات، وكثرة استعمال السموم يدمّن عليه الجسم، وتکمن والله في البدن، واشوقاء إلى مجلس فيه تلاوة بتدبر، وخشية بتذكر، وصمت بتذكر. يا خيبة من اتبعك فإنه معرض للزندقة والانحلال، ولا سيما إذا كان قليل العلم والدين باطوليًّا شهوانياً، لكنه ينفعك ويجاهد عنك بيده ولسانه، وفي الباطن عدو لك بحاله وقلبه. فهل معظم أتباعك إلا قعيد مربوط خفيف العقل؟ أو عاميّ كذاب بليد الذهن، أو غريب واجم قوي المكر؟ أو ناشف صالح عديم الفهم؟ فإن لم

تصدقني ففتشهم وزنهم بالعدل، يا مسلم أقدم حمار شهوتك مدح نفسك، إلى كم تصادقها وتعادي الأخيار؟ إلى كم تصادقها وتزدرى الأبرار؟ إلى كم تعظمها وتصفر العباد؟ إلى متى تخاللها وتمقت الزهاد؟ إلى متى تمدح كلامك بكيفية لا تمدح - والله- بها أحاديث الصحيحين؟ يا ليت أحاديث الصحيحين تسلم منك. بل في كل وقت تغير عليها بالتضليل والإهدار، أو التأويل والإنكار، أما آن لك أن ترعوي؟ أما حان لك أن تتوّب وتتّيب؟ أما أنت في عشر السبعين وقد قرب الرحيل؟ بلى - والله- ما ذكر أتّك تذكر الموت، بل تزدرى بمن يذكر الموت. فما أظنّك تقبل على قولي ولا تصفي إلى عظي، بل لك همة كبيرة في نقض هذه الورقة بمجلدات، وتقطع لي أذناب الكلام، ولا تزال تتصرّ حتى أقول البتة سكت، فإذا كان هذا حالك عندي وأنا الشفوق المحب الواد، فكيف حالك عند أعدائك؟ وأعداؤك - والله- فيهم صلحاء وعقلاء وفضلاء، كما آن أولياءك فيهم فجرة وكذبة وجهلة وبطلة وعور وبقر، قد رضيتك بأن تسبّني علانية، وتنتفع بمقالاتي سراً، فرحم الله امرءاً أهدي إلى عيوبك، فإني كثير العيوب، غزير الذنب، الويل لي إن أنا لا أتوب، وافتبيحتي من علام الفيوض! دوائي عفو الله ومسامحته وتوفيقه وهدايته والحمد لله رب العالمين، وصلى الله على سيدنا محمد خاتم النبيين وعلى آله وصحبه أجمعين^(٢١).

ابن تيمية وآية ﴿إِنَّمَا وَلِيُّكُمُ اللَّهُ وَرَسُولُهُ وَالَّذِينَ آمَنُوا﴾

ادعى ابن تيمية أنّ القول بنزول قوله تعالى: **﴿إِنَّمَا وَلِيُّكُمُ اللَّهُ وَرَسُولُهُ وَالَّذِينَ آمَنُوا الَّذِينَ يُقِيمُونَ الصَّلَاةَ وَيُؤْتُونَ الزَّكَةَ وَهُمْ رَاكِعُونَ﴾**^(٢٢) في الإمام علي عليه السلام كذب.

حيث قال في منهاجه: "وقد وضع بعض الكذابين حديثاً مفترىً: أنّ هذه الآية نزلت في علي لما تصدق بخاتمه في الصلاة، وهذا كذب بإجماع أهل العلم بالنقل"^(٢٣). وقال: "أجمع أهل العلم بالنقل على أنّها لم تنزل في علي بخصوصه، وأنّ علياً

لم يتصدق بخاتمه في الصلاة، وأجمع أهل العلم بالحديث على أنّ القصة المروية في ذلك من الكذب الموضوع^(٢٤).

وقال: "جمهور الأمة لم تسمع هذا الخبر"^(٢٥).

علماء أهل السنة والجماعة وشأن نزول الآية

١- القاضي الإيجي المتوفى سنة ٧٥٦ هـ ينقل في كتابه المواقف في علم الكلام وهو من أهم متون أهل السنة في علم الكلام وأصول الدين - إجماع المفسرين على نزول الآية المباركة في هذه القضية الخاصة المتعلقة بأمير المؤمنين عَلَيْهِ الْكَرَمُ الْعَظِيمُ، حيث قال: "وأجمع أئمة التفسير أن المراد على"^(٢٦).

٢- الشريف المرجاني المتوفي سنة ٨١٦ هـ ، قال في كتابه شرح المواقف في علم الكلام: "وقد أجمع أئمة التفسير على أن المراد به ﴿الَّذِينَ يُقِيمُونَ الصَّلَاةَ﴾ إلى قوله تعالى: ﴿وَهُمْ رَاكِعُونَ﴾ علي، فإنه كان في الصلاة راكعاً، فسأله سائل فأعطاه خاتمه، فنزلت الآية^(٢٧).

٣- سعد الدين التفتازاني المتوفى سنة ٧٩٣ هـ قال في كتابه شرح المقاصد في علم الكلام: "أنّ قوله تعالى: ﴿إِنَّمَا وَلِيُّكُمُ اللَّهُ وَرَسُولُهُ وَالَّذِينَ آمَنُوا إِنَّمَا وَلِيُّكُمُ اللَّهُ وَرَسُولُهُ وَالَّذِينَ آمَنُوا إِنَّمَا وَلِيُّكُمُ اللَّهُ وَرَسُولُهُ وَالَّذِينَ آمَنُوا إِنَّمَا وَلِيُّكُمُ اللَّهُ وَرَسُولُهُ وَالَّذِينَ آمَنُوا﴾ نزلت باتفاق المفسرين في علي بن أبي طالب ع حين أعطى السائل خاتمه وهو راكع في صلاته"^(٢٨).

٤- أخرج ابن الأثير في جامع الأصول، عن رزين الحافظ، عن النسائي، ما نصه: "عبد الله بن سلام - ع - قال: أتيت رسول الله ص ورهط من قومي، فقلنا: إنّ قومنا حادونا لما صدقنا الله ورسوله، وأقسموا لا يكلمونا، فأنزل الله تعالى: ﴿إِنَّمَا وَلِيُّكُمُ اللَّهُ وَرَسُولُهُ وَالَّذِينَ آمَنُوا﴾، ثم أذن بلال لصلاة الظهر، فقام الناس يصلون، فمن بين ساجدٍ وراكعٍ، إذا سائل يسأل، فأعطاه عليٌّ خاتمه وهو راكع، فأخبر السائل رسول الله ص، فقرأ علينا رسول الله ص: ﴿إِنَّمَا وَلِيُّكُمُ اللَّهُ وَرَسُولُهُ وَالَّذِينَ آمَنُوا﴾".

وَالَّذِينَ آمَنُوا الَّذِينَ يُقِيمُونَ الصَّلَاةَ وَيُؤْتُونَ الزَّكَةَ وَهُمْ رَاكِعُونَ * وَمَنْ يَتَوَكَّلُ اللَّهَ وَرَسُولَهُ وَالَّذِينَ آمَنُوا فَإِنَّ حِزْبَ اللَّهِ هُمُ الْغَالِبُونَ ﴿٢٩﴾، أخرجه رذين^(٢٩). و”رزين“ هو: رزين بن معاوية العبدري، المتوفى سنة ٥٣٥ هـ كما في سير أعلام النبلاء، وقد وصفه الذهبي بن ”الإمام المحدث الشهير“^(٣٠).

٥- أخرج ابن أبي حاتم بتفسير الآية، قال: ”حدثنا الربيع بن سليمان المرادي، ثنا أبوبن سويد، عن عتبة بن أبي حكيم في قوله: ﴿إِنَّمَا وَلِيَكُمُ اللَّهُ وَرَسُولُهُ وَالَّذِينَ آمَنُوا﴾، قال: علي بن أبي طالب.

حدثنا أبو سعيد الأشج، ثنا الفضل بن دكين أبو نعيم الأحول، ثنا موسى بن قيس العضرمي، عن سلمة بن كهيل قال: تصدق على بخاته وهو راكع، فنزلت: ﴿إِنَّمَا وَلِيَكُمُ اللَّهُ وَرَسُولُهُ وَالَّذِينَ آمَنُوا الَّذِينَ يُقِيمُونَ الصَّلَاةَ وَيُؤْتُونَ الزَّكَةَ وَهُمْ رَاكِعُونَ﴾^(٣١).

٦- وأخرج أبو جعفر الطبرى قال: ”حدثنا إسماعيل بن إسرائيل الرملى قال: ثنا أبوبن سويد قال: ثنا عتبة بن أبي حكيم في هذه الآية ﴿إِنَّمَا وَلِيَكُمُ اللَّهُ وَرَسُولُهُ وَالَّذِينَ آمَنُوا﴾، قال: علي بن أبي طالب.

حدثني العرث قال: ثنا عبد العزيز قال: ثنا غالب بن عبد الله قال: سمعت مجاهداً يقول في قوله: ﴿إِنَّمَا وَلِيَكُمُ اللَّهُ وَرَسُولُهُ﴾ الآية. قال: نزلت في علي بن أبي طالب، تصدق وهو راكع^(٣٢).

٧- قال جلال الدين السيوطي في الدر المنثور: ”وأخرج عبد الرزاق، وعبد بن حميد، وابن جرير، وأبو الشيخ، وابن مردويه، عن ابن عباس في قوله تعالى: ﴿إِنَّمَا وَلِيَكُمُ اللَّهُ وَرَسُولُهُ﴾ الآية. قال: ”نزلت في علي بن أبي طالب“. وقال: وأخرج ابن أبي حاتم، وأبو الشيخ، وابن عساكر، عن سلمة بن كهيل قال: ”تصدق على بخاته وهو راكع فنزلت: ﴿إِنَّمَا وَلِيَكُمُ اللَّهُ ...﴾ الآية^(٣٣).



٨- وقال الآلوسي في تفسير روح المعاني: "وغالب الاخباريين على أنها نزلت في علي كرم الله تعالى وجهه".^(٣٤)

وهناك الكثير من المصادر المشهورة عند أهل السنة والجماعة تنص على نزول هذه الآية المباركة في الإمام علي عليه السلام بأسانيد معتبرة وصححها على مباني أهل السنة والجماعة في علم الرجال.

ولا أدرى عن أي إجماع يتكلم ابن تيمية في منهاجه وعن أي كذب حينما قال: "أجمع أهل العلم بالنقل على أنها لم تنزل في علي بخصوصه، وأن علياً لم يتصدق بخاتمه في الصلاة، وأجمع أهل العلم بالحديث على أن القصة المروية في ذلك من الكذب الموضوع".^(٣٥)

نعم، لعل مقصوده إجماع النواصِب منهم خاصة، ولكن حينئذ لا بد أن يكون ابن تيمية واحداً منهم، لأنَّه قال بمقالاتهم، واستدل بإجماعهم، وليس ذلك منه بعيد.

ابن تيمية وآية ﴿وَتَعِيهَا أُذُنْ وَأَعِيَّة﴾

ادعى ابن تيمية اتفاق أهل العلم على أن الحديث الذي أشار إلى نزول هذه الآية: ﴿وَتَعِيهَا أُذُنْ وَأَعِيَّة﴾^(٣٦) في الإمام علي عليه السلام، هو حديث موضوع، حيث قال: "إنه حديث موضوع باتفاق أهل العلم".^(٣٧)

علماء أهل السنة والجماعة وشأن نزول الآية

١- ذكر الطبرى في تفسيره: "حدثنا علي بن سهل، قال: ثنا الوليد بن مسلم عن علي بن حوشب قال: سمعت مكحولاً يقول: قرأ رسول الله ﷺ ﴿وَتَعِيهَا أُذُنْ وَأَعِيَّة﴾، ثم التفت إلى علي فقال: سأله أن يجعلها أذنك، قال علي عليهما السلام: فما سمعت شيئاً من رسول الله ﷺ ففسيته".

حدثني محمد بن خلف، قال: ثنا بشر بن آدم، قال ثنا عبد الله بن الزبير، قال:
 ثنا عبد الله بن رستم، قال سمعت بريدة يقول: سمعت رسول الله ﷺ يقول لعلي: يا
 علي إن الله أمرني أن أدنىك ولا أقصيك وأن أعلمك وأن تعي، وحق على الله أن تعي،
 قال: ونزلت **﴿أذنٌ واعية﴾**.

حدثني محمد بن خلف، قال: ثنا الحسن بن حماد، قال: ثنا إسماعيل بن
 إبراهيم أبو يحيى التيمي عن فضيل بن عبد الله عن أبي داود عن داود عن بريدة
 الأسلمي قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول لعلي: إن الله أمرني أن أعلمك وأن أدنىك
 ولا أجفوك ولا أقصيك ثم ذكر مثله ^(٣٨).

٢ - وذكر الحافظ أبو نعيم في حلية الأولياء: "حدثني أبي عن أبيه جعفر عن
 أبيه محمد بن عبد الله عن أبيه محمد عن أبيه عمر عن أبيه علي قال: قال رسول
 الله ﷺ: يا علي إن الله أمرني أن أدنىك وأعلمك لتعي وأنزلت هذه الآية: **﴿وَتَعِيهَا**
أذنٌ واعية﴾، فأنت أذن واعية لعلمي" ^(٣٩).

٣ - وذكر الواحدي النيسابوري في أسباب النزول: "حدثنا أبو بكر التميمي،
 أخبرنا عبد الله بن محمد بن جعفر، أخبرنا الوليد بن أبان، أخبرنا العباس الدوري،
 أخبرنا بشر بن آدم، أخبرنا عبد الله بن الزبير، قال: سمعت صالح بن هشيم يقول:
 سمعت بريدة يقول: قال رسول الله لعلي: إن الله أمرني أن أدنىك ولا أقصيك وأن
 أعلمك وتعي وحق على الله أن تعي فنزلت: **﴿وَتَعِيهَا أذنٌ واعية﴾**" ^(٤٠).

٤ - وأورد الرمخري في تفسيره الكشاف: "وعن النبي ﷺ أنه قال
 علي عليه السلام عند نزول هذه الآية: سألت الله أن يجعلها أذنك يا علي، قال
 علي عليه السلام: مما نسيت شيئاً بعد، وما كان لي أن أنسى" ^(٤١).

٥ - وذكر المناوي في الكواكب الدرية: "قال رسول الله ﷺ لعلي: إن الله
 أمرني أن أدنىك وأعلمك لتعي" ^(٤٢).

ولا أدرى، هل أخرج ابن تيمية هؤلاء العلماء -وغيرهم الكثير-، من أهل العلم، حيث إنّهم لم يتفقوا معه في دعواه: "إنه حديث موضوع باتفاق أهل العلم".^(٤٣)

ابن تيمية وآية ﴿الَّذِينَ يُنْفِقُونَ أَمْوَالَهُمْ بِاللَّيْلِ وَالنَّهَارِ﴾

ادعى ابن تيمية كذب الأخبار التي دلت على أنّ هذه الآية الكريمة ﴿الَّذِينَ يُنْفِقُونَ أَمْوَالَهُمْ بِاللَّيْلِ وَالنَّهَارِ سِرًّا وَعَلَانِيَةً﴾^(٤٤) نزلت في الإمام علي، حيث قال: "إنّ هذا كذب ليس بثابت...الخ، لكنّ هذه التفاسير الباطلة يقول مثلها كثير من الجهال...الخ، والجهل في الرافضة ليس بمنكر".^(٤٥)

علماء أهل السنة والجماعة و شأن نزول الآية

١- قال الحافظ السيوطي في الدر المنثور في تفسير هذه الآية: "وأخرج عبد الرزاق- وهو شيخ البخاري-، وعبد بن حميد، وأبي جرير، وأبي المنذر، وأبي حاتم، والطبراني، وأبي عساكر، من طريق عبد الوهاب بن مجاهد، عن أبيه، عن أبي عباس، في قوله: ﴿الَّذِينَ يُنْفِقُونَ أَمْوَالَهُمْ بِاللَّيْلِ وَالنَّهَارِ سِرًّا وَعَلَانِيَةً﴾ قال: نزلت في علي بن أبي طالب، كانت له أربعة دراهم، فأنفق بالليل درهماً وبالنهار درهماً وسراً درهماً وعلانية درهماً".^(٤٦)

٢- قال الواحدي في أسباب النزول: "أخبرنا محمد بن يحيى بن مالك الضبي، قال: حدثنا محمد بن إسماعيل الجرجاني، قال: حدثنا عبد الرزاق، قال: حدثنا عبد الوهاب بن مجاهد عن أبيه عن أبي عباس في قوله: ﴿الَّذِينَ يُنْفِقُونَ أَمْوَالَهُم﴾ الآية، قال: نزلت في علي بن أبي طالب كان عنده أربعة دراهم، فأنفق بالليل واحداً، وبالنهار واحداً، وفي السرّ واحداً، وفي العلانية واحداً.

أخبرنا أحمد بن الحسن الكاتب، قال: حدثنا محمد بن أحمد بن شاذان قال أخبرنا عبد الرحمن بن أبي حاتم، قال: حدثنا أبو سعيد الأشج، قال: حدثنا يحيى

بن يمان عن عبد الوهاب بن مجاهد عن أبيه قال: كان لعلي عليه السلام أربعة دراهم بنحو ما تقدم.

قال الكلبي: نزلت هذه الآية في علي بن أبي طالب عليه السلام لم يكن يملك إلا أربعة الخ ^(٤٧).

٣- الرمخري في الكشاف: "عن ابن عباس أنها نزلت في علي عليه السلام، لم يملك إلا أربعة دراهم، الحديث" ^(٤٨).

٤- وقال فخر الدين الرازي في تفسيره: "بعث علي عليه السلام بوسق من تمر ليلاً، فكان أحّب الصدقين إلى الله تعالى صدقته فنزلت هذه الآية.

وقال ابن عباس: إنّ علياً ما كان يملك إلا أربعة دراهم، فتصدق بدرهم ليلاً، وبدرهم نهاراً، الحديث" ^(٤٩).

٥- وقال ابن الأثير في أسد الغابة: "أنبأنا أبو محمد عبد الله بن علي بن سويدة التكريتي، أنبأنا أبو الفضل أحمد بن أبي الخير الميهني والحسين بن الفرحان السمناني قالا: أنبأنا علي بن أحمد، أنبأنا أبو بكر التميمي، أنبأنا أبو محمد بن حبان حدثنا محمد بن يحيى بن مالك الضبي، حدثنا محمد بن سهل الجرجاني، حدثنا عبد الرزاق، حدثنا عبد الوهاب بن مجاهد عن أبيه عن ابن عباس في قوله تعالى: ﴿يُنْفِقُونَ أَمْوَالَهُمْ بِاللَّيْلِ وَالنَّهَارِ﴾ الآية، قال: نزلت في علي بن أبي طالب، أنّ عنده أربعة دراهم.... إلخ. رواه عفان بن مسلم عن وهيب عن أيوب عن مجاهد عن ابن عباس مثله" ^(٥٠).

٦- وأورد القرطبي في تفسيره: "روى عن ابن عباس أنه قال: نزلت في علي بن أبي طالب، كانت معه أربعة دراهم إلى آخر ما تقدم" ^(٥١).

٧- وذكر ابن كثير في تفسيره: "قال ابن أبي حاتم: حدثنا أبو سعيد الأشجع، أخبرنا يحيى بن يمان عن عبد الوهاب بن مجاهد، عن ابن جبير، عن أبيه، قال:

كان لعلي أربعة دراهم فأنفق...إلخ: فترلت ﴿الَّذِينَ يُنْفِقُونَ﴾ الآية. ورواه ابن جرير من طريق عبد الوهاب بن مجاهد. ورواه ابن مروديه بوجه آخر عن ابن عباس «إنها نزلت في علي بن أبي طالب»^(٥٢).

ولا أدري، هل يعتقد ابن تيمية بطلان هذه التفاسير، أو أنه يرى أصحابها من الكذبة والجهلة والرافضة، حيث إنه قال: «إن هذا كذب ليس بثابت»...الخ، لكن هذه التفاسير الباطلة يقول مثلها كثير من الجهان،...الخ، والجهل في الرافضة ليس بمنكر^(٥٣).

ابن تيمية وآية ﴿إِنَّمَا أَنْتَ مُنْذَرٌ وَلِكُلِّ قَوْمٍ هَادٍ﴾

ادعى ابن تيمية كذب نزول هذه الآية المباركة ﴿إِنَّمَا أَنْتَ مُنْذَرٌ وَلِكُلِّ قَوْمٍ هَادٍ﴾^(٥٤) في شأن الإمام علي عليه السلام، حيث قال: «إن هذا كذب موضوع باتفاق أهل العلم بال الحديث، فيجب تكذيبه وردّه»^(٥٥).

علماء أهل السنة والجماعة وشأن نزول هذه الآية

١- في مسند أحمد بن حنبل -من زيادات ابنه عبد الله-: «حدثنا عبد الله، حدثني عثمان بن أبي شيبة، ثنا مطلب بن زياد، عن السدي، عن عبد خير، عن علي، في قوله: ﴿إِنَّمَا أَنْتَ مُنْذَرٌ وَلِكُلِّ قَوْمٍ هَادٍ﴾، قال: رسول الله صلوات الله عليه وآله وسلامه المنذر، والهاد رجل من بنى هاشم»^(٥٦).

٢- وفي تفسير الطبرى: «قال آخرون: هو علي بن أبي طالب رضي الله عنه. ذكر من قال ذلك. حدثنا أحمد بن يحيى الصوفي، قال: ثنا الحسن بن الحسين الأنصارى، قال: ثنا معاذ بن مسلم، ثنا الهروى، عن عطاء بن السائب، عن سعيد بن جبير، عن ابن عباس، قال: لما نزلت ﴿إِنَّمَا أَنْتَ مُنْذَرٌ وَلِكُلِّ قَوْمٍ هَادٍ﴾ وضع صلوات الله عليه وآله وسلامه يده على صدره فقال: «أنا المنذر، ولكل قوم هاد»، وأومأ بيده إلى منكب علي فقال: «أنت

الهادی یا علی، بلکہ یهتدی المہتدون بعدی»^(٥٧).

٣- وفي تفسیر الحبری: "حدثنا علی بن محمد، قال: حدثني الحبری، قال: حدثنا حسن بن حسین، حدثني حبان بن الكلبی، عن أبي صالح، عن ابن عباس:

﴿إِنَّمَا أَنْتَ مُنْذَرٌ﴾ رسول الله ﷺ ﴿وَكُلُّ قَوْمٍ هَادٍ﴾ علی ^(٥٨).

٤- وفي المعجم الصغیر للطبرانی: "حدثنا الفضل بن هارون البغدادی صاحب أبي ثور، حدثنا عثمان بن أبي شيبة، حدثنا المطلب بن زیاد، عن السدی، عن عبد خیر، عن علی کرم الله وجهه فی الجنة، فی قوله ﷺ: ﴿إِنَّمَا أَنْتَ مُنْذَرٌ وَكُلُّ قَوْمٍ هَادٍ﴾ قال: رسول الله ﷺ المنذر والهادی، رجل من بنی هاشم. لم یروه عن السدی إلا المطلب، تفرد به عثمان بن أبي شيبة"^(٥٩).

٥- وفي مستدرک الحاکم: "أخبرنا أبو عمرو عثمان بن أحمد بن السمک، ثنا عبد الرحمن بن محمد بن منصور الحارثی، ثنا حسین بن حسن الأشقر، ثنا منصور بن أبي الأسود، عن الأعمش، عن المنهال بن عمرو، عن عباد بن عبد الله الأسدی، عن علی: ﴿إِنَّمَا أَنْتَ مُنْذَرٌ وَكُلُّ قَوْمٍ هَادٍ﴾ قال علی: رسول الله ﷺ المنذر، وأنا الهادی. هذا حديث صحيح الإسناد، ولم یخرجاه"^(٦٠).

٦- وفي تاریخ ابن عساکر: "أخبرنا أبو علی بن السبط، أبا علی أبو محمد الجوهري. حیلوة: وأخبرنا أبو القاسم ابن الحصین، أبا علی أبو علی ابن المذهب، قال: أبا علی بکر القطیعی، أبا علی عبد الله بن أحمد، حدثني عثمان بن أبي شيبة، أبا علی مطلب بن زیاد عن السدی، عن عبد خیر، عن علی، فی قوله: ﴿إِنَّمَا أَنْتَ مُنْذَرٌ وَكُلُّ قَوْمٍ هَادٍ﴾، قال: رسول الله ﷺ المنذر، والهادی رجل من بنی هاشم.

أخبرنا أبو العز بن کادش، أبا علی أبو الطیب طاهر بن عبد الله، أبا علی بن عمر بن محمد الحربی، أبا علی أحمد بن الحسن بن عبد الجبار، أبا علی عثمان بن أبي شيبة، أبا علی مطلب بن زیاد، عن السدی، عن عبد خیر، عن علی، قول الله ﷺ:



﴿إِنَّمَا أَنْتَ مُنْذِرٌ وَكُلُّ قَوْمٍ هَادٍ﴾ قال: رسول الله ﷺ المنذر، والهادي علي.

أخبرنا أبو طالب علي بن عبد الرحمن، أربأنا أبو الحسن الخليبي، أربأنا أبو محمد ابن النحاس، أربأنا أبو سعيد ابن الأعرابي، أربأنا أبو سعيد عبد الرحمن بن محمد بن منصور، أربأنا حسين بن حسن الأشقر، أربأنا منصور بن أبي الأسود، عن الأعمش، عن المنهاج، عن عباد بن عبد الله، عن علي، قال في قوله تعالى: ﴿إِنَّمَا أَنْتَ مُنْذِرٌ وَكُلُّ قَوْمٍ هَادٍ﴾ قال علي: رسول الله ﷺ المنذر، وأنا الهدى.

وأخبرنا أبو طالب، أربأنا أبو الحسن، أربأنا أبو محمد، أربأنا أبو سعيد ابن الأعرابي، أربأنا أبو العباس الفضل بن يوسف بن يعقوب بن حمزة الجعفي، أربأنا الحسن بن الحسين الأنصاري في هذا المسجد - وهو مسجد حبة العرني -، أربأنا معاذ بن مسلم، عن عطاء بن السائب: عن سعيد بن جبير، عن ابن عباس، قال: لما نزلت: ﴿إِنَّمَا أَنْتَ مُنْذِرٌ وَكُلُّ قَوْمٍ هَادٍ﴾ قال النبي ﷺ: أنا المنذر، وعلي الهدى، بك يا علي يهتدى المهتدون ^(٦١).

٧ - وفي جمع الروايد: "قوله تعالى: ﴿إِنَّمَا أَنْتَ مُنْذِرٌ﴾ عن علي خليفة في قوله: ﴿إِنَّمَا أَنْتَ مُنْذِرٌ وَكُلُّ قَوْمٍ هَادٍ﴾ قال: رسول الله ﷺ المنذر، والهادي رجل من بني هاشم. رواه عبد الله بن أحمد، والطبراني في الصغير والأوسط، ورجال المسند ثقات ^(٦٢).

٨ - وفي الدر المنشور: "وأخرج ابن جرير وابن مردويه، وأبو نعيم في المعرفة، والديلمي، وابن عساكر، وابن النجاشي، قال: لما نزلت ﴿إِنَّمَا أَنْتَ مُنْذِرٌ وَكُلُّ قَوْمٍ هَادٍ﴾ وضع رسول الله ﷺ يده على صدره فقال: أنا المنذر، وأو ما بيده إلى منكب علي خليفة فقال: أنت الهدى، يا علي، بك يهتدى المهتدون من بعدي. وأخرج ابن مردويه، عن أبي برق الأسلمي - خليفة - قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول: ﴿إِنَّمَا أَنْتَ مُنْذِرٌ﴾ ووضع يده على صدر نفسه، ثم وضعها على صدر

علي ويقول: ﴿وَكُلُّ قَوْمٍ هَادٍ﴾.

وأخرج ابن مردويه، والضياء في المختار، عن ابن عباس - عليهما السلام - في الآية، قال: رسول الله صلى الله عليه وسلم المنذر، والهادي علي بن أبي طالب عليهما السلام.

وأخرج عبد الله بن أحمد في زوائد المسند، وابن أبي حاتم، والطبراني في الأوسط، والحاكم - وصححه - وابن مردويه، وابن عساكر، عن علي بن أبي طالب عليهما السلام، في قوله: ﴿إِنَّمَا أَنْتَ مُنذِرٌ وَكُلُّ قَوْمٍ هَادٍ﴾، قال: رسول الله صلى الله عليه وسلم المنذر، وأنا الهادي. وفي لفظ: والهادي رجل من بني هاشم، يعني نفسه ^(٦٣).

٩- وفي شواهد التنزيل: "حدثني الوالد رحمه الله، عن أبي حفص ابن شاهين، قال: حدثنا أحمد بن محمد بن سعيد الهمданى، قال: حدثنا أحمد بن يحيى الصوفي وإبراهيم بن خيرويه، قالا: حدثنا حسن بن حسين. وأخبرنا أبو بكر محمد بن عبد العزيز الجوري، قال: أخبرنا الحسن ابن رشيق المصرى، قال: حدثنا عمر بن علي بن سليمان الدينورى، قال: حدثنا أبو بكر محمد بن ازداد الدينورى، قال: حدثنا الحسن بن الحسين الانصاري، قال: حدثنا معاذ بن مسلم، عن عطاء بن السائب، عن سعيد ابن جبير، عن ابن عباس، قال: لما نزلت ﴿إِنَّمَا أَنْتَ مُنذِرٌ وَكُلُّ قَوْمٍ هَادٍ﴾ قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: أنا المنذر وعلى الهادي من بعدي، وضرب بيده إلى صدر علي فقال: أنت الهادي من بعدي، يا علي، بك يهتدى المهدون.

أخبرنا أبو يحيى الحيكاني، قال: أخبرنا أبو الطيب محمد بن الحسين بالكونفة قال: حدثنا علي بن العباس بن الوليد، قال: حدثنا جعفر ابن محمد بن الحسين، قال: حدثنا حسن بن حسين، قال: حدثنا معاذ ابن مسلم الفراء، عن عطاء بن السائب، عن سعيد بن جبير، عن ابن عباس، قال: لما نزلت ﴿إِنَّمَا أَنْتَ مُنذِرٌ وَكُلُّ قَوْمٍ هَادٍ﴾ أشار رسول الله صلى الله عليه وسلم بيده إلى صدره فقال: أنا المنذر **﴿وَكُلُّ قَوْمٍ هَادٍ﴾** ثم أشار بيده إلى علي فقال: يا علي، بك يهتدى المهدون بعدى.

أخبرنا أبو بكر ابن أبي الحسن الهاروني، قال: أخبرنا أبو العباس ابن أبي بكر الأنماطي المروزي، أن عبد الله بن محمد بن علي بن طرخان حدثهم، قال: حدثنا أبي، قال: حدثنا عبد الأعلى بن واصل، قال: حدثنا الحسن الأنصاري - وكان ثقة معروفاً يعرف بالعربي-، قال: حدثنا معاذ بن مسلم بياع الهروي - قال عبد الأعلى: وهذا شيخ روى عنه المحاري-، عن عطاء بن السائب، عن سعيد بن جبير، عن ابن عباس في قوله: ﴿إِنَّمَا أَنْتَ مُنْذَرٌ﴾ قال: قال رسول الله ﷺ: أنا المنذر وعلي الهدى، ثم قال: يا علي، بك يهتدى المهتدون بعدي.

حدثني أبو القاسم بن أبي الحسن الفارسي، قال: أخبرنا أبي، قال: أخبرنا محمد بن القاسم المحاري، قال: حدثنا القاسم بن هشام بن يونس، قال: حدثني حسن بن حسين، قال: حدثنا معاذ بن مسلم، عن عطاء بن السائب، عن سعيد بن جبير، عن ابن عباس، قال: قال رسول الله ﷺ: ﴿إِنَّمَا أَنْتَ مُنْذَرٌ﴾ ووضع يده على صدره، ثم قال: ﴿وَلِكُلِّ قَوْمٍ هَادٍ﴾ وأوْمًا بيده إلى منكب علي، ثم قال: يا علي، بك يهتدى المهتدون.

حدثني أبو سعد السعدي، قال: أخبرنا أبو الحسين محمد بن المظفر الحافظ ببغداد، قال: أخبرنا أبو محمد جعفر بن محمد بن القاسم، قال: حدثنا إسماعيل بن محمد المزنوي، قال: حدثنا حسن بن حسين به سوء، قال: لما نزلت ﴿إِنَّمَا أَنْتَ مُنْذَرٌ﴾ قال رسول الله ﷺ: أنا يا علي المنذر، وأنت الهدى، بك يهتدى المهتدون بعدي.

وأخبرنا أبو سعد، قال: أخبرنا أبو الحسين محمد بن المظفر الحافظ ببغداد، قال: حدثني أبو بكر محمد بن الفتاح الخياط، قال: حدثنا أحمد ابن عبد الله بن يزيد المؤدب، قال: حدثني أحمد بن داود - ابن أخت عبد الرزاق-، قال: حدثني أبو صالح، قال: حدثني بعض رواة ليث، عن ليث، عن سعيد بن جبير، عن ابن عباس،

قال: قال رسول الله ﷺ: ليلة أُسري بي ما سألت ربي شيئاً إلا أعطانيه، وسمعت منادياً من خلفي يقول: يا محمد، إنما أنت منذر وكل قوم هاد. قلت: أنا المنذر، فمن الهادي؟ قال: علي الهادي المهدي، القائد أمتك إلى جنتي غرّاً محجلين برحمتي.

حدثنا الجوهري، قال: حدثنا المرزباني، قال: أخبرنا علي ابن محمد الحافظ، قال: حدثني الحبرى، قال: حدثنا حسن بن حسين، قال: حدثنا حبان، عن الكلبى، عن أبي صالح، عن ابن عباس في قوله تعالى: ﴿وَكُلُّ قَوْمٍ هَادٍ﴾ قال: هو علي.

وقال: حدثنا إسماعيل بن صبيح، قال: أتبأني أبو الجارود، عن أبي داود، عن أبي برزة، قال، سمعت رسول الله ﷺ يقول: ﴿إِنَّمَا أَنْتَ مُنْذِرٌ﴾ ثم يرد يده إلى صدره، ثم يقول: ﴿وَكُلُّ قَوْمٍ هَادٍ﴾ ويشير إلى علي بيده.

أخبرنا عقيل بن الحسين، قال: أخبرنا علي بن الحسين، قال: حدثنا محمد بن عبيد الله، قال: حدثنا محمد بن الطيب السامری بها، قال: حدثنا إبراهيم بن فهد، قال: حدثنا الحكم بن أسلم، قال: حدثنا شعبة، عن قتادة، عن سعيد بن المسيب، عن أبي هريرة في قوله تعالى: ﴿إِنَّمَا أَنْتَ مُنْذِرٌ﴾ يعني: رسول الله ﷺ، وفي قوله: ﴿وَكُلُّ قَوْمٍ هَادٍ﴾ قال: سألت عنها رسول الله ﷺ فقال: إن هادي هذه الأمة علي بن أبي طالب.

حدثنا الحاكم أبو عبد الله العاشر إملاء وقراءة، قال: أخبرني أبو بكر ابن أبي دارم العاشر بالكوفة، قال: أخبرنا المنذر بن محمد بن المنذر بن سعيد اللخمي من أصل كتابه، قال: حدثني أبي، قال: حدثني عمي الحسين بن سعيد، قال: حدثني أبي سعيد بن أبي الجهم، عن أبان بن تغلب، عن نفيع بن الحارث، قال، حدثني أبو برزة الأسلمي، قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول: ﴿إِنَّمَا أَنْتَ مُنْذِرٌ﴾ ووضع يده على صدر نفسه، ثم وضعها على يد علي وقال: ﴿وَكُلُّ قَوْمٍ هَادٍ﴾.

قال الحاكم: تفرد به المنذر بن محمد القابوسي بإسناده، وهو من حديث أبان

عجب جداً.

أخبرنا أبو عبد الله الشيرازي، قال أخبرنا أبو بكر الجرجائي، قال: أخبرنا أبو أحمد البصري، قال: حدثنا أحمد بن عباد، قال: حدثنا زكريا بن يحيى، قال: حدثنا إسماعيل بن صبيح، قال: حدثنا أبو الجارود زياد بن المنذر، عن أبي داود، عن أبي برزة الأسليمي، قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول: ﴿إِنَّمَا أَنْتَ مُنْذَرٌ﴾ ثم ضرب يده إلى صدره، ﴿وَكُلُّ قَوْمٍ هَادٍ﴾ ويشير إلى علي.

أخبرنا الحاكم الوالد، قال: أخبرنا أبو حفص، قال: حدثنا أحمد بن محمد بن سعيد، وعمر بن الحسن، قالا: أخبرنا أحمد بن الحسن.

وأخبرنا أبو بكر بن أبي الحسن الحافظ، أن عمر بن الحسن بن علي ابن مالك أخبرهم، قال: حدثنا أحمد بن الحسن الغراز، قال: حدثنا أبي، قال: حدثنا حصين بن مخارق، عن حمزة الزييات، عن عمر بن عبد الله ابن يعلى بن مرة، عن أبيه، عن جده، قال: قرأ رسول الله ﷺ: ﴿إِنَّمَا أَنْتَ مُنْذَرٌ وَكُلُّ قَوْمٍ هَادٍ﴾ فقال: أنا المنذر، وعلى الهادي. لفظاً واحداً.

أخبرنا أبو الحسن النجاري، قال: أخبرنا الطبراني، قال: حدثنا الفضل ابن هارون، قال: حدثنا عثمان. وأخبرنا أبو الحسن الأهوازي، قال: أخبرنا أبو الحسن الشيرازي، قال: حدثنا عبد الله بن محمد بن ناجية، قال: حدثنا عثمان بن أبي شيبة، قال: حدثنا مطلب بن زياد الأسدية، عن السدي، عن عبد خير، عن علي في قوله: ﴿إِنَّمَا أَنْتَ مُنْذَرٌ وَكُلُّ قَوْمٍ هَادٍ﴾ قال: رسول الله ﷺ المنذر، والهادي رجل من بني هاشم. ساقاه لفظاً سواء وقالا: قال: تفرد به عثمان.

وأخبرنا أبو عبد الله، قال: أخبرنا أبو بكر القطبي، قال: حدثنا عبد الله بن أحمد بن حنبل، قال: حدثنا عثمان بن أبي شيبة به كلفظه.

أخبرنا أبو عبد الله الثقيلي، قال: حدثنا أحمد بن جعفر بن حمدان، قال: حدثنا محمد بن إسحاق المسوحي، قال: حدثنا إبراهيم بن عبد الله ابن صالح، قال: حدثنا

المطلب، قال: حدثنا السدي، عن عبد خير، عن علي، في قوله: ﴿إِنَّمَا أَنْتَ مُنْذَرٌ﴾، قال: المنذر النبي، والهادي رجل من بني هاشم. يعني نفسه. أخبرنا محمد بن عبد الله بن أحمد، قال: حدثنا محمد بن أحمد بن محمد بن علي، قال: حدثنا عبد العزيز بن يحيى بن عبد الرحمن الأزدي -سنة ست عشرة ومائتين-، قال: حدثني إبراهيم بن محمد بن عبد الرحمن الأزدي، عن المغيرة بن محمد، قال: حدثني قيس بن الربيع، ومنصور بن أبي الأسود، عن الأعمش، عن المنفال بن عمرو، عن عباد بن عبد الله، قال: قال علي: ما نزلت من القرآن آية إلا وقد علمت في من نزلت، قيل: فما نزل فيك؟ فقال: لولا أنكم سألتموني ما أخبرتكم، نزلت في هذه الآية: ﴿إِنَّمَا أَنْتَ مُنْذَرٌ وَلِكُلِّ قَوْمٍ هَادٍ﴾ فرسول الله المنذر، وأنا الهادي إلى ما جاء به.

حدثني أبو الحسن الفارسي، قال: حدثنا أبو محمد عبد الله بن أحمد الشيباني، قال: حدثنا أحمد بن علي بن رزين الباشاني، قال: حدثنا عبد الله ابن الحarth، قال: حدثنا إبراهيم بن الحكم بن ظهير، قال: حدثني أبي، عن حكيم بن جibr، عن أبي برزة الإسلامي، قال: دعا رسول الله ﷺ بالظهور وعنده علي بن أبي طالب، فأخذ رسول الله ﷺ بيده على -بعدما تطهر- فأنزلقها بصدره، فقال: ﴿إِنَّمَا أَنْتَ مُنْذَرٌ﴾ ثم ردتها إلى صدر علي ثم قال: ﴿وَلِكُلِّ قَوْمٍ هَادٍ﴾، ثم قال: إنك منار الأنام، ورابة الهدى، وأمين القرآن،أشهد على ذلك أنك كذلك.

أخبرنا أبو محمد عبد الله بن عبد الرحمن العرضي، قال: حدثنا يحيى بن منصور القاضي، قال: حدثنا محمد بن إبراهيم العبدلي، قال: حدثنا هشام بن عمار، قال: حدثنا عراك بن خالد، قال: حدثنا يحيى بن الحارث، قال: حدثنا عبد الله بن عامر، قال: أزعجت الزرقاء الكوفية إلى معاوية، فلما أدخلت عليه قال لها معاوية: ما تقولين في مولى المؤمنين علي، فأنشأت تقول:

صلى الإله على قبر تضمنه نور فأصبح فيه العدل مدفونا من حالف العدل والإيمان مقتربنا فصار بالعدل والإيمان مقرورنا فقال لها معاوية: كيف غررت فيه هذه الغريرة؟ فقالت: سمعت الله يقول في كتابه لنبيه: ﴿إِنَّمَا أَنْتَ مُنْذِرٌ وَلِكُلِّ قَوْمٍ هَادٍ﴾ المنذر رسول الله، والهادي علي ولن الله. أخبرنا السيد أبو منصور ظفر بن محمد الحسيني، قال: حدثنا ابن ماني، قال: حدثنا الحبرى، قال: حدثنا حسن بن الحسينى، قال: حدثنا علي بن القاسم، عن عبد الوهاب بن مجاهد، عن أبيه، في قول الله ﷺ: ﴿إِنَّمَا أَنْتَ مُنْذِرٌ وَلِكُلِّ قَوْمٍ هَادٍ﴾، قال: محمد المنذر، وعلى الهادٍ^(٦٤).

هذا غيض من فيض مما كذبه وأنكره ابن تيمية في منهاجه من فضائل ومناقب وردت في حق الإمام علي عليه السلام بصريح وصحيح السنة النبوية، فكان حري بابن تيمية أن يسمى كتابه [منهاج مخالف السنة النبوية] فحينها سيحكم الباحث على كتابه بالصدق والإنصاف.

والحمد لله رب العالمين.

المواهش:

(١) وهو أحمد بن عبد الحليم بن عبد السلام بن عبد الله بن أبي القسم بن تيمية الحراني الحنبلي، المعروف عند قومه بشيخ الإسلام، وهو الذي جدد دعوة التيار السلفي المتشدد في القرن السابع الهجري، وهو وجماعته يلتزمون فقهياً بالمذهب الحنبلي، وينتمون عقائدياً إلى الحشووية والمحسنة والمشبهة التي تعتمد على شواد الأخبار لتأسيس العقائد العقائد. والخشوية الحنبالية جماعة سلفية متشددة تكفر كل من يخالف منهجها الفقهي والعقائدي من شيعة وسنة.

(٢) منهاج السنة / ٣ - ٤٤٥ .٤٥٠

(٣) منهاج السنة / ١ / ٢١

(٤) منهاج السنة / ٣ : ٢٦٩

(٥) منهاج السنة / ٢ : ٨٤

- (٦) راجع منهاج السنة ٢: ٢٠٢ - ٢٣٢، ٢٠٥ - ٢٣٤.
- (٧) منهاج السنة ٢: ٢٠٣.
- (٨) منهاج السنة ٣: ١٥٦.
- (٩) لسان الميزان ٦/٣١٩.
- (١٠) سلسلة الأحاديث الصحيحة ٤/٤٤٣ ح ١٧٥٠.
- (١١) سلسلة الأحاديث الصحيحة ٥ / ٢٦٣ ح ٢٢٢٣.
- (١٢) الحقائق الجلية، ص ٤٧.
- (١٣) الدرة الضيّة في الرد على ابن تيمية ص ٥.
- (١٤) مرآة الجنان ج ٤ ص ٢٧٧.
- (١٥) دفع الشبه عن الرسول للحصيني الدمشقي ص ٨٣.
- (١٦) إشارة إلى كلام ابن تيمية في حق الإمام علي عليه السلام: أخطأ في سبعة عشر شيئاً، ثم خالف فيها نص الكتاب
- (١٧) الدرر الكامنة في أعيان المائة الثامنة ١ / ١٥٤ - ١٥٥.
- (١٨) مقدمة كتاب السيف الصقيل للسبكي ص ٧.
- (١٩) وهو الذي سلك مسلك ابن تيمية في دفاعه عن جرائمبني أمية وتبريير مثالب معاوية بن أبي سفيان.
- (٢٠) الشَّقاشِق هي جمع الشَّقْشِقَةُ، وهي: لَهَا الْبَعِيرُ، وَلَا تَكُونُ إِلَّا لِلْعَرَبِيِّ مِنَ الْإِبْلِ، وَقِيلَ: هِي شَيْءٌ كَالرِّتَّةِ يَخْرُجُهَا الْبَعِيرُ مِنْ فِيهِ إِذَا هَاجَ، وَمِنْهُ سُمِّيَ الْمُخْطَبَاء شَقاشِقَ، شَبَّهُوا الْمِكْثَارَ بِالْبَعِيرِ الْكَثِيرِ الْمَدْرِ. لسان العرب، ج ١٠، ص ١٨١.
- (٢١) راجع تكملة السيف الصقيل للشيخ محمد زايد الكوثري ص ١٩٠.
- (٢٢) سورة المائدة الآية ٥٥.
- (٢٣) منهاج السنة ٢ / ٣٠.
- (٢٤) منهاج السنة ٧ / ١١.
- (٢٥) منهاج السنة ٧ / ١٧.
- (٢٦) المواقف في علم الكلام: ٤٠٥.
- (٢٧) شرح المواقف في علم الكلام: ٣٦٠/٨.

- (٢٨) شرح المقاصد ٥ / ١٧٠.
(٢٩) جامع الأصول ٩ / ٤٧٨.
(٣٠) سير أعلام النبلاء ٢٠٤ / ٢٠٤.
(٣١) تفسير ابن أبي حاتم الرازي ٤ / ١١٦٢.
(٣٢) تفسير الطبرى ٦ / ١٨٦.
(٣٣) الدر المنشور في التفسير المأثور ٢ / ٢٩٣.
(٣٤) تفسير روح المعاني ٦ / ١٦٨.
(٣٥) منهاج السنة ٧ / ١١.
(٣٦) سورة الحاقة، الآية ١٢.
(٣٧) منهاج السنة ٧ / ٥٢٢.
(٣٨) تفسير الطبرى: ٢٩ / ٣١.
(٣٩) حلية الأولياء: ١ / ٦٧.
(٤٠) أسباب النزول ص ٣٣٩.
(٤١) الكشاف: ٤ / ١٣٤.
(٤٢) الكواكب الدرية، ص ٣٩.
(٤٣) منهاج السنة ٧ / ٥٢٢.
(٤٤) سورة البقرة، الآية ٢٧٤.
(٤٥) منهاج السنة ٧ / ٢٢٨ - ٢٣١.
(٤٦) الدر المنشور ١ / ٣٦٣.
(٤٧) أسباب النزول ص ٦٤.
(٤٨) الكشاف: ١٦٤ / ١.
(٤٩) التفسير الكبير: ٧/٨٩.
(٥٠) أسد الغابة: ٤/٢٥.
(٥١) تفسير القرطبي: ٣ / ٣٤٧.
(٥٢) تفسير ابن كثير: ١ / ٣٢٦.
(٥٣) منهاج السنة ٧ / ٢٢٨ - ٢٣١.

- (٥٤) سورة الرعد، الآية ٧.
- (٥٥) منهاج السنة ٧ / ١٣٩.
- (٥٦) مسند أحمد بن حنبل ١ / ١٢٦.
- (٥٧) تفسير الطبرى ١٢ / ٧٢.
- (٥٨) تفسير الحبري: ٢٨١.
- (٥٩) المعجم الصغير ١ / ٢٦١.
- (٦٠) المستدرك على الصحيحين ٣ / ١٢٩.
- (٦١) تاريخ ابن عساكر: ٢ / ٤١٥ - ٤١٧.
- (٦٢) مجمع الزوائد ومنبع الفوائد ٧ / ٤١.
- (٦٣) الدر المنثور في التفسير بالتأثر ٤ / ٤٥.
- (٦٤) شواهد التنزيل إلى قواعد التفضيل ١ / ٣٨١ - ٣٩٥.



انتحال فضائل الأمير عليه السلام

عزيز حن الخزان

المقدمة

لقد بلغت فضائلُ أمير المؤمنين عَلَيْهِ الْكُثُرَةُ وَالشَّهْرَةُ
حداً لم يتمكن أعدائه من إنكارها، رغم بذل كل الجهود،
وقد اشتهر عن الشافعي قوله في علي عَلَيْهِ السَّلَامُ: "ما أقول في حق من
أخفتُ أولياً وَهُوَ فضائله خوفاً، وأخفتُ أعداؤه فضائله حسداً، وشاء
مِنْ بَيْنِ ذِيْنِ مَا مَلأَ الْخَاقِنَينْ". وسئل ابن حنبل عن علي
ومعاوية، فقال: "إِنْ عَلِيًّا كَانَ كَثِيرُ الْأَعْدَاءِ، فَفَتَشَ أَعْدَاؤُهُ عَنْ شَيْءٍ
يُعَيِّبُونَهُ بِهِ فَلَمْ يَجِدُوهُ، فَجَاؤُوا إِلَى رَجُلٍ قَدْ حَارَبَهُ وَقَاتَلَهُ، فَأَطْرَوْهُ
كَيْدًا مِنْهُمْ بِهِ، وَعَنِ النَّسَائِيِّ وَالْحَاكِمِ الْنِيْسَابُورِيِّ، وَغَيْرِهِمْ: "لَمْ
يَرِدْ فِي حَقِّ أَحَدٍ مِنَ الصَّحَابَةِ بِالْأَسَانِيدِ الْحَسَانَ مَا جَاءَ فِي عَلِيٍّ".^(١)

ومع عدم إمكان إخفاء هذه الفضائل حاولوا أن يتقاسموها، وينحلوها الآخرين، حتى لا تكون خصوصية لعلي عليه السلام، وهذا دليل على أن كل فضيلة لوحدها قتل مقاماً رفيعاً، ومع ذلك بقي علي عليه السلام صاحب الخصوصيات التي لم يشاركه فيها أحد، حتى ألف النسائي كتاب خصائص علي عليه السلام، وألف كثيراً منهم مناقب علي عليه السلام، بينما لم يجمع الآخرون فضائل ولو كانت مكذوبة لهم.

وقد كان معاوية له ولله هو أساس أكثر ذلك فقد نقل عن كتاب الأحداث للمدائني أن معاوية كتب لعماليه: "إن الحديث في عثمان قد كثُر وفشي في كل مصر وفي كل وجه وناحية، فإذا جاءكم كتابي هذا فادعوا الناس إلى الرواية في فضائل الصحابة والخلفاء الأولين، ولا تتركوا خبراً يرويه أحد من المسلمين في أبي تراب إلا وأنوني بمناقض له في الصحابة مفتعلة، فإن هذا أحب إلى، وأقر لعيوني، وأدحض لحجة أبي تراب وشيعته، وأشد عليهم من مناقب عثمان وفضله"^(٢)، ويقول ابن أبي الحديد بعد تعجبه من دخول الشك على أهل الشام لقتل عمار ولم يعتريهم الشك لمكان علي عليه السلام: "وهذا يدل على أن علياً عليه السلام اجتهدت قريش كلها من مبدأ الأمر في إخmal ذكره وستر فضائله، وتنطية خصائصه حتى مُحِي فضله ومرتبته من صدور الناس كافة إلا قليلاً منهم". ونكتفي هنا بذكر تسع فضائل مما ثبت للأمير علي عليه السلام ونُحلت لغيره من الصحابة، وبشكل مختصر قدر الإمكان:

الفضيلة الأولى: الصديق الأكبر

قال المولى المازندراني في شرحه لقول الإمام الباقي عليه السلام: «إن الرجل ليصدق حتى يكتب الله صديقا»: "الصديق فعال للبالغة في الصدق وهو يطلق على فعل اللسان إذا طاب الواقع... وعلى التوافق بين الظاهر والباطن"^(٣). وعلى هذا فإن الرجل المنصف بهذه الصفة لا يمكن معرفته إلا بعمره باطن، وهذا أمر مختص بالله تعالى وبالمخصوص عليه السلام.

والقرآن الكريم وصف أشخاصاً بهذه الصفة كلهم معصومون كالنبي إبراهيم والنبي إدريس والنبي يوسف والصيّدة مريم عليهم السلام. وقال تعالى: ﴿وَمَنْ يُطِعِ اللَّهَ وَالرَّسُولَ فَأُولَئِكَ مَعَ الَّذِينَ أَعْلَمُ اللَّهُ عَلَيْهِمْ مِنَ النَّبِيِّنَ وَالصَّدِيقِينَ وَالشَّهَدَاءِ وَالصَّالِحِينَ وَحَسْنُ أُولَئِكَ رَفِيقٌ﴾، ويظهر من الآية أنَّ الصديقين هم تلو الأنبياء.

أمير المؤمنين عليه السلام هو الصديق الأكبر

ما ورد عن طريق الشيعة:

وهو كثير نكتفي برواية واحدة عن الباقر عليه السلام: «قال رسول الله صلوات الله عليه وآله وسلامه: خذوا بمحجة هذا الأنزع يعني علياً، فإنه الصديق الأكبر، وهو الفاروق يفرق بين الحق والباطل، من أحبه هداه الله ومن أبغضه أضلله الله، ومن تخلف عنه محقه الله»^(٤).

ومن طرق العامة:

ما رواه النسائي وابن أبي شيبة والطبراني وكثير من المؤرخين عن أمير المؤمنين عليه السلام أنه قال: «أنا عبد الله وأخو رسوله وأنا الصديق الأكبر، لا يقوها بعدي إلا كذاب (كاذب - مفتر)، (ولقد) صليت قبل الناس بسبعين سنة». وزاد في المستدرك: «قبل أن يعبده أحدٌ من هذه الأمة»^(٥).

وما رواه الهيثمي والطبراني وابن أبي عساكر وغيرهم عن أبي ذر وسلمان قالا: أخذ النبي صلوات الله عليه وآله وسلامه بيده علي فقال: «إنَّ هذا أول من آمن بي، وهذا أول من يصافحي يوم القيمة، وهذا الصديق الأكبر، وهذا فاروق هذه الأمة يفرق بين الحق والباطل، وهذا يعسوب المؤمنين، والمال يعسوب الظالمين (الكافار) (الظالم)». وقرب منه عن ابن عباس وفي آخره: «وهو الصديق الأكبر، وهو بابي الذي أُوتى منه، وهو خليفي من بعدي»^(٦).

وما رواه جماعة عن معاذ العدوية قالت: سمعت علياً صلوات الله عليه وآله وسلامه يخطب على المنبر

وهو يقول: «أنا الصديق الأكبر آمنت قبل أن يؤمن أبو بكر رضي الله تعالى عنه وأسلمت قبل أن يسلم»^(٧). وقال ابن أبي الحديد: «وقد قال غير مرة: «أنا الصديق الأكبر، والفاروق الأول، أسلمت قبل إسلام أبي بكر، وصليت قبل صلاته». وروى عنه هذا الكلام بعينه أبو محمد بن قتيبة في كتاب (المعارف) وهو غير متهم في أمره»^(٨).

وضع لقب الصديق لأبي بكر:

ذكروا عدة روایات في أبي بكر منها ما ذكره البخاري وغيره عن قتادة أنَّ أنس بن مالك حدثهم: أنَّ النَّبِيَّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ صعد أحداً وأبو بكر وعمرو وعثمان، فرجف بهم، فقال: «أثبت أحد، فإنما عليك نبي وصديق وشهيدان»^(٩). وأنس متهم في علي عليهما السلام؛ إذ كتم حديث الغدير عندما ناشده أمير المؤمنين عليهما السلام فادعى النسيان. والوضع في الرواية واضح؛ إذ لماذا يرجف جبل أحد من ركوب النبي عليهما السلام ومن معه؟! ثم منْ أعلمَ أنساً بذلك ولم يكن معهم، وهو لم ينسب الحديث لواحد منهم؟

ومنها ما ذكروه عن ابن اسحاق في حادثة الإسراء والمعراج، جاء فيه -بعد أن أخبر النبي عليهما السلام قريش بذلك: فارتدى كثير ممن كان أسلم، وذهب الناس إلى أبي بكر فقالوا: هل لك يا أبو بكر في صاحبك يزعم أنه قد جاء هذه الليلة بيت المقدس، وصلى فيه ورجع إلى مكة...، فقال أبو بكر: والله لئن كان قاله لقد صدق...، ثم أقبل حتى انتهى إلى رسول الله عليهما السلام فقال: ...يا نبي الله، فصفه لي فإني قد جئتكم؟... كلما وصف له منه شيئاً قال: صدقت، أشهد أنك رسول الله. قال: حتى إذا انتهى قال رسول الله عليهما السلام لأبي بكر رضي الله عنه: «وأنت يا أبو بكر الصديق» في يومئذ سماه الصديق. قال الحسن: وأنزل الله تعالى فيمن ارتدى عن الإسلام لذلك: ﴿وَمَا جَعَلْنَا الرُّؤْيَا إِلَّا فِتْنَةً لِلنَّاسِ وَالشَّجَرَةَ الْمَأْمُونَةَ فِي الْقُرْآنِ وَنَخْوَفُهُمْ فَمَا يَزِيدُهُمْ إِلَّا طُغْيَانًا كَبِيرًا﴾ فهذا حديث الحسن عن مسرى رسول

الله عليه السلام. وما دخل فيه من حديث قنادة^(١٠).

وهذا الحديث مردود من وجوهه؛ أولاً: الرواية مرسلة، بالإضافة إلى كونها خليط بين نقل قنادة والحسن. وثانياً: الرواية تقول: (فارتد كثير من كان أسلم)، وهذا غريب فحادثة الإسراء كانت في أوائلبعثة، المسلمين قليلون، فمن بقي منهم إذا كثير منهم قد ارتد!! ثالثاً: الرواية تقول بأن أبي بكر سمي بالصديق في ذلك الوقت، أي بدايات البعثة، بينما لم يجد رواية يُخاطب فيها أبي بكر بالصديق. ورابعاً: تفسير الحسن للآية المباركة أنها نزلت في المرتدين، وهو تعمد في صرفها عن بنى أمية حيث وردت روایات كثيرة تفسر الشجرة الملعونة ببني أمية^(١١). ومنها ما رواه ابن عساكر عن الشعبي أنه قال: "خص الله تبارك وتعالى أبا بكر الصديق بأربع خصال لم يخصصن بها أحداً من الناس سماه الصديق ولم يسم أحداً الصديق غيره..."^(١٢). وهذه أيضاً كما ترى، إذ هو حديث الشعبي وليس حديث النبي عليه عليه وآله وسالم، والشعبي معروف بالنصب ونقل عنه: "أحب صالح المؤمنين صالح بنى هاشم ولا تكن شيئاً".

وبسبب إفلاس القوم فسروا قوله تعالى: ﴿وَالَّذِي جَاءَ بِالصَّدْقِ﴾ رسول الله عليه وآله وسالم ﴿وَصَدَّقَ بِهِ﴾ أبو بكر، ولم يكتفوا بذلك حتى نسبوا هذه الرواية إلى علي عليه وآله وسالم، وهذا مذكور في كثير من تفاسيرهم، ولم يذكر واحدٌ منهم سندًا لهذه الرواية، بينما ذكر جماعة أن الآية نزلت في علي عليه وآله وسالم منهم الحسکاني في شواهد التنزيل عن مجاهد بثلاثة طرق وعن ابن عباس بطريقين وعن علي عليه وآله وسالم، أن الذي ﴿صَدَّقَ بِهِ﴾ هو علي عليه وآله وسالم^(١٤). ثم إن ما تقدم من قول الأمير علي عليه وآله وسالم: «أنا الصديق الأكبر، وأنا الفاروق الأول، أسلمت قبل إسلام أبي بكر»، فيه ردٌ واضح على من حاول سرقة هذا اللقب ووضعه في غير ما وضعه الله فيه.

ومما يؤيد أن نسبة هذا اللقب لأبي بكر من الموضوعات ما ذكره ابن الجوزي

في كتاب الموضوعات بسنده عن ابن عباس قال: "قال رسول الله ﷺ: «ما في الجنة شجرة إلا مكتوب على ورقه محمد رسول الله أبو بكر الصديق عمر الفاروق عثمان ذو النورين». قال أبو حاتم بن حبان: هذا باطل موضوع، وعلى بن جميل كان يضع الحديث لا تحل الرواية عنه بحال. وقال أبو أحمد بن عدي: لم يأت بهذا الحديث عن جرير غير علي. وعلى يحدث بالبواطيل عن ثقة الناس فيسرق السرق. وقد سرق هذا الحديث منه رجل يقال له معروف بن أبي معروف البلخي وقد سرقه آخر".^(١٥)

وفي الاحتجاج عن القاسم بن معاوية قال: "قلت لأبي عبد الله عاشقيه هؤلاء يرونون حديثا في مراجهم أنه لما أسرى برسول الله عليه ﷺ رأى على العرش (إلا إله إلا الله محمد رسول الله عاصي الله أبو بكر الصديق) فقال: «سبحان الله غيروا كل شيء حتى هذا»؟ قلت نعم. قال: «إن الله يحيك لما خلق العرش كتب عليه (لا إله إلا الله محمد رسول الله عاصي الله، علي أمير المؤمنين عاشقيه)»، ثم ذكر عاشقيه كتابة ذلك على الماء والكرسي اللوح وجبهة إسرافيل وجناحي جبرئيل وأكتاف السماوات والأرضين ورؤوس الجبال والشمس والقمر، ثم قال عاشقيه: «فإذا قال أحدكم لا إله إلا الله محمد رسول الله عاصي الله فليقل علي أمير المؤمنين»".^(١٦)

ثم لك أن تعجب مما ذكره الزركشي في قوله تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَكُوَّنُوا مَعَ الصَّادِقِينَ﴾ قال: "قد احتاج بها الصديق على الأنصار يوم السقيفة فقال: (نحن الصادقون، وقد أمركم الله أن تكونوا معنا) أي تبعا لنا، وإنما استحقها دونهم لأنَّه الصديق الأكبر".^(١٧)

الفضيلة الثانية: الفاروق الأعظم

الفاروق كما تقدم من الروايات هو الذي يفرق بين الحق والباطل، وهذا المعنى يقتضي أن يكون المسمى بهذا الاسم عارفا للحق والباطل بكامل حدودهما، وإلا كيف يمكنه التمييز والتفريق بينهما. ولذلك ذكر في معنى

الفرقان (أحد أسماء القرآن والتوراة): أنه كل ما يفرق به بين الحق والباطل. وهذا يعني أنَّ الفاروق إما معصوم أو قريب من العصمة؛ إذ غيرهما لا يمكنه أن يميز بين الحق والباطل بصورة يصدق عليه أنه فاروق.

أمير المؤمنين عَلَيْهِ الْكَلَمُ الْمُبِينُ هو الفاروق الأعظم

تقدم إطلاق هذا اللقب على علي عَلَيْهِ الْكَلَمُ الْمُبِينُ من طرق الفريقين فلا نعيد، وجاء بلفظ «الفاروق الأعظم» و«الفاروق الأول». ومن الواضح انسجام هذا اللقب مع الأمير عَلَيْهِ الْكَلَمُ الْمُبِينُ وما ثبت له من ملازمة النبي عَلَيْهِ الْكَلَمُ الْمُبِينُ والحقٌّ والقرآنٌ وعدم مفارقتهم، فروى الهيثمي في مجمع الزوائد عن أبي ذر قال: قال رسول الله عَلَيْهِ الْكَلَمُ الْمُبِينُ لعلي: «يا علي من فارقني فارق الله، ومن فارقك يا علي فارقني». ثم قال الهيثمي: «رواه البزار ورجاه ثقات»^(١٨). وفي شرح النهج قال ابن أبي الحميد: «ثبت عنه (النبي عَلَيْهِ الْكَلَمُ الْمُبِينُ) في الأخبار الصحيحة أنه قال: «علي مع الحق، والحق مع علي، يدور حيثما دار»^(١٩). وعن أبي ثابت مولى أبي ذر قال: دخلت على أم سلمة فرأيتها تبكي وتذكر عليها. وقالت: سمعت رسول الله عَلَيْهِ الْكَلَمُ الْمُبِينُ يقول: «علي مع الحق والحق مع علي، ولن يفترقا حتى يردا علي الحوض يوم القيمة»^(٢٠). ونقل الأمياني عن الحافظ ابن مردويه في (المناقب) والسمعاني في (فضائل الصحابة) أنهما أخرجا بالإسناد عن محمد بن أبي بكر عن عائشة أنها قالت: سمعت رسول الله عَلَيْهِ الْكَلَمُ الْمُبِينُ يقول: «علي مع الحق والحق مع علي لن يفترقا حتى يردا علي الحوض»^(٢١).

وضع لقب الفاروق لعمر

عن أيوب بن موسى قال: قال رسول الله عَلَيْهِ الْكَلَمُ الْمُبِينُ: «إن الله جعل الحق على لسان عمر وقلبه، وهو الفاروق فرق الله به بين الحق والباطل»، وعن أبي عمرو ذكوان قال: قلت: لعائشة: من سَمِّي عمر الفاروق، قالت: النبي عَلَيْهِ الْكَلَمُ الْمُبِينُ.^(٢٢)

وذكر كثير من المفسرين في سبب نزول قوله تعالى: ﴿أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِينَ يَزْعُمُونَ أَنَّهُمْ أَمْتَوا بِمَا أُنزِلَ إِلَيْكَ وَمَا أُنزِلَ مِنْ قَبْلِكَ يُرِيدُونَ أَنْ يَتَحَكَّمُوا إِلَى الطَّاغُوتِ وَقَدْ أُمِرُوا أَنْ يَكُفُّرُوا بِهِ وَيُرِيدُ الشَّيْطَانُ أَنْ يُضْلِلُهُمْ ضَلَالًا بَعِيدًا﴾. أقوالاً منها (رواية مرسلة): "أن رجلاً من اليهود خاصم رجلاً من المنافقين، فقال اليهودي: نتحاكم إلى أبي القاسم؛ إذ عرف أنه لا يأخذ الرشوة على الحكم فيحكم بالحق، وقال المنافق: نتحاكم إلى كعب بن الأشرف، فتحاكم إلى النبي فحكم لليهودي، وكان الحكم له، فقال المنافق: لا أرضي بحكمه، نتحاكم إلى أبي بكر، فتحاكم إلى أبي بكر، فحكم لليهودي بمثل ما حكم رسول الله فقال المنافق: لا أرضي بحكمه، نتحاكم إلى عمر، فتحاكم إلى عمر، فقال عمر: هل تحاكمتما إلى أحد؟ فقال اليهودي: نعم إلى أبي القاسم، وإلى أبي بكر، وقد حكمما لي، وهو لا يرضى، فقال عمر: مكانهما حتى أخرج إليكما، فدخل البيت، واشتمل على السيف، ثم خرج، وضرب عنق المنافق، فبلغ ذلك رسول الله، فقال: أنت الفاروق". وفي نقل آخر: "وقال جبريل عليه السلام: إن عمر فرق بين الحق والباطل فقال له رسول الله عليه السلام: أنت الفاروق"^(٢٣). وكما هي العادة وحتى تقوى مثل هذه الافتراضات وضعوا حدثاً على لسان علي عليه السلام: فرووا أنه سُئل عن عمر فقال: «ذاك أمرٌ سماه الله الفاروق، يفرق بين الحق والباطل، سمعت رسول الله عليه السلام يقول: اللهم أعز الإسلام بعمر»^(٢٤).

ويرد على كل ذلك أمور:

أولاً: ما تقدم من معنى الفاروق، فهو يقتضي موافقة الحق دائماً (وعلى أقل التقادير تكون الموافقة غالبة)، وهذا المعنى لا يدعيه عمر لنفسه، فهو في قضايا كثيرة جداً أخطأ فيها الحق، وجانب الصواب، وقد قال فيها غير مرة (الولا على هلك عمر) وكل الناس أفقه من عمر^(٢٥)، وقد أخطأ في كثير من المسائل

الشرعية كما ذكر القوم أنفسهم.

ثانياً: ما تقدم من طرق الفريقين قول أمير المؤمنين عليه السلام أنه هو الفاروق، فكيف ينسب ذلك لعمر، وفي حديث المناشدة: «قال (عليه السلام): «نشدتم بالله هل فيكم أحد قال له رسول الله عليه السلام: «أنت الفاروق تفرق بين الحق والباطل» غيري؟ قالوا: لا»^(٢).

ثالثاً: ما ذكروه في سبب نزول الآية المتقدمة هو أحد الأقوال، وهناك أقوال أخرى لا ترتبط بعمر، بالإضافة إلى وضوح الوضع في هذه الرواية وغيرها من روايات الفضائل التي يأتي فيها الخلفاء بالترتيب دائماً، ولا يختلف هذا الترتيب حتى صدفة!! مع استبعاد أن يأتي المتخاصلان إلى عمر في زمن النبي عليهما السلام. ولو انتبه من وضع هذه الرواية لما يلزم منها لما وضعتها، حيث تدل على أن ذلك المنافق عندما رأى حكم النبي عليه السلام لصالح خصمه اليهودي، جاء إلى أبي بكر ثم إلى عمر، فلو كانوا مشهورين بالعدل والشدة في الحق لما أمل فيهما ذلك المنافق من أخذ الرشوة، كما لم يأمل من النبي عليهما السلام.

رابعاً: ما أخرجه ابن سعد وابن شبة النميري والطبراني وابن عساكر وابن الأثير، عن صالح بن كيسان قال: «قال ابن شهاب: بلغنا أن أهل الكتاب كانوا أول من قال لعمر الفاروق، وكان المسلمون يأثرون ذلك من قولهم، ولم يبلغنا أن رسول الله عليه السلام ذكر من ذلك شيئاً، ولم يبلغنا أن ابن عمر قال ذلك إلا لعمر، كان فيما يذكر من مناقب عمر الصالحة ويشني عليه»^(٢٧).

وجاء من طرقنا عن سليم بن قيس قال: جلست إلى سلمان وأبي ذر والمقداد فجاء رجل من أهل الكوفة فجلس إليهم مسترشداً، فقال له سلمان: عليك بكتاب الله فالزمه، وعلى ابن أبي طالب فإنه مع القرآن لا يفارقته، فأناأشهد أنا سمعنا رسول الله عليه السلام يقول: «إِنَّ عَلِيًّا يَدْوِرُ مَعَ الْحَقِّ حِيثُ دَارَ، وَإِنَّ عَلِيًّا



هو الصديق والفاروق يفرق بين الحق والباطل» قال: فما بال القوم يسمون أبي بكر الصديق وعمر الفاروق قال: نحولهما الناس اسم غيرهما كما نحولهما خلافة رسول الله عليه صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، وإمرة المؤمنين. لقد أمرنا رسول الله عليه صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وأمرهما معنا فسلمنا جميعا على علي بأمرة المؤمنين ^(٢٨).

الفضيلة الثالثة: أمير المؤمنين

عن أحمد بن عمر قال: سألت أبي الحسن عَلَيْهِ الْكَلَمُ لم سمي أمير المؤمنين عَلَيْهِ الْكَلَمُ? قال: «لأنه يغيرهم العلم، أما سمعت في كتاب الله: ﴿وَتَمِيرُ أَهْلَنَا﴾». وفي رواية أخرى قال: «لأن ميرة المؤمنين من عنده، يغيرهم العلم» ^(٢٩).

لم يدع أحد أن لقب أمير المؤمنين وضعه الرسول عليه صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ لأحد من الصحابة غير علي عَلَيْهِ الْكَلَمُ، وهذا خلاف العادة وخلاف السياسة الأموية، وأعتقد أن السبب هو شيوخ هذا اللقب لجميع الخلفاء بعد أبي بكر، وأجزم لو أن هذا اللقب سمي به واحد منهم بالخصوص لوضعوا روايات على لسان النبي عليه صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ في ذلك ^(٣٠).

وعلى كل حال فقد اتفقوا على عدم تسمية أبي بكر بأمير المؤمنين وإلى يومنا هذا، وأن أول من سمي بذلك هو عمر، فقد أخرج غير واحد عن ابن شهاب قال: "أول من حي عمر بن الخطاب بأمير المؤمنين المغيرة بن شعبة فسكت عمر" ^(٣١)، وقيل أول من سماه عمرو بن العاص! ^(٣٢)، وعن الشعبي: "أن أول من دعا لعمر على المنبر أبو موسى الأشعري بالبصرة، وهو أول من كتب لعبد الله أمير المؤمنين، فقال عمر: إني لعبد الله وإنني لعمر وإنني لأمير المؤمنين" ^(٣٣).

وعن معاوية بن قرة قال: "كان يكتب (من أبي بكر خليفة رسول الله) فلما كان عمر بن الخطاب أرادوا أن يقولوا: خليفة خليفة رسول الله، فقال عمر: هذا يطول، قالوا؟ لا، ولكننا أمرناك علينا فأنت أميرنا، قال: نعم، أنتم المؤمنون وأنا أميركم فكتب (أمير المؤمنين)"، وبضمون هذا جاءت روايات كثيرة ^(٣٤).

وفي هذه الرواية وغيرها كثير من الحقائق، فهي تدلُّ أولاً على أنَّهم ابتدعوا هذا الاسم مجرد الهوى، وثانياً أنَّهم كانوا يعتقدون بأنَّ الخليفة الثاني ومن يأتي بعده ليسوا خلفاء رسول الله ﷺ، وإنما كلُّ واحد يأتي فهو خليفة السابق، وهذا إفراغ للمعنى الحقيقي للخلافة وهو أمر مقبول منهم؛ لأنَّ المعنى الحقيقي للخلافة منحصر في من استخلفهم الله ورسوله ﷺ، وثالثاً قوله: "ولكنا أمْرناك علينا فأنَّ أميرنا" ينافق الحقيقة فإنَّ أباً بكر هو الذي اختار عمر للخلافة وليس هم.

ثمَّ إنَّ هناك أسراراً أخرى وراء وضع هذا اللقب غير ما يبدو مما تقدم، خصوصاً إذا لاحظنا الأسماء اللامعة التي كانت وراء ذلك من أمثال المغيرة وعمرو بن العاص وأبي موسى الأشعري، ولعل اتفاقاً كان موجوداً بين الثاني وبينهما، بل ورد في روايات أخرى أنَّ الذي وضع هذا اللقب هو عمرُ نفسه، ففي تاريخ الطبراني وغيره: "ما ولِي عمرٌ قيل: يا خليفة خليفة رسول الله، فقال عمرٌ خطأ: هذا أمر يطول، كلما جاء خليفة قالوا يا خليفة خليفة خليفة رسول الله، بل أنت المؤمنون وأنت أميركم، فسمي أمير المؤمنين".^(٣٥)

ولهذا نجد في رواياتنا تأكيداً على اختصاص هذا اللقب بعلي عَلَيْهِ السَّلَامُ، فعن الصادق عَلَيْهِ السَّلَامُ أنه: سأله رجل عن القائم يُسَلِّمُ عليه بإمرة المؤمنين؟ قال: «لا ذلك اسم سُمِّيَ الله به أمير المؤمنين عَلَيْهِ السَّلَامُ، لم يسم به أحد قبله ولا يتسمى به بعده إلا كافر»^(٣٦). بل نجد سلمان الحمداني (رضوان الله عليه)، يحتاج بشدة على هذه التسمية، فقد كتب كتاباً إلى عمر وكان واليه على المدائن، جاء فيه: "لو كانت هذه الأمة من الله خائفين، ولقول النبي الله متبوعين، وبالحق عاملين، ما سموك أمير المؤمنين"^(٣٧). وروى ابن مردويه في المناقب أنه: "مرض أبو ذر عَلَيْهِ السَّلَامُ مرضاً شديداً حتى أشرف على الموت، فأوصى إلى علي بن أبي طالب عَلَيْهِ السَّلَامُ فقيل له: لو أوصيت إلى

أمير المؤمنين عمر بن الخطاب كان أجمل لوصيتك من علي! فقال أبو ذر: أوصيت والله إلى أمير المؤمنين حقاً حقاً. وقال حذيفة بن اليمان قبل وفاته بأيام: "أيها الناس من سرّه أن يلحق بأمير المؤمنين حقاً حقاً فليلحق بعلي بن أبي طالب".^(٣٨)

ما ورد من طرق العامة:

أخرج الحافظ ابن مردويه أكثر من خمسة عشر رواية وبطرق مختلفة وفي مواقف متعددة يذكر فيها تسمية علي عليه السلام بأمير المؤمنين، منها عن سالم مولى علي عليهما السلام: كنت مع علي عليهما السلام في أرض يحرثها حتى جاء أبو بكر وعمر، فقلالا: سلام عليك يا أمير المؤمنين ورحمة الله وبركاته. فقيل: كنتم تقولون في حياة رسول الله عليهما السلام؟! فقال عمر: هو أمرنا بذلك.

وعن أنس: "كنت خادماً لرسول الله عليهما السلام فبينما أنا يوم أوضيه، إذ قال: «يدخل رجل، وهو أمير المؤمنين، وسيد المسلمين، وأولى الناس بالمؤمنين، وقائد الغر المجلين»، قال أنس: فقلت: اللهم اجعله رجلاً من الأنصار. فإذا هو علي بن أبي طالب عليهما السلام". وزاد ابن عساكر، وأبو نعيم الحافظ، والخوارزمي: «وختام الوصيين..... فقام (النبي عليهما السلام) مستبشرًا فاعتنقه ثم جعل يمسح عن وجهه بوجهه ويسمح عرق علي بوجهه، فقال: يا رسول الله لقد رأيتك صنعت شيئاً ما صنعت بي قبل، قال: وما يعني وأنت تؤدي عني وتسمعهم صوتي وتبين لهم ما اختلفوا فيه بعدى. وفي رواية أخرى: «سيد المسلمين، وأمير المؤمنين، وخير الوصيين، وأولى الناس بالنبيين».^(٣٩).

الفضيلة الرابعة: ذو النورين

من أعظم خصائص الأمير عليهما السلام هو زواجه بالزهراء عليهما السلام، وقد تقدم لخطبتها غير واحد من الصحابة فرفضهم النبي عليهما السلام، روى النسائي وابن حبان عن بريدة،

قال: "خطب أبو بكر وعمر عليهما السلام فاطمة، فقال رسول الله ﷺ: إنها صغيرة، فخطبها علي فزوجها منه" قال **الحاكم**: "هذا حديث صحيح على شرط الشيخين ولم يخرجاه"^(٤٠). وعن **الستي**: "أن أبو بكر وعمر خطباً فاطمة عليها السلام، فردهما رسول الله ﷺ، وقال: لم أمر بذلك، فخطبها علي عليها السلام، فزوجه إياها، وقال لها زوجتك أقدم الأمة إسلاماً". قال ابن أبي الحديد: "وقد روى هذا الخبر جماعة من الصحابة، منهم أسماء بنت عميس، وأم أيمن، وابن عباس وجابر بن عبد الله"^(٤١).

وفي صحيح ابن حبان وغيره عن أنس في حديث طويل: "جاء أبو بكر إلى النبي ﷺ فقعد بين يديه فقال: يا رسول الله، قد علمت مناصحتي، وقدمي في الإسلام، وأني، وأني... قال: وما ذاك؟ قال: تزوجني فاطمة. قال فسكت عنه. فرجع أبو بكر إلى عمر فقال له: هلكت وأهلكت. فقال: وما ذاك؟ قال: خطبت فاطمة إلى النبي ﷺ فأعرض عني، فقال: مكانك حتى آتي النبي ﷺ فأطلب مثل الذي طلبت (وحدث له مثل ما حدث لأبي بكر)... فجاء علي عليها السلام للنبي ﷺ وقال:... تزوجني فاطمة. قال: وعندك شيء؟ قلت: فرسي وبدني. قال: أما فرسك فلا بد لك منه، وأما بدنك فبعها..."^(٤٢). وكان ذلك بأمر من الله عزوجل، فعن ابن مسعود: أن النبي ﷺ قال: «إن الله أمرني أن أزوج فاطمة من علي». قال ابن حجر الهيثمي: "رواه الطبراني ورجاله ثقات"^(٤٣).

ولعظم هذه الفضيلة التي مُنِعَ منها الآخرون، ولمكانة الزهراء عليها السلام وما جاء فيها من الأحاديث ك الحديث ألم المؤمنين أم سلمة عن النبي ﷺ قال: «لو لم يخلق علي ما كان لفاطمة كفو»^(٤٤). وك الحديث الكافي على لسان أحد الملائكة: «بعثني الله عزوجل أن أزوج النور من النور، قال: من مِمْنُ؟ قال: فاطمة من علي»^(٤٥). أراد القوم أن يشوشوا على هذه الخصوصية، فسموا عثمان ذا النورين، وروي عن حسين الجعفي: "لم يجمع الله بين ابنتي نبي منذ خلق الله آدم إلى أن تقوم الساعة لغير

عثمان بن عفان رضي الله عنه، فلذلك سمي ذو النورين^(٤). ورووا عن علي عليه السلام أنه ذكر
عنه عثمان، فقال: «ذاك أمر يدعى في السماء ذو النورين»^(٤٧). ومن أغرب
الروايات في ذلك، ما رواه عن علي عليه السلام بإسناد وصفوه بأنه ضعيف: «أن رسول
الله صلوات الله عليه وسلم قال: لو كان لي أربعون ابنة لزوجهن بعثمان واحدة بعد واحدة، حتى لا يبقى
منهن واحدة»^(٤٨).

ولا أدرى لماذا لم يزوجه النبي ﷺ بفاطمة ظل الله، وقد تقدم لخطبتها، وعن ابن عباس قال: "كانت فاطمة تذكر لرسول الله ﷺ فلا يذكرها أحد إلا صدّ عنه حتى يئسوا منها" (٤٩). وهذا الحديث يدل على أن المتقدمين لخطبتها ظل الله مجموعة كبيرة من الصحابة، ولكن النبي ﷺ وهو صاحب الخلق العظيم صدّ عنهم، بينما استبشر بعلي ظل الله. وكانت حصيلة هذا الزواج المبارك ولادة النورين المباركين الحسن والحسين ظل الله، فأمير المؤمنين ظل الله أولى بأن يسمى بذى النورين، لأنه النور وقد اقترن بالنور ونتج منهم هذان النوران.

الفضيلة الخامسة: سدوا الأبواب إلا باب على

أخرج النسائي وأحمد والخوارزمي وغيرهم: عن زيد بن أرقم: كان لنفر من أصحاب رسول الله ﷺ أبواب شارعة في المسجد، قال: فقال يوماً: «سدوا هذه الأبواب إلا باب علي»، قال: فتكلم في ذلك الناس، قال: فقام رسول الله ﷺ، فحمد الله تعالى وأنشى عليه، ثم قال: «أما بعد، فإني أمرت بسد هذه الأبواب إلا باب علي، وقال فيه قاتلكم، وإنما ما سدلت شيئاً ولا فتحته، ولكنني أمرت بشيء فاتبعته». وف المستدرك: "هذا حديث صحيح الإسناد ولم يخرجاه" (٥٠).

والروايات في ذلك كثيرة، حتى قال ابن حجر العسقلاني: "هو حديث مشهور له طرق متعددة، كل طريق منها على انفرادها لا تقصّر عن رتبة الحسن، ومجموعها مما يقطع بصحّته على طريقة كثير من أهل الحديث"، ثم ذكر الروايات، وقال:

"فهذه الطرق المظاهرة من روایات الثقات تدل على أن الحديث صحيح دلالة قوية، وهذه غاية نظر المحدث"^(٥١).

ودلالة هذه الحادثة على أفضلية الإمام علي عليه السلام ومقامه الخاص عند الله عزوجل، جعلت الوضاعين يستنفرون القوى في سلبها منه ووضعها في غيره، فذكروا أنَّ النبي عليه وآله خطب في مرضه الذي توفي فيه وقال: «ولو كنت متخدنا خليلاً من أمي لاتخذت أبي بكر، ولكن أخوة الإسلام ومودته لا يقين في المسجد باب إلا سُدًّا إلا باب أبي بكر»^(٥٢). وفي حديث آخر: «سدوا عنِي كل خوخة في هذا المسجد غير خوخة أبي بكر باب الأبواب»^(٥٣)، واستدل به بعضهم على استخالف أبي بكر!! بل قال ابن الجوزي، في حديث «إلا باب علي» بعد ذكره لطرقها:

"فهذه الأحاديث كلها من وضع الرافضة قابلوا به [بها] الحديث المتفق على صحته في «سدوا الأبواب إلا باب أبي بكر»^(٥٤)، ورأى ابن أبي الحديد أن الأمر بالعكس؛ حيث قال بأن البكريـة (أي أتباع أبي بكر): "وضعت لصاحبيـها أحاديث في مقابلة هذه الأحاديث نحو «لو كنت متخدنا خليلاً»؛ فإنـهم وضعـوه في مقابلة حديث الإخاء، ونحو «سد الأبواب» فإنهـ كان لعلي عليهـ، فقلـبـتهـ البكريـةـ إلىـ أبيـ بـكرـ" وردـ علىـ ابنـ الجوزـيـ غيرـ واحدـ، منـهمـ ابنـ حـجرـ حيثـ قالـ: "هـذاـ إـقدـامـ عـلـىـ ردـ الأـحـادـيثـ الصـحـيـحةـ بـمـجـرـدـ التـوـهـمـ، وـلـاـ يـنـبـغـيـ الإـقـدـامـ عـلـىـ الـحـكـمـ بـالـوـضـعـ إـلـاـ عـنـ دـمـ إـمـكـانـ الـجـمـعـ".

وبعد عدم إمكان رد هذه الأحاديث، وثبتت تعارضها مع حديث «إلا باب أبي بكر، وخوخة أبي بكر» حاولوا الجمع، بأنَّ ما ثبت لعلي عليه السلام كان بسبب عدم وجود باب آخر لمنزله، وما ثبت لأبي بكر إشارة إلى استخالفه واحتياجه دخول المسجد دون غيره. ويرده أنَّ هذا تبرع، ثم إنَّه لو لم يكن منزل على عليه السلام باب آخر فما هو وجه اعتراف الصحابة على النبي عليه وآله بتركه لباب علي عليه السلام، فهل

كانوا يريدون أن يبقى علي عليهما السلام محبوساً في الدار؟! ولماذا لم يحبهم النبي عليهما السلام بذلك بل قال: «والله ما سدت شيئاً ولا فتحته، ولكنني أمرت بشيء فاتبعته» ولماذا لم يعتضوا عليه عندما ترك باب أو خوذه أبي بكر؟ ثم إن حديث (إلا باب أبي بكر) يدل على أنه سد الأبواب كلها حتى باب علي عليهما السلام، ولم يبق إلا باب أبي بكر، وهذا يعارض ما ثبت لعلي عليهما السلام، والمنصف الليبي يعلم أين الحق؛ لأنَّه واضح لا لبس فيه.

الفضيلة السادسة: حب علي إيمان وبغضه نفاق

تعددت الأحاديث من طرق الفريقيين، أنَّ حبَّ علي عليهما السلام إيمان وبغضه كفر ونفاق، أخرج النسائي والموصلي عن علي عليهما السلام قوله: «والله، والذي خلق الجنة وبرأ النسمة، إنه لعهد النبي عليهما السلام: إنه لا يحبني إلا مؤمن، ولا يبغضني إلا منافق»^(٥). وفي الاستيعاب: وروى طائفة من الصحابة أنَّ رسول الله عليهما السلام قال لعلي عليهما السلام: «لا يحبك إلا مؤمن ولا يبغضك إلا منافق»^(٥٧)، وعنده عليهما السلام: «عنوان صحيفة المؤمن حبُّ علي بن أبي طالب»^(٥٨).

وهذا الأمر بلغ من الشهرة والتواتر عند الأصحاب بحيث يقول جابر بن عبد الله الأنصاري عليهما السلام: "ما كنا نعرف المناقين إلا ببغض علي"^(٥٩). ويقول أبو ذر عليهما السلام: "ما كنا نعرف المناقين إلا بتكتيبيهم الله ورسوله، والتخلف عن الصلوات، والبغض لعلي بن أبي طالب" قال النيسابوري: "هذا حديث صحيح على شرط مسلم"^(٦). وقال ابن أبي الحميد: "قال الشيخ أبو القاسم البلخي: وقد روى كثير من أرباب الحديث عن جماعة من الصحابة، قالوا: ما كنا نعرف المناقين على عهد رسول الله عليهما السلام إلا ببغض علي بن أبي طالب"^(٦).

وإذا ثبت من خلال هذه الأحاديث أنَّ علياً عليهما السلام هو ميزان الإيمان والنفاق، فلا بد لمبغضيه من مخرج من هذه الورطة، فلجؤوا إلى تقييع هذا الميزان، فنسبوه

إلى كل الأنصار، فرووا عن النبي ﷺ أنه قال: «الأنصار لا يحبهم إلا مؤمن، ولا يبغضهم إلا منافق، فمن أحبهم أحبه الله، ومن أبغضهم أبغضه الله»^(٦). ولا أدرى من هم المخاطبون بهذا الحديث؟ وهل يشمل علياً عَلَيْهِ الْكَلَمُ الْمُبَرَّكُ أو لا؟ وهل النفاق مخصوص بالمهاجرين؟ وهل يعني ذلك أن بعض المهاجرين لا يستلزم النفاق؟ ثم كيف نفهم الحصر في قول الصحابة: "لم نكن نعرف المنافقين إلا ببغض علي"؟ يبدوا أن واضح هذا الحديث لم يفكري بمثل هذه الأسئلة.

الفضيلة السابعة: أحب الناس إلى النبي ﷺ

أخرج الترمذى والنسائى والحاكم وغيرهم عن جمیع بن عمير التیمی قال: دخلت مع عمی عائشة فسئلت: أي الناس كان أحب إلى رسول الله ﷺ؟ قالت: فاطمة، فقيل: من الرجال، قالت: زوجها، إن كان ما علمت صواماً قواماً. قال الترمذى: "هذا حديث حسن غريب". وقال الحاکم: "هذا حديث صحيح الإسناد ولم یخرجاھ"، وأخرجه ابن عساکر من أكثر من عشرة طرق^(٦٣).

وعن شریح بن هانئ عن أبيه عن عائشة قالت: ما خلق الله خلقاً كان أحب إلى رسول الله ﷺ من علي. رواه ابن عساکر وقال: "غريب جداً"^(٦٤). وفي خصائص النسائي عن ابن بريدة، قال: "جاء رجل إلى أبي فساله: أي الناس كان أحب إلى رسول الله ﷺ؟ قال: من النساء فاطمة، ومن الرجال على هذا"^(٦٥).

وضع الحديث في عائشة وأبيها

وقد ترك البخاري ومسلم الأحاديث المتقدمة ورويا عن عمرو بن العاص: "أنَّ النَّبِيَّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّدَ عَلَيْهِ بَعْثَهُ عَلَى جَيْشِ ذَاتِ السَّلَاسِلِ فَأَتَيْتَهُ فَقَلَّتْ: أَيُّ النَّاسِ أَحَبُّ إِلَيْكَ؟ قَالَ: «عَائِشَةُ»، فَقَلَّتْ: مَنِ الرَّجُلُ؟ فَقَالَ: «أَبُوهَا»، فَقَلَّتْ: ثُمَّ مَنِ؟ قَالَ: ثُمَّ عمرَ بْنَ الخطَّابِ، فَعَدَ رِجَالًا"^(٦٦).

ولا أدرى كيف تكون عائشة أحب إلى النبي ﷺ من بضعته التي هي سيدة نساء العالمين؟! ويكتفي أن راوي الحديث هو ابن العاص، وقد حذر أمير المؤمنين عثمان، من الأخذ بهذه الرواية وغيرها، فقد روى سليم أنه: "بلغ أمير المؤمنين عثمان أن عمرو بن العاص خطب الناس بالشام فقال: بعثني رسول الله ﷺ على جيشه فيه أبو بكر وعمر، فظننت أنه إنما بعثني لكرامتى عليه. فلما قدمت قلت: يا رسول الله، أي الناس أحب إليك؟ فقال: عائشة. قلت: ومن الرجال. قال: أبوها. أيها الناس، وهذا علي يطعن على أبي بكر وعمر وعثمان، وقد سمعت رسول الله ﷺ يقول: إن الله ضرب بالحق على لسان عمر وقلبه، وقال في عثمان: إن الملائكة تستحي من عثمان، وقد سمعت علياً وإلا فصمتا - يعني أذنيه - يروي على عهد عمر: إن النبي نظر إلى أبي بكر وعمر مقبلين، فقال: يا علي، هذان سيدا كهول أهل الجنة من الأولين والآخرين ما خلا النبيين منهم والمرسلين، ولا تحدثهما بذلك فيهمكما، فقام علي فقال: «العجب لطغاة أهل الشام حيث يقبلون قول عمرو ويصدقونه وقد بلغ من حديثه وكذبه وقلة ورعيه أن يكذب على رسول الله ﷺ، وقد لعنه سبعين لعنة ولعن صاحبه الذي يدعوه إليه في غير موطن، ... لكأنني بالقراء الضعفة الجتهدين قد رروا حديثه وصدقوه فيه واحتجوا علينا أهل البيت بكذبه...، والله ما أراد بقوله في عائشة وأبيها إلا رضا معاوية ولقد استرضاه بسخط الله»^(٦٧). وأكثر من هذا ما روي عن محمد بن الحنفية قوله: "قلت لأبي: من خير الناس بعد رسول الله ﷺ؟، قال: أبو بكر، قال: قلت: ثم من. قال: ثم عمر، قال: قلت: فأنت. قال: أبوك رجل من المسلمين؟!!^(٦٨)". ووضع مثل هذه الأحاديث على لسان علي عثمان، لتكون أكثر مقبولية.

الفضيلة الثامنة: رحيل النبي ﷺ في حجر علي عثمان

إن مرض النبي ﷺ قد أحدث هزة بين المسلمين، وكان حديث الساعة

بينهم، حتى أنهم امتنعوا عن الذهاب في جيش أسامة، لعلمهم بقرب رحيله عليهما الله، حتى خرج عليهما الله رغم مرضه وخطب فيهم وقال: «جهزوا جيش أسامة، لعن الله من تخلف عن جيش أسامة». ولا شك أن اللحظات الأخيرة من حياته عليهما الله، تعتبر مهمة جداً في نظر أقرب الناس إليه، فهل يعقل أن يترك علي عليهما الله في هذه اللحظات وهو الذي كان ملازماً له في حياته؟ خصوصاً أنه عليهما الله لم يؤمن بأن يذهب في جيش أسامة كما أمر الآخرون.

تؤكد المصادر أن رحيل النبي عليهما الله كان في حجر علي عليهما الله وهو الذي كان يرضه، فعن جابر عن علي عليهما الله: «قبض رسول الله عليهما الله وإنه لمستند إلى صدرني»، وعن الشعبي عن علي بن حسين عليهما الله: «قبض رسول الله عليهما الله ورأسه في حجر علي»، وعن ابن عباس: «والله لتوفي رسول الله عليهما الله وإنه لمستند إلى صدر علي عليهما الله عنه، وهو الذي غسله وأخي الفضل» وفي حديث أم المؤمنين أم سلمة عليهما الله، قالت: "كان علي آخرهم عهداً به (النبي) جعل يساره، وفوه على فيه ثم قبض"، وعن عائشة، قالت: "قال رسول الله عليهما الله، لما حضره الموت: أدعوا لي حبيبي، فقلت: ادعوا علي بن أبي طالب، فوالله ما يريد غيره، فلما رأه نزع الثوب الذي كان عليه وأدخله فيه، ولم يزل يحضره حتى قبض ويده عليه^(٦).

ولكن نقل البخاري وغيره أنه: "ذُكرَ عند عائشة أنَّ النبي عليهما الله أوصى إلى علي، فقالت: من قاله؟ لقد رأيت النبي عليهما الله وإنني لمستنته إلى صدرني، فدعا بالطست فانحنى فمات فما شعرت، فكيف أوصى إلى علي؟"^(٧). وبضمونه أحاديث كثيرة.

وهذا من مثل عائشة ليس بغرير وهي التي لم تكن تطبق ذكر علي عليهما الله، خصوصاً أنها تحرر النار هنا إلى قرصها، وتريد نفي الوصية لعلي بإيهام أن الوصية بالخلافة مقتصرة على تلك الدقائق من حياة النبي عليهما الله، ويحتمل نسبة الحديث

إليها كذبًا. وفي طبقات ابن سعد وفتح الباري عن أبي غطفان: "سألت ابن عباس أرأيت رسول الله ﷺ توفي ورأسه في حجر أحد؟ قال: توفي وهو مستند إلى صدر علي، قلت: فإن عروة حدثني عن عائشة أنها قالت: توفي رسول الله ﷺ بين سحري ونحري، فقال ابن عباس: أتعقل. والله لتوفي رسول الله ﷺ وإنه مستند إلى صدر علي، وهو الذي غسله وأخي الفضل".^(٧١)

ثم أين كانت فاطمة ؟ وهي البنت الوحيدة له عليهما السلام، أيعقل أن ترك أباها في مرض الموت، بينما تختص عائشة لوحدها بالجلوس مع النبي عليهما السلام؟! ومن يلاحظ عموم روايات عائشة فإنه يخيل له أنَّ النبي عليهما السلام في نصف حياته لا شغل له إلا الجلوس مع عائشة، وأنه لا توجد له زوجة غيرها.

الفضيلة التاسعة: سيف الله المسلول

لا تحتاج مؤنة زائدة لإثبات كون علي عليه السلام هو سيف الله المخلول، فسيرته في الجهاد بين يدي المصطفى عليه وآله، ومن ثم قتاله الناكثين والقاسطين والمارقين خير دليل على ذلك، ويكفيانا قول جبرئيل عليه السلام: «لا سيف إلا ذو الفقار ولا فتي إلا علي»، وعن أم المؤمنين ميمونة بنت الحارث قالت: سمعت رسول الله عليه وآله وصحبه يقول: «علي آية الحق، ورایة الهدى، علي سيف الله يسله على الكفار والمنافقين، فمن أحبه فبحي أحبه، ومن أبغضه فيبغضي أبغضه، ومن أبغضني أو أبغض عليا لقي الله عزوجل ولا حجة له». وعنده عليه السلام: «علي سيف الله على أعدائه». وعن علي عليه السلام: «أنا سيف الله على أعدائه ورحمته على أوليائي».^(٧٢)

ثم إن القوم لما لم يجدوا من ساداتهم الكبار من هو معروف بالشجاعة والبسالة في سوح الجهاد، وضعوا هذه الفضيلة في أحد أنصارهم الأوفياء وهو خالد بن الوليد فسموه "سيف الله المسلول"، وهو الذي حارب النبي عليه وآله لسنوات، وبعد إعلانه الإسلام نفاقاً تبرأ النبي عليه وآله من فعله حينما بعثه لبني خزية فخانهم

وقتل أسراهם لثار كان له في الجاهلية، حيث لما وصل الخبر للنبي ﷺ قال: «اللهم إني أبرأ إليك ما صنع خالد ابن الوليد»^(٧٣)، بالإضافة إلى مشاركته في الهجوم على بيت الزهراء عليها السلام، وقتلها مالك بن نويرة رضي الله عنه ووقوعه على زوجته وهي في العدة ومشكولة بزوجها.

الخاتمة

هذه بعض الفضائل والخصائص التي أراد أعداء علي عليه السلام أن ينسبوها إلى غيره، وهناك فضائل أخرى كثيرة لا يسع المجال للتفصيل فيها، كفضيلة أول الناس إسلاماً حيث نسبت لأبي بكر، ولولادة في الكعبة المشرفة حيث نسبت لحكيم بن حزام، وأكثر من ذلك أنهم رروا روایات كثيرة في ذم علي عليه السلام، ولكن يأبى الله إلا أن يتم نوره ولو كره المشركون.

ونختم الكلام بهذه الرواية الشريفة التي رواها من العامة الموفق الخوارزمي في المناقب عن علي عليه السلام قال: قال رسول الله ﷺ يوم فتحت خير: «لولا أن تقول فيك طائف من أمتى ما قالت الصارى في عيسى بن مریم، لقلت فيك اليوم مقلا، لا تمر على ملأٍ من المسلمين إلا أخنوا من تراب رجليك، وفضل طهورك، يستشفون به، ولكن حسبك أن تكون مني وأنا منك، ترثي وأرثك، وأنت مني بمنزلة هارون من موسى إلا أنه لا نبي بعدي، أنت تؤدي ديني وتقاتل على سني، وأنت في الآخرة أقرب الناس مني، وأنت غداً على الخوض خليفتي، تندو عنـه المنافقـين، وأنت أول من يرد علىـ الخوض، وأنت أول داـخل الجنة منـ أمتـي، وأنـ شـيعـتكـ عـلـىـ منـابرـ منـ نـورـ رـوـاءـ مـروـينـ، مـيـضـةـ وـجـوهـهـمـ حـولـيـ، اـشـفـعـ لهمـ فـيـكـونـونـ غـداـ فيـ الجـنـةـ جـيـرانـيـ، وأنـ عـدوـكـ غـداـ ظـمـاءـ مـظـمـئـينـ، مـسـودـةـ وـجـوهـهـمـ مـقـمـحـينـ، حـربـكـ حـربـيـ وـسـلـمـكـ سـلـمـيـ، وـسـرـكـ سـرـيـ وـعـلـانـيـتـكـ عـلـانـيـقـيـ، وـسـرـيـرـةـ صـدـرـكـ كـسـرـيـرـةـ صـدـرـيـ، وـأـنـ بـابـ عـلـمـيـ، وـأـنـ وـلـدـكـ ولـدـيـ، وـلـحـمـكـ لـحـمـيـ، وـدـمـكـ دـمـيـ، وـأـنـ الحـقـ معـكـ، وـالـحـقـ عـلـىـ لـسـانـكـ وـفـيـ قـلـبـكـ وـبـيـنـ عـيـنـيـكـ، وـإـيمـانـ خـالـطـ لـحـمـكـ وـدـمـكـ كـمـاـ خـالـطـ لـحـمـيـ وـدـمـيـ، وـأـنـ اللهـ يـعـلـمـ أـمـرـيـ

أَنْ أَبْشِرُكَ أَنْكَ وَعْتَدْتُكَ فِي الْجَنَّةِ، وَأَنْ عَدْوُكَ فِي النَّارِ، [يَا عَلَيْ] لَا يَرْدُ عَلَى الْحَوْضِ
مِغْصُ لَكَ، وَلَا يَغْيِبُ عَنْهُ حُبُّ لَكَ». قَالَ: قَالَ عَلَيْ: «فَخَرَّتْ لَهُ سَاجِدًا
وَحَمْدَتْهُ عَلَى مَا أَنْعَمَ بِهِ عَلَيْ مِنَ الْإِسْلَامِ وَالْقُرْآنِ، وَحَبَّبَتْ إِلَى خَاتَمِ النَّبِيِّ وَسَيِّدِ
الْمُرْسَلِينَ عَلَيْهِ السَّلَامُ». وَزَادَ فِي الْخَصَالِ: فَقَالَ النَّبِيُّ عَلَيْهِ السَّلَامُ: «لَوْلَا أَنْتَ لَمْ يَعْرِفْ الْمُؤْمِنُونَ
بَعْدِي»^(٧٤).

المواهش:

- (١) المراجعات ص ٢٥٥.
- (٢) الغدير، ج ١١، ص ٢٩، شرح النهج، ج ١١، ص ٤٤.
- (٣) شرح أصول الكافي، ج ٨، ص ٣١٦.
- (٤) بصائر الدرجات ص ٧٤، الإمامة والتبرصة ص ١١١.
- (٥) السنن الكبرى للنسائي، ج ٥، ص ١٠٦، وخصائصه ص ٤٦، والمصنف لابن أبي شيبة الكوفي، ج ٧، ص ٤٩٨، وكتاب السنة، لعمرو بن أبي عاصم، ص ٥٨٤، والآحاد والثنائي للضحاك، ج ١، ص ١٤٨، وتفسير الشعبي، ج ٥، ص ٨٥، وشرح النهج، ج ١٣ ص ٢٢٨ ونقله أيضاً في ج ١٣، ص ٢٠٠ عن تاريخ الطبراني، وكنز العمال، ج ١٣، ص ١٢٢، وينابيع المودة، ج ١، ص ١٩٥، والمستدرك للحاكم، ج ٣، ص ١١٢.
- (٦) مجمع الزوائد، ج ٩، ص ١٠٢، والمجمعم الكبير، ج ٦، ص ٢٦٩، وتاريخ دمشق، ج ٤٢، ص ٤٢-٤١، وكنز العمال، ج ١١، ص ٦١٦، والاستيعاب، ج ٤، ص ١٧٤٤، وشرح النهج، ج ١٣، ص ٢٢٨.
- (٧) الآحاد والثنائي للضحاك، ج ١، ص ١٥١، تاريخ دمشق، ج ٤٢، ص ٣٣، وتهذيب الكمال للزمي، ج ١٢، ص ١٨، والعثمانية للجاحظ، ص ٢٩٠، وينابيع المودة، ج ٢، ص ١٤٦، وشرح النهج، ج ١٣، ص ٢٢٨، وكنز العمال، ج ١٣، ص ١٦٤.
- (٨) شرح النهج لابن أبي الحميد، ج ٤، ص ١٢٢.
- (٩) البخاري، ج ٤، ص ١٩٧، وسنن أبي داود، ج ٢، ص ٤٠٢، ومسند أحمد، ج ٣، ص ١١٢.
- (١٠) السيرة النبوية لابن هشام، ج ٢، ص ٢٦٩، تفسير القرطبي، ج ١٠، ص ٢٨٥-٢٨٦.
- (١١) في تفسير العياشي، ج ٢، ص ٢٩٧، عن الصادق عَلَيْهِ السَّلَامُ: «أَنَّ عَلِيًّا عَلَيْهِ السَّلَامُ قَالَ لِعُمَرَ: يَا أَبا حَفْصٍ

ألا أخبرك بما نزل في بني أمية؟ قال: بلى، قال: فإنه نزل فيهم ﴿وَالشَّجَرَةُ الْمَاعُونَةُ فِي الْقُرْآنِ﴾ قال: فغضب عمر وقال: كذبت، بنو أمية خيرٌ منك، وأوصل للرحم».

(١٢) تاريخ مدينة دمشق لابن عساكر، ج ٣٠، ص ٢٦٦.

(١٣) الطبقات الكبرى، ج ٦، ص ٢٤٨.

(١٤) شواهد التنزيل للحسكاني، ج ٢، ص ١٧٩-١٨١، وراجع تاريخ دمشق، ج ٤٢، ص ٣٥٩، وتفسير القرطبي، ج ١٥، ص ٢٥٦، وتفسير الآلوسي، ج ٢٤، ص ٣، وتفسير البحر المحيط، للأندلسي، ج ٧، ص ٤١٢، وفتح القدير للشوكتاني، ج ٤، ص ٤٦٣.

(١٥) الم الموضوعات لابن الجوزي، ج ١، ص ٣٣٦.

(١٦) الاحتجاج، ج ١، ص ٢٣٠.

(١٧) البرهان للزركشي ج ١ ص ١٥٦.

(١٨) مجمع الزوائد، ج ٩، ص ١٣٤-١٣٥.

(١٩) شرح النهج، ج ٢، ٢٦٧، ينابيع المودة، ج ١، ص ١٧٣.

(٢٠) تاريخ بغداد، ج ١٤، ص ٣٢٢، وتاريخ دمشق، ج ٤٢، ص ٤٤٩، ومجمع الزوائد، ج ٧، ٢٣٥-٢٣٦، ونقله في ج ٩، ص ١٣٤ عن الطبراني في المعجم الصغير والأوسط.

(٢١) الغدير، ج ٣، ص ١٧٧. وذكر قريب منه ابن قتيبة في الإمامة والسياسة، ج ١، ص ٧٣ و ٩٨.

(٢٢) الطبقات الكبرى، ج ٣، ص ٢٧٠-٢٧١، وتاريخ دمشق، ج ٤٤، ص ٥٠-٥١.

(٢٣) ذكره الرازي في تفسيره، ج ١٠، ص ١٥٣-١٥٤ ونسبه إلى كثير من المفسرين.

(٢٤) تاريخ دمشق، ج ٤٤، ص ٥٠-٥١.

(٢٥) مجمع الزوائد، ج ٤، ص ٢٨٤، وشرح النهج، ج ١، ص ١٨٢، وكنز العمال، ج ١٦، ص ٥٣٨، والدر المنشور للسيوطى، ج ٢، ص ١٣٣، وغيرها.

(٢٦) الاحتجاج ج ١ ص ٢٠٤.

(٢٧) الطبقات الكبرى، ج ٣، ص ٢٧٠، وتاريخ المدينة لابن شبة النميري (م ٢٦٢)، ج ٢، ص ٦٦٢، وتاريخ الطبرى، ج ٣، ص ٢٦٧، وتاريخ دمشق، ج ٤٤، ص ٥١، وأسد الغابة، ج ٤، ص ٥٧.

(٢٨) الاحتجاج، ج ١ ص ٢٣٠، كتاب سليم بن قيس الهلالي، ص ٤٠٢.

- (٢٩) الكافي، ج ١، ص ٤١٢-٤١٣.
- (٣٠) نعم ذكر ابن كثير في البداية والنهاية، ج ٧، ١٥٤: ”قال الواقدي: حدثنا أبو حمزة (الصحيح أبو حرزة) يعقوب بن مجاهد عن محمد بن إبراهيم عن أبي عمرو قال: قلت لعائشة: من سمي عمر الفاروق أمير المؤمنين؟ قالت: النبي ﷺ قال: ”يا أمير المؤمنين هو“ وأول من حيَّهَا المغيرة بن شعبة“ وقيل غيره. فالله أعلم“. وأبو حرزة هو الذي نقل تسمية عمر بالفاروق عن عائشة فيما تقدم وبنفس هذا السند، وهو متهم.
- (٣١) التاريخ الكبير للبخاري، ج ١، ص ٧٩، وتاريخ دمشق، ج ٤، ص ٢٦١، الاستيعاب، ج ٣، ص ١١٥، وفيات الأعيان لابن خلكان، ج ٦، ص ١٠٥.
- (٣٢) تاريخ ابن خلدون، ج ١، ص ٢٢٧.
- (٣٣) وفيات الأعيان، ج ٦، ص ١٠٥.
- (٣٤) كنز العمل، ج ١٢، ص ٥٧٦، وراجع طبقات ابن سعد، ج ٣، ص ٢٨١، وفيات الأعيان، ج ٦، ص ١٠٥، وتفسير البحر الحيط، ج ٧، ص ٣٧٨، وتفسير الآلوسي، ج ٢٣، ص ١٨٦، وتفسير الشعالي، ج ٥، ص ٦٤-٦٥.
- (٣٥) تاريخ الطبرى، ج ٣، ص ٢٧٧، والكامل في التاريخ، ج ٣، ص ٥٨، وأسد الغابة، ج ٤، ص ٧١، والبداية والنهاية، ج ٧، ص ١٥٤، وتاريخ المدينة، ج ٢، ص ٦٧٨، وفيات الأعيان، ج ٦، ص ١٠٥.
- (٣٦) الكافي، ج ١، ص ٤١٢-٤١٣.
- (٣٧) الاحتجاج، ج ١، ص ١٨٨، وفي هذه الرسالة كثيرٌ من الحقائق لمن أحب المراجعة.
- (٣٨) المناقب لابن مردوحه، ص ٥٧-٥٦، وراجع كتاب الأربعين للماحوزي، ص ٢٥٠.
- (٣٩) المناقب لابن مردوحه، من ص ٥٥ إلى ص ٦٤، وتاريخ دمشق، ج ٤٢، ص ٣٨٦ وص ٣٠٣، والمناقب للخوارزمي، ص ٨٥، ونقله المعتزلي عن حلية الأولياء في شرح النهج، ج ٩، ص ١٦٩، وراجع مطالب المسؤول، لابن طلحة الشافعى، ص ١٢٦، وكتاب الأربعين للماحوزي، ص ٢٤٧.
- (٤٠) السنن الكبرى للنسائي، ج ٣، ص ٢٦٥، وخصائصه، ص ١١٤، وصحیح ابن حبان، ج ١٥، ص ٣٩٩، والمستدرک على الصحیحین، ج ٢، ص ١٦٧.
- (٤١) شرح النهج، ج ١٣، ص ٢٢٨، والعثمانية للجاحظ، ص ٢٩٠.
- (٤٢) صحیح ابن حبان، ج ١٥، ص ٣٩٣-٣٩٤، المعجم الكبير، ج ٢٢، ص ٤٠٩-٤١٠، مجمع

- الزوائد، ج ٩، ص ٢٠٥، وكنز العمال، ج ١٦، ص ٦٨٤، وموارد الظمان للهيثمي، ج ٧، ص ١٣٧.
- (٤٣) المعجم الكبير للطبراني، ج ٢٢، ص ٤٠٧، مجمع الزوائد، ج ٩، ص ٢٠٤.
- (٤٤) البحار، ص ٤٠، ص ٧٧، وينابيع المودة للقندوزي، ج ٢، ص ٦٧.
- (٤٥) الكافي، ج ١، ص ٤٦٠.
- (٤٦) سنن البيهقي، ج ٧، ص ٧٣.
- (٤٧) عمدة القاري للعیني، ج ١٦، ص ٢٠١، فتح الباري لابن حجر، ج ٧، ص ٤٣.
- (٤٨) البداية والنهاية، ج ٧، ص ٢٣٧.
- (٤٩) المعجم الكبير للطبراني، ج ٢٢، ص ٤١٠.
- (٥٠) مسنن ابن حنبل ج ٤، ص ٣٦٩، وسنن النسائي، ج ٥، ص ١١٨، والخصائص، ص ٧٣، وتاريخ دمشق، ص ٤٢، ص ١٣٨، والبداية والنهاية، ج ٧، ص ٣٧٩، والمناقب للخوارزمي، ص ٣٢٧، وكنز العمال، ج ١١، ص ٥٩٨ وص ٦١٨، ومستدرك الحاكم ج ٣، ص ١٢٥.
- (٥١) القول المسدد في مسنن أحمد، لابن حجر العسقلاني، ص ٣٠-٢٧.
- (٥٢) البخاري ج ١، ص ١٢٠، وج ٤ ص ١٩٠، وسنن النسائي، ج ٥، ص ٣٥.
- (٥٣) البخاري، ج ١، ص ١٢٠، وج ٤، ص ٢٥٤، وسنن الترمذى، ج ٥، ص ٢٧٠، وفي لسان العرب: ”الخوخة: كوة في البيت تؤدي إليه الضوء. والخوخة: مخترق ما بين كل دارين لم ينصب عليها باب، بلغة أهل الحجاز، وعم به بعضهم فقال: هي مخترق ما بين كل شيئين“.
- (٥٤) الموضوعات لابن الجوزي، ج ١، ص ٣٦٦.
- (٥٥) شرح النهج، ج ١١، ص ٤٩.
- (٥٦) السنن الكبرى، النسائي، ج ٥، ص ١٣٧، وج ٦، ومسند أبي يعلى الموصلي، ج ١، ص ٢٥١.
- (٥٧) الاستيعاب، ج ٣، ص ١١٠، وراجع المعجم الأوسط، ج ٢، ص ٣٣٧، وج ٥، ص ٨٧، وكنز العمال، ج ١١، ص ٦٢١-٦٢٣.
- (٥٨) الجامع الصغير للسيوطى، ج ٢، ص ١٨٢، وكنز العمال، ج ١١، ص ٦٠١، وفيض القدير للمناوي، ج ٤، ص ٤٨١.
- (٥٩) الاستيعاب، ج ٣، ص ١١٠، والمعجم الأوسط، للطبراني، ج ٢، ص ٣٢٨.
- (٦٠) المستدرك للنيسابوري، ج ٣، ص ١٢٩، وكنز العمال، ج ١٣، ص ١٠٦.
- (٦١) شرح النهج، ج ٤، ص ٨٤.

- (٦٢) البخاري ج ٤، ص ٢٢٣.
- (٦٣) سنن الترمذى، ج ٥، ص ٣٦٠، والخواص للنسائى، ص ١٠٩-١١٠، والمستدرک، ج ٣، ص ١٥٧، مستند أبي يعلى، ج ٨، ص ٢٧٠، وتاريخ بغداد، ج ١١، ص ٤٧٨، والمعجم الكبير، ج ٢٢، ص ٤٠٣، والاستيعاب، ج ٤، ص ١٨٩٧، وتاريخ دمشق، ج ٤٢، ص ٢٦٠-٢٦٤، وتاريخ الإسلام للذهبي، ج ٣، ص ٦٣٥، والمناقب للخوارزمي، ص ٧٩، وينابيع المودة، ج ٢، ص ٣٩ وص ٣٢١.
- (٦٤) تاريخ دمشق، ج ٤٢، ص ٢٦٠.
- (٦٥) خصائص علي ابن أبي طالب عَلَيْهِ الْكَلَمُونَ للنسائى، ص ١٠٩-١١٠.
- (٦٦) البخاري ج ٤، ص ١٩٢ وج ٥، ص ١١٣، صحيح مسلم، ج ٧، ص ١٠٩.
- (٦٧) كتاب سليم، ص ٢٧٧.
- (٦٨) المصنف لابن أبي شيبة، ج ٧، ص ٤٧٣.
- (٦٩) عمدة القاري، للعینی، ج ١٨، ص ٧١، وراجع فتح الباری، لابن حجر، ج ٨، ص ١٠٧، وطبقات ابن سعد، ج ٢، ص ٢٦٤.
- (٧٠) البخاري، ج ٥، ص ١٤٤.
- (٧١) طبقات ابن سعد، ج ٢، ص ٢٦٤، وفتح الباري، ج ٨، ص ١٠٧.
- (٧٢) راجع أمالی الطوسي، ص ٥٠٦، وأمالی الصدوق، ص ٦١. والبحار، ج ٣٥، ص ٦١.
- (٧٣) البخاري ج ٨، ص ١١٨، وسنن النسائي ج ٨، ص ٢٣٧، تاريخ اليعقوبي، ج ٢، ص ٦١.
- (٧٤) المناقب للخوارزمي، ص ١٢٩، والخصال ص ١٥٧ عن جابر ابن عبد الله الأنصاري، كما روی أول هذا الحديث مجموعةً، منهم ابن حجر الهيثمي في مجمع الزوائد، ج ٩، ص ١٣١، والطبراني في المعجم الكبير، ج ١، ص ٣٢٠.



الحكومة الإسلامية قرآنياً..

حكومة الإمام علي عَلَيْهِ الْكَلَمُ نموذجاً

جعفر علي الملاكي

إنَّ الإنسان بحكم أنه يعيش في مجتمعٍ يجمعُ بين جوانبه الشقيق الكبير والطفل الصغير والمرأة والرجل وكذا الشاب والشابة، فإنَّ ذلك الإنسان سيضطر لتأسيس قانونٍ يحكم علاقته بنفسه وبغيره وأيضاً ببقية المخلوقات. فكما قد قيل في اصطلاح العلماء (أنَّ الإنسان مدني بالطبع) أي أنه إذا خُلِيَّ الإنسان -سواءً بفطرته أو باضطراره- لأحبَّ الحياة الاجتماعية التي تجمعه بغيره، وتلك الحياة الاجتماعية بدورها سوف تقوم بتأسيس قوانين لكي تحفظ حقوق تلك الأفراد المجتمعة في ذلك المجتمع.



من يتبع حركة النبي الأكرم ﷺ يجد أنّ أول عملٍ قام به بعد أن هاجر إلى المدينة المنورة هو إقامة الحكومة. حيث أنه ﷺ لم يكن مأموراً بالظهور والإعلان عن دعوته في مكة المكرمة في بداية الأمر. وبعد فترة أمره الباري بإعلان رسالته لقوله ﷺ: «فَاصْدِعْ بِمَا تُؤْمِرُ وَأَغْرِضْ عَنِ الْمُشْرِكِينَ»^(١) فأخذ الرسول الأكرم يلتقي بقادة القبائل ورؤساء الوفود الآتية لمكة، وبعد أن هاجر إلى المدينة المنورة نلاحظ كيف أنه قد أسس جيشاً منظماً واتخذ مركزاً للقضاء والإدارة وللجماعات - وهو المسجد - ونظم الشأن الاقتصادي بوضع رواتب للعاملين، ونظم العلاقات الاجتماعية بالمؤاخاة بين المهاجرين والأنصار مثلاً وكذلك بين القبائل المتحاربة، وأيضاً قام رسول الله ﷺ براسلة الملوك والأمراء في الجزيرة العربية وخارجها، وبإرسال سفراء ونواب إلى بقية الملوك والزعماء، وأيضاً من الأمور المهمة هي تنصيبه القضاة وتعيينه الولاة، وإعطائهم برنامجاً للإدارة والسياسة، فأوصاهم فيما أوصاهم بتعليم أحكام الإسلام ونشر الأخلاق والآداب الإسلامية وتعليم القرآن الكريم وجباية الفرائب وغيرها.

لذا بالتالي نجد أنّ النبي ﷺ يعمل عمل الساسة وأصحاب السلطات اليوم، ولكن الفرق بينه وبينهم أنه ﷺ كان يفعل ذلك وفق منهج السماء، فكان يقوم بالعزل والتنصيب وعقد الأحلاف وتوقيع الوثائق السياسية والعسكرية والاقتصادية حسبما تقتضيه المصلحة الإسلامية والاجتماعية آنذاك.

ومع وضوح هذه المقوله وكذا البرهنة عليها من سيرة الرسول الكريم ﷺ إلا أنّ البعض ذهب إلى إمكانية تطبيق الإسلام في المجتمع دون حاجة إلى حكومة قوية وسلطة سياسية مقتدرة!!

وهذا قال قائد الثورة الإسلامية الإمام الخميني في محاضراته عن الحكومة الإسلامية: "والحق أنّ القوانين والأنظمة الاجتماعية بحاجة إلى منفذ في كل دول

العالم، لا ينفع التشريع وحده، ولا يضمن سعادة البشر، بل ينبغي أن تعقب سلطة التشريع سلطة التنفيذ فهي وحدها التي تغرس ثمرات التشريع العادل.

لهذا قرر الإسلام إيجاد سلطة التنفيذ إلى جانب سلطة التشريع فجعل للأمر ولليّ للتنفيذ إلى جانب تصديه للتعليم والنشر والبيان”⁽²⁾.

وملخص القول أنَّ الإنسان بفطرته ميالٌ للحياة التي تتصرف بالتنظيم، وأنَّ النفس البشرية ترغب عن العيشية التي لا يحكمها قانون وعهود ومواثيق، وأنَّ وجود الحكومة في الحياة الاجتماعية مما دلَّ عليه العقل والكتاب والسنة والسيرة النبوية الشريفة وسيرة الأنمة بما لا يقبل جدلاً.

لاماح الحاكم الإسلامي والرعاية

إنَّ الهدف الأكبر من الحكومة الإسلامية التي صاغ فكرها القرآن الكريم تتمثل في جوانب عدة من أهمها إقامة حكم الله على وجه البساطة، وفي مبحثنا هذا سننتطرق لأبرز سمات الحاكم الإسلامي وكذا الرعاية.

الحاكم الإسلامي:

في منطق القرآن وحسب تشريعه الحكيم نجد أنه وضع صفات لذلك الحاكم الإسلامي، فليس هو مجرد من يأخذ بزمام الجماعة كيما كان ويأمر وينهى بما تشتهيه نفسه، ويحكم على الناس بمجرد السلطة وشهوة الحكم، بل إنَّ الحاكم ذو مسؤولية كبيرة وثقيلة أشار إليه قوله تعالى: ﴿الَّذِينَ إِنْ مَكَثُوا فِي الْأَرْضِ أَقَامُوا الصَّلَاةَ وَآتَوْا الزَّكَةَ وَأَمْرُوا بِالْمَعْرُوفِ وَنَهَوْا عَنِ الْمُنْكَرِ وَلِلَّهِ عَاقِبَةُ الْأُمُورِ﴾⁽³⁾.

فالمسؤوليات الملقاة على عاتق الحاكم في الإسلام عبارة عن:

إقامة الصلاة: أي توثيق عُرى الفرد بربه، والذي فيه كل خير.

إيتاء الزكاة: تنظيم الشأن الاقتصادي لذلك المجتمع الإسلامي.
 الأمر بالمعروف: إشاعة الخير والصفات الحسنة والصلاح في المجتمع.
 النهي عن المنكر: مكافحة كل ألوان الفساد والانحراف والظلم والزور.

الرعاية:

وكما وضمنا بعض مسؤوليات ذلك الحاكم فبالمقابل هناك حقُّ هذا الحاكم على الرعاية، وهذا الحق يوضحه إمام المتقين عَلَيْهِ السَّلَامُ في إحدى خطبه في نهج البلاغة فيقول: «أما بعد، فقد جعل الله لي عليكم حقاً بولاية أمركم، ولكم عليّ من الحق مثل الذي لي عليكم»^(٤). وبعدها يشير عَلَيْهِ السَّلَامُ إلى واحدة من أنصع القوانين الإسلامية فيقول: «الحق لا يجري لأحد إلا جرى عليه، ولا يجري عليه إلا جرى له»، وعلى هذا فلا تبييز ولا تفرقة بين الحاكم والمحكوم بل الجميع أمام القوانين الإسلامية سواء، وعلى الحاكم والرئيس أن يؤدي حقوق الناس كأي فرد من أفراد الأمة العاديين، ثم هذا هو عَلَيْهِ السَّلَامُ يوصي واليه على مصر مالك الأشتر فيقول له: «وأشعر قلبك الرحمة للرعاية والحبة لهم، وللطف بهم، ولا تكونن عليهم سبعاً ضارياً تفتنم أكلهم، فإنهم صنفان: إما أخ لك في الدين أو نظير لك في الخلق»^(٥)، إن الدولة الإسلامية لا تشمل بعدها ورحمتها ولطفها المواطنين المسلمين فقط، بل تشمل من سواهم من أهل الملل الأخرى كاليهود والنصارى وغيرهم. ففي التاريخ الإسلامي نرى كيف كان يرجح النصارى واليهود الحياة في ظل الدولة الإسلامية ورعايتها على دولتهم الخاصة.

أنواع الحكومات في العالم

الحكومة الملكية:

إن القرآن الكريم يعتبر طبيعة الملكية بحكم كونها ناشئة من الفرد، طبيعة

مِيَالَةٌ إِلَى الْفَسَادِ وَالتَّفَرْعُونَ وَحِلْ الْإِرَادَةِ الْفَرْدَيَّةِ عَلَى الشَّعُوبِ بِالْقَهْرِ وَالْإِرْغَامِ
وَإِذْلَالِ أَبْنَائِهَا وَأَعْزَّهَا إِلَى غَيْرِ ذَلِكِ مِنَ الْمُنْكَرَاتِ وَالْمُفَاسِدِ وَالْتَّبعَاتِ الَّتِي عَانَتْ
مِنْهَا الْبَشَرِيَّةُ طَوَالَ قَرْوَنَ، إِذْ يَقُولُ سَبَحَانَهُ: ﴿قَالَتْ إِنَّ الْمُلُوكَ إِذَا دَخَلُوا قَرْيَةً
أَفْسَدُوهَا وَجَعَلُوا أَعِزَّةَ أَهْلِهَا أَذْلَةً وَكَذَلِكَ يَفْعَلُونَ﴾^(٦). هَذِهِ الْكَلْمَةُ الَّتِي نَقَلَهَا
الْبَارِي جَلَّ وَعَلَّا فِي هَذِهِ الْآيَةِ عَنْ بَلْقَيْسِ مَلْكَةِ سَبَأٍ، قَتَلَ إِحْدَى سِنَنِ التَّارِيخِ
الْحَاكِمَةِ فِي الْحَيَاةِ الْبَشَرِيَّةِ. يَقُولُ السَّيِّدُ قَطْبُ فِي تَفْسِيرِهِ لَهُذِهِ الْآيَةِ: "... فَهِيَ
تَعْرُفُ أَنَّ مِنْ طَبِيعَةِ الْمُلُوكِ أَنَّهُمْ إِذَا دَخَلُوا قَرْيَةً أَشَاعُوا فِيهَا الْفَسَادَ وَأَبَاحُوا دَمَارَهَا،
وَأَنْتَهُوكُوا حِرْمَاتِهَا، وَهَطَّمُوا الْقُوَّةَ الْمَدَافِعَةَ عَنْهَا، وَعَلَى رَأْسِهَا رُؤْسَاؤُهَا، وَجَعَلُوهُمْ أَذْلَةً
لِأَنَّهُمْ عَنْصُرُ الْمَقاوِمَةِ، وَأَنَّهُمْ دَأْبُهُمُ الَّذِي يَفْعَلُونَ"^(٧).

وَالْقُرْآنُ عِنْدَمَا يَتَكَلَّمُ عَنْ أَحْوَالِ الْمُلُوكِ الَّذِينَ حَكَمُوا الْأَرْضَ يَذْكُرُ جَسْعَهُمْ
وَطَمْعَهُمُ الَّذِي لَمْ يَقْفِي عَنْهُ وَيَصُورُ لَنَا كَيْفَ أَنَّهُمْ لَمْ يَتَرَكُوا حَتَّىْ أَمْوَالَ
الضُّعَافَاءِ وَالْمَسَاكِينِ. فَمَثَلًا يَذْكُرُ الْقُرْآنُ لَنَا عَنْ مَلَكٍ بَلَغَ بِهِ الْجَشُّ وَالْمَحْرَصَ إِلَى
دَرْجَةِ اِنْتِزَاعِ سَفِينَةِ بَعْضِ الْمَسَاكِينِ الَّتِي كَانُوا يَرْتَزِقُونَ مِنْ وَرَائِهَا وَيَحْصَلُونَ بِهَا
عَلَى لَقْمَةِ عِيشَهُمْ: ﴿أَمَّا السَّفِينَةُ فَكَانَتْ لِمَسَاكِينَ يَعْمَلُونَ فِي الْبَحْرِ فَأَرَدَتْ أَنْ
أَعِيَّبَهَا وَكَانَ وَرَاءَهُمْ مَلِكٌ يَأْخُذُ كُلَّ سَفِينَةٍ غَصْبًا﴾^(٨)، وَهَا هُوَ فَرَعُونَ أَحَدُ مُلُوكِ
مَصْرَ يَبْلُغُ بِهِ الطَّمْعُ وَالْمَحْرَصُ إِلَى أَنْ يَعِدَّ نَفْسَهُ مَالِكًا لِأَرْضِ مَصْرَ وَأَنْهَارِهَا وَمَا
فِيهَا مِنْ خَيْرٍ مِنْ دُونِ مَبْرُرٍ وَلَا سَبَبٍ إِلَّا الطَّمْعُ وَحَبُّ الْإِسْتِئْشَارِ بِكُلِّ شَيْءٍ
لَوْحِدهِ: ﴿وَنَادَى فَرْعَوْنٌ فِي قَوْمِهِ قَالَ يَا قَوْمَ الْيَسَرِ لِي مُلْكُ مَصْرٍ وَهَذِهِ الْأَنْهَارُ
تَجْرِي مِنْ تَحْتِي أَفَلَا تُبْصِرُونَ﴾^(٩)، وَيَقُولُ الْعَالَمُ الْطَّبَاطِبَائِيُّ فِي تَفْسِيرِهِ
وَصَفَهُ لَطْبِيعَةِ النَّظَامِ الْمَلْكِيِّ وَالسُّلْطَةِ الْمُلُوكِيَّةِ، تَحْتَ عَنْوَانِ (مِنْ الَّذِي يَتَقْلِدُ وَلَا يَهْيَ
الْجَمْعُ فِي الْإِسْلَامِ وَمَا سِيرَتْهُ): "أَنَّ هَذِهِ الطَّرِيقَةَ غَيْرُ طَرِيقَةِ السُّلْطَةِ الْمُلُوكِيَّةِ الَّتِي
تَجْعَلُ مَالَ اللَّهِ فِيهَا لِصَاحِبِ الْعَرْشِ وَعَبَادِ اللَّهِ أَرْقَاءَ لَهُ يَفْعُلُ بِهِمْ مَا يَشَاءُ وَيَحْكُمُ



فيهم ما يريد وليس هي من الطرق الاجتماعية التي وضعت على أساس التمتع المادي من الديمقراطية وغيرها فإن بينها وبين الإسلام فروقاً بيّنة مانعة من التشابه والتماثل.

ومن أعظمها أن هذه المجتمعات لما بنيت على أساس التمتع المادي نفخت في قالبها روح الاستخدام والاستثمار وهو الاستكبار الإنساني الذي يجعل كل شيء تحت إرادة الإنسان وعمله حتى الإنسان بالنسبة إلى الإنسان، ويبعث له طريق الوصول إليه والسلط على ما يهوه ويأمله منه لنفسه، وهذا بعينه هو الاستبداد الملكي في الأعصار السالفة وقد ظهرت في ذي الاجتماع المدني على ما هو نصب أعيننا اليوم من مظالم الملل القوية وإجحافاتهم وتحكماتهم بالنسبة إلى الأمم الضعيفة وعلى ما هو في ذكرنا من أعمالهم المضبوطة في التاريخ.

فقد كان الواحد من الفراعنة والقياصرة والأكاسرة يجري في ضفاء عهده بتحكمه ولعبه كل ما يريده ويهواه.

ويعتذر -لو اعتذر- إن ذلك من شؤون السلطة ولصلاح الملكة وتحكيم أساس الدولة، ويعتقد أن ذلك حق نبوغه وسيادته، ويستدل عليه بسيفه...^(١٠) ، وهذا هو أمير المؤمنين عليه السلام يتحدث عن وضع الناس المأsoyi في ظل النظام الملكي (الكسروي والقيصري) الذين يمثلان أسوأ مظاهر الملكية التاريخية، وهو عليه السلام يخبرنا عن تلك العقود والأيام بقوله عليه السلام: «واعتبروا بحال ولد إسماعيل وبني إسحاق وبني إسرائيل عليه السلام». فما أشد اعدال الأحوال، وأقرب اشتباه الأمثال. تأملوا أمرهم في حال تشتيتهم وتفرقهم ليالي كانت الأكاسرة والقياصرة أربابا لهم، يختارونهم عن ريف الآفاق، وبحر العراق وخضرة الدنيا إلى منابت الشیع، ومهافي الريح، ونکد المعاش. فتركوهم عالة مساكين إخوان دبر ووبر، أذل الأمم دارا، وأجدبهم قرارا. لا يأowون إلى جناح دعوة يعتضدون بها، ولا إلى ظل آنفة يعتمدون على عزها. فالآحوال مضطربة، والأيدي مختلفة، والكثرة متفرقة. في بلاء أزل، وإطباقي جهل»^(١١).

مساوئ حكم الملوكيّة

إنَّ الحاكم المستبد في الرأي والحكم يعتقد أنه يجب على الجميع أن يروا رأيه سواء وافق الدليل أم لا، وسواء طابق المصلحة أم لا، بل يكفي في صحته ولزوم طاعته أنه رأي الملك ومشيئته، كما يحكي القرآن عن لسان فرعون كلامه بعدما قال مؤمن آل فرعون: ﴿يَا قَوْمَ لَكُمُ الْمُلْكُ الْيَوْمَ ظَاهِرِينَ فِي الْأَرْضِ فَمَنْ يَنْصُرُنَا مِنْ بَاسِ اللَّهِ إِنْ جَاءَنَا قَالَ فِرْعَوْنُ مَا أَرِيكُمْ إِلَّا مَا أَرَى وَمَا أَهْدِيْكُمْ إِلَّا سَبِيلَ الرَّشَادِ﴾^(١٢)، وقد يبلغ الاستبداد بالحاكم إلى أن يرى نفسه أعلى من كل الموجودات ويطلب من الناس عبادته ويحظر عليهم عبادة غيره حظراً شديداً ومنعاً باتاً، بحيث لو سولت لأحد نفسه أن يعبد غير ذلك الحاكم الطاغي والملك المستبد أخذه بأشد العذاب وأقسى أنواع العقاب كما يحكي الباري عزوجل عن فرعون.

حكومة الأغنياء:

تحتفق باستيلاء جماعة من ذوي الثراء الكبير على زمام الحكم لشرائهم. ويبذر هذا الفريق حقهم في الأخذ بزمام الحكم دون غيرهم بقدرتهم الاقتصادية وتفوقهم الإداري.

لكن هذا النوع من الحكومات لا يلتقي ولا ينسجم مع النظام الإسلامي مالم توافق تلك الحكومات أسس وضوابط الإسلام في مجال الحكم والحاكم؛ لأن هذه الحكومات تؤول -لا محالة- إلى الديكتاتورية والاستغلال.

النمط الديمقراطي:

أي وكما يسمى (حكومة الشعب على الشعب) وهو النمط الذي تدعوه أكثر الحكومات الحاضرة وخاصة في الغرب. إنَّ الديمقراطية الدارجة في الغرب

ديقراطية ظاهرية وحرية صورية غير حقيقة، فالناخبون هناك ينتخبون نوابهم وحكامهم مجبورين ومضطرين في الواقع وإن كانوا مختارين في الظاهر. فهم ينتخبون تحت تأثير الوسائل الإعلامية، والأهم من كل هذا أن هذا النوع من نظام الحكم وإن لم يكن من مصاديق الاستعلاء المذموم في القرآن الكريم، غير أنَّ مجرد كونه شعبياً لا يكفي في شرعيته وصحته، بل لا بدَّ من أن يكون ناشئاً من حاكمية الله سبحانه، إما بالنص أو موضع تأييده برعاية الضوابط والسنن التي نصَّ عليها في الشريعة الإسلامية في مجال الحكم والحاكم.

إنَّ الحاكمة -حسب منطق العقل والدين- مخصوصة بالله سبحانه ومحض حق له دون سواه، لذلك لا بدَّ أن تكون حاكمة غيره ناشئةً منه أو موضع تأييده سبحانه.

صيغة الحكومة الإسلامية:

نبدأ في هذا البحث بطرح تساؤلٍ مهم، وهو لماذا غابت الصورة الحقيقة للحكومة الإسلامية؟ ومن خلال الإجابة عن هذا التساؤل يمكننا أن نتطرق لصيغة الحكومة الإسلامية، وفي الحقيقة يمكننا أن نرجع السبب وراء غياب الصورة الحقيقة للحكومة الإسلامية إلى:

تولي الحكومات المنحرفة على دفة الحكم في الأمة الإسلامية، الأمر الذي حال دون قيام الحكومة الإسلامية الواقعية.

وبعدنا الزمني عن العهد النبوي وتطور اللغة، مما جعلنا لا نفهم الكثير من مقاصد المصطلحات القرآنية التي تدل على ملامح الحكومة الإسلامية.

والآن نعود إلى استقراء الكتاب والسنة لنرى كيف يمكننا تأسيس الحكومة الإسلامية، فنجد أنَّ الحكومة الإسلامية تقوم بأحد أمرين ولكل واحدٍ منها ظرفه الخاص:

الأول: التنصيص الإلهي على الحاكم الأعلى باسمه وشخصه، وهذا فيما لو كان هناك نص أو نصوص على حакمية شخص معين على الأمة.

والثاني: التنصيص الإلهي على صفات الحاكم الأعلى وشروطه ومواصفاته الكلية فيما إذا لم يكن هنا تنصيص على الشخص أو كان ولكن الظروف تحول دون الوصول إليه.

تحليل لخلافة الإمام على عليه السلام

خلافة أمير المؤمنين عليه السلام لرسول الله عليه السلام فهي وإن أجمع المسلمين عليها وأقبل عليه الناس برمتهم إلا أنه عليه السلام لم يستدل لخلافته باجتماع الآراء والأصوات عليه وانتخاب الناس له -وذلك لكونه طريقاً غير شرعياً كما وضحتنا ذلك سابقاً- بل كان يستند غالباً بالنصوص النبوية الواردة في حقه عليه السلام والتي تنص على خلافته من جانب الباري عليه السلام. وهذه هي صغرى مورد البحث وهي هل أن انتخابه ك الخليفة للMuslimين إهلياً أم لا؟ وأما الكبرى وهي كون صيغة الحكم بعد الرسول عليه السلام بلا فصل هو تفويض إلى الأمة أم أنه أمر إلهي؟

يمكنا إثبات أن الأمر لازال إهلياً عبر هاتين النقطتين:

الأولى: أنَّ القيادة وإنْ كانت مقرونةً بالنبوة غالباً، غير أنها كانت وراثية في الأمم السابقة، يرثها صالحٌ عن صالحٍ وكابرٌ عن كابرٍ مما يعني أنه لم يكن أمرها متروكاً إلى الناس ومفوضاً إلى آرائهم.

الثانية: أنَّ جميع الزعامات والقيادات كانت بأمر الله وبنص الأنبياء السابقين، مما يدل على أنَّ الأمة الناشئة لا يجوز ترك أمرها إلى نفسها دون تعين قائد محنك وراعٍ صالح. فمثلاً ما جرى في أمّة موسى عليه السلام وذلك لما أراد النبي موسى عليه السلام الاعتزال عن قومه مدة أربعين ليلة لمناجاة ربه سبحانه، لم يترك أمته دون تعين خليفةً عليهم، بل عيّن هارون خليفةً وأميرًا في غيابه، قال تعالى:



﴿وَأَعْدَنَا مُوسَى ثَلَاثَيْنَ لَيْلَةً وَأَئْمَمَهَا بِعَشْرِ فَتَّمْ مِيقَاتُ رَبِّهِ أَرْبَعِينَ لَيْلَةً وَقَالَ مُوسَى لِأَخِيهِ هَارُونَ اخْلُفْنِي فِي قَوْمِي وَأَصْلِحْ وَلَا تَتَّبِعْ سَبِيلَ الْمُفْسِدِينَ﴾^(١٣).

فإذا تقرر ذلك نقول، إذا كان هذا هو المتبّع عند الأمم السالفة في مسألة القيادة والخلافة بعد الأنبياء، وكان ذلك أمراً متكرراً ومتعارفاً بينهم، فالانصراف عن تلك الطريقة والإعراض عنها في الإسلام يحتاج إلى التصريح والبيان.

وحاصل الأمر، أنَّ الحاكم الأعلى في نظام الحكم الإسلامي يجب أن يكون منصوصاً عليه من جانب الله سبحانه، فكما أنَّ رسول الله ﷺ كاننبياً ورسولاً وحاكماً وقائداً من جانب الله سبحانه، فلا بد أن يكون خليفته المتولى لشؤون المسلمين من بعده منصوصاً عليه وعلى قيادته من جانبه سبحانه أيضاً.

ما الضير في تغيير ذلك الشخص مع بقاء الحكومة الإسلامية؟

البعض قد يشكل بهذا الإشكال وهو: ما هي المشكلة عندما يتم تغيير في الأشخاص بينما تبقى الركائز الأساسية ثابتة، فالمسألة مسألة تغيير أحد الحُكَّام لا أكثر من ذلك، إنَّ الله جعل علياً خليفةً، وهم جعلوا آخرًا، وأما باقي الجهات فيبقى الوضع فيها على حاله، فالصلة بقيت على حالتها، والزكاة بقيت على حالها تُجْبِي، بقي الفقراء يُعطونَ منها، بقي كتاب الله يقرأ في المساجد، بقيت الجماعات تقام في أوقاتها، بقي بيت الله يُحْجَجُ إليه، بقي الجنود والمرابطون يفتحون بلاد الله الواسعة، بلداً بلداً، وعليه لم يتغير شيء سوى أنَّ شخصاً كان اسمه علي، هو أعدل وأعلم من غيره، أقصى من مقام الحُكْم وجعلَ مكانه غيره لا أكثر من هذا المقدار.

والجواب: في الحقيقة لم يكن الأمر كذلك، وإنما كان نذير شؤم بالنسبة إلى الحكومة الإسلامية كلها، لما بدل شخص الحاكم وجعل مكانه آخر، هذا الأخير لم يكن معصوماً ولم يكن مُصمماً من قبل واضح الحكومة، لم يكن معصوماً لا من

ناحية المفاهيم الفكرية ولا من الناحية العملية، جاء ليتسلم زمام الحكومة الإسلامية في بداية أمرها.

إنَّ هذه الحكومة المخطط لها على يد رسول الله ﷺ كانت تشمل عناصر ثلاث: الفاعل -أيُّ الحاكم-، التنظيم المستمد من قبل الشريعة، حقل هذا التنظيم وهو الأمة أي المجتمع، فإذا تم تغيير في أحد أركان هذا المخطط فإنَّ ثلث الحكومة الإسلامية سيتهدى، بل إنَّ تهدم جزء منه كفيلٌ بتهدم الجزئين الآخرين، لأنَّ هذه الحكومة متفاعلة في عناصرها، فالمسلمون لم يكونوا يتصورون عمق هذا التغيير، بل غاية ما كانوا يتصورونه أنَّ المسألة مسألة تغيير حاكمٍ فقط! ^(١٤)

المسألة ليست مسألة عقيدة فحسب أو نزاع بين شخصين في حق مشروع يدعى المدعى وينكره المنكر، وإنما كان تغيير شخص الحاكم تعريضاً للحكومة الإسلامية للفشل الحق فعلاً، ثم خطر الانهيار الكامل في المستقبل، حيث إنَّ الكونَ مملكةٌ لِلْمَلِكِ قد يراقب من وراء الستار مراقبة غير منظورة، وهذا يستبطن حتماً الشعور بأنَّ وجود الإنسان في الكون، هو وجود الأمين ووجود الخليفة قال تعالى: ﴿وَإِذْ قَالَ رَبُّكَ لِلْمَلَائِكَةِ إِنِّي جَاعِلٌ فِي الْأَرْضِ خَلِيفَةً﴾، ﴿إِنَّا عَرَضْنَا الْأَمَانَةَ عَلَى السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَالْجِبَالِ فَأَبَيْنَ أَنْ يَحْمِلُنَّهَا وَأَشْفَقُنَّ مِنْهَا وَحَمَلَهَا إِنَّهُ كَانَ ظَلُومًا جَهُولًا﴾^(١٥)، وهذا يُشعر بأنه -أي الخليفة والأمين- يقوم بأعباء الأمانة والخلافة، هذه الخلافة التي قام بها آدم عليه السلام وقادت به بعد ذلك الأجيال الصالحة لبني آدم. هذه الأمانة والخلافة تستبطن معنى آخر هو ضرورة استيهاء الأمر والنهي والتديير والتقدير والتقديم من قبل ذلك الملك القدير.

انتخاب الأمراء وتعيينهم

في الختام أحبيب أن أشير إلى أنَّ انتخاب الولاة وتعيينهم في مناصب

الحكومة وكذا إزالتهم عن مناصبهم، هو من مختصات الحاكم فهو الذي يختار وينتخب لهذا المنصب من تتوفر فيه النزعات الكريمة والصفات الفاضلة من العلم والورع والتقوى وأصالة الرأي وعمق التفكير والدراءة التامة بشؤون الحكم والإرادة -لا بالشورى أو بالانتخابات المزعومة في عصرنا- فيجب على الحاكم الفحص بدقة وإمعان عن المتصدي لهذا المنصب لئلا يتولى أمور المسلمين من لا حرية له في الدين.

كما عين أمير المؤمنين عَلَيْهِ الْكَلَمُ مالك الأشتر على مصر من بعد قيس بن سعد وبعد شهادة مالك عين محمد بن أبي بكر، وكذا تعينه عَلَيْهِ الْكَلَمُ عبد الله بن عباس على البصرة وغيرهم من الولاة وكذا قام بعزل بعض الولاة الذين أظهروا الجور والفساد في الأرض، فقد أقصى جميع الأمويين عن جهاز دولته لأن إبقاءهم في مناصبهم إقرار للظلم والطغيان.

يقول الإمام الخميني (رضوان الله عليه): "الحكومة الإسلامية هي حكومة القانون الإلهي ويکمن الفرق بينها وبين الحكومات الدستورية منها والجمهورية في أنّ ممثلي الشعب أُمّ ممثلي الملك -في الآخرين- هم الذين يقتّنون ويشرّعون، في حين تتحصر سلطة التشريع في الحكومة الإسلامية- بالله يَعِزِّلُهُ وليس لأحد أياً كان أن يشرع وليس لأحد أن يحكم بما لم ينزل الله به من سلطان؛ ولهذا السبب فقد استبدل الإسلام بالمجلس التشريعي مجلساً آخر للتخطيط يعمل على تنظيم سير الوزارات في أعمالها وفي تقديم خدماتها في جميع المجالات".^(١٦)

وهذا يبين بطلان ما قد يتوهمه متواهم من أنَّ السلطة التشريعية -التي تُعدُّ من أركان الحكومة الإسلامية- هي نفسها الرائجة والمتعارفة في الحكومات العالمية من إعداد فرد أو جماعة يقومون بسن التشريعات والقوانين التي تحتاج إليها البلاد. حيث أنَّ التشريع والتقنين محض حق لله سبحانه فلا شارع ولا مقتن سواه، ولا

يحق لأحد -كان من كان وبلغ ما بلغ من العلم والثقافة والمكانة الفكرية والاجتماعية- أن يشرع حكماً أو يحلّ حلالاً، أو يحرّم حراماً، فكل ذلك موكول إلى الله سبحانه، ومن شأنه خاصة. فتقتصر مهمة السلطة التشريعية المتمثلة في مجلس النواب في التخطيط للبلاد عن طريق التشاور وتبادل وجهات النظر.

المواهش:

- (١) الحجر: ٩٤.
- (٢) الحكومة الإسلامية للإمام الخميني: ٢٤.
- (٣) الحج: ٤١.
- (٤) صدر المختار ٢١٣ من نهج البلاغة.
- (٥) نهج البلاغة: الرسالة ٥٣ لمالك الأشتر وعليه مصر.
- (٦) النمل: ٣٤.
- (٧) في ظلال القرآن ١٩: ١٤٦.
- (٨) الكهف: ٧٩.
- (٩) الزخرف: ٥١.
- (١٠) تفسير الميزان: ٤: ١٣١.
- (١١) نهج البلاغة الخطبة رقم ١٨٧.
- (١٢) غافر: ٢٩.
- (١٣) الأعراف: ١٤٢.
- (١٤) أهل البيت عليهما السلام تنوّع أدوار ووحدة هدف، للشهيد الصدر، ٣١٣، بتصريف في العبارة.
- (١٥) البقرة من الآية: ٣٠ والأحزاب: ٧٢.
- (١٦) الحكومة الإسلامية للإمام الخميني: ٤١ - ٤٢.



أميرنا عليه السلام

قصي الشيخ علي السريسي

قال الله تعالى في حكم كتابه الكريم: ﴿وَإِذْ ابْتَلَى إِبْرَاهِيمَ رَبُّهُ بِكَلَمَاتٍ فَأَتَمَهُنَّ قَالَ إِلَيْيَ جَاعِلُكَ لِلنَّاسِ إِمَامًا قَالَ وَمَنْ ذُرِّيَّتِي قَالَ لَا يَنَالُ عَهْدِي الظَّالِمِينَ﴾^(١).

يعلم القارئ الكريم تاريخ بني اسرائيل، وقد أعطى القرآن الحكيم من خلال سرده لقصصهم رؤية متكاملة لطراز من الأمة التي انحرفت لكي نعرف المسار الصحيح الذي يجب أن تسير عبره الأمة الإسلامية مستقبلاً، ويتجنبوا تلك الانحرافات الاسرائيلية، والتي منها: كونهم يتلون الكتاب حق تلاوته، ففضلهم الله على العالمين، ثم تركوا ذلك، فانتهتى

بهم المطاف إلى الذل والمسكنة.

وها هو القرآن العظيم يتحدث إلينا عن إبراهيم عليه السلام ليعطي أولاً من خلال قصصه رؤية عن كفار قريش الذين يزعمون أنهم ينتمون إلى النبي إبراهيم عليه السلام. وثانياً: ليركز على العامل المشترك بينبني إسرائيل والعرب وبالتالي بين الأديان السماوية الثلاث الرئيسية، رسالة موسى فعيسى ثم محمد عليهم أفضل الصلاة والسلام.

كيف يختار الله رسلاه؟

والسؤال الذي يجذب عليه القرآن الكريم في آياته المباركة هو:

هل يختار الله رسلاه عبثاً، ودون سابق اختيار؟ كلا... إنّه يعرضهم لأنشد الاختبارات فإن نجحوا فيها حمّلهم رسالته، وإبراهيم عليه السلام مرّاً باختبارات صعبة فألقى في وسط النيران، وصبر وأخرج من بلده وصبر، وابتلي بأمر الله سبحانه بذبح ابنه فلبى الأمر، وتم إسكان الزوج والولد في واد غير ذي زرع بمكة، حيث لم يسكن فيه إنسان. والنهاوض بوجه عبدة الأصنام وتحطيم الأصنام، والوقوف بطولة في تلك المحاكمة التاريخية. والهجرة من أرض عبدة الأصنام والإبعاد عن الوطن، والاتجاه نحو أصقاع نائية لأداء رسالته، وأمثالها^(٢).

كان كل واحد من هذه الاختبارات ثقيلاً وصعباً حقاً، لكنه بقوه إيانه نجح فيها جميعاً، وبعدئذ اختير إماماً، حيث أثبت لياقته لهذا المقام العظيم، وهو مقام «الإمامية».

المقصود من «الكلمات»

لقد أدى هذا النبي العظيم أعمالاً جسيمه استحق بها ثناء الله، ونفهم أن المقصود من «الكلمات» هي الأوامر والمسؤوليات الصارمة والصعبة التي وضعها الله

على عاتق إبراهيم عليه السلام فحملها وأحسن حملها، وأدى ما عليه خير أداء، فإبراهيم عليه السلام لم يحصل على الرسالة مجاناً وبلا ثمن، بل أعطاه الله الرسالة بعد امتحان عسير.

ثم إن النبي إبراهيم عليه السلام طلب الإمامة لأبنائه فرفض طلبه. ﴿قَالَ وَمَنْ ذُرِّيَّتِي قَالَ لَا يَنَالُ عَهْدِي الظَّالِمِينَ﴾، ففي ذريتك من هو ظالم يفشل في الاختبار، والإمامية عهد الله وعهد الله لا يعطي للظالمين.

من هو الإمام؟

من الآية -مورد بحثنا- نستفيد أن منزلة الإمامة المنوحة لإبراهيم عليه السلام بعد كل هذه الاختبارات، تفوق منزلة النبوة والرسالة، ولتوسيع ذلك نقول: إن للإمامية معاني مختلفة، والذي نستفيده من القرآن الكريم، والسنة النبوية الشريفة، والروايات الصحيحة الواردة عن أئمة أهل البيت عليهما السلام الذين هم عدل القرآن العظيم كما هو نص حديث التقليل المتواتر سندًا ومضمونًا، أن الإمامة التي تعتقد بها مدرسة أهل البيت عليهما السلام تختلف اختلافاً جوهرياً عن دور الإمامة التي تنحصر في الخلافة والحكم، وذلك لأن هذا الاتجاه يرى أن الإمامة دوراً فوق دور القيادة والزعامة، وهو الدور الذي بينه القرآن الكريم من خلال قوله تعالى: ﴿إِنَّمَا جَاءَ فِي الْأَرْضِ خَلِيفَةً﴾^(٣).

وفي الحديث عن الإمام الرضا عليه السلام: «هل يعرفون قدر الإمامة وحملها من الأمّة، فيجوز فيها اختيارهم، إن الإمامة أجل قدرًا، وأعظم شأنًا، وأعلى مكانًا، وأمنع جانبًا، وأبعد غورًا، من أن يبلغها الناس بعقوبهم، أو ينالوها بآرائهم، أو يقيموا إمامًا باختيارهم، إن الإمامة خص الله تعالى بها إبراهيم الخليل عليه السلام بعد النبوة والخلة مرتبة ثلاثة وأشاد بها ذكره، فقال: ﴿إِنَّمَا جَاءَ فِي الْأَرْضِ خَلِيفَةً﴾^(٤)».

وهي التي قال عنها الإمام السجاد عليه السلام: «نحن الذين بنا يمسك الله السماء أن تقع

على الأرض إلا بإذنه، وبنا يمسك الأرض أن تهيد بأهلها، وبنا يتزلّف الغيث، وبنا ينشر الرحمة ويخرج برؤس الأرض، ولو لا ما في الأرض منا لساخت بأهلها»^(٦).

لذا عندما يُسأل الإمام الباقر عَلَيْهِ الْكَلَمَانُ ويقال له: لأي شيء يحتاج إلى النبي والإمام؟ يقول عَلَيْهِ الْكَلَمَانُ: «بقاء العالم على صلاحه، وذلك أنَّ الله يُرِيكُ العذاب عن أهل الأرض إذا كان فيها نبي أو إمام، قال الله عَزَّوجلَّ: ﴿وَمَا كَانَ اللَّهُ لِيَعْذِبَهُمْ وَأَنْتَ فِيهِمْ﴾»^(٧).

ومن هنا عبرَ الرسول عَلَيْهِ الْكَلَمَانُ عن هذا الدور لأهل بيته عَلَيْهِ الْكَلَمَانُ بقوله: «النجوم أمان لأهل السماء، وأهل بيتي أمان لأهل الأرض، فإذا ذهبت النجوم أتى أهل السماء ما يكرهون، وإذا ذهب أهل بيتي أتى أهل الأرض ما يكرهون»^(٨).

ولعل تشبّه انتفاع الناس بالحجّة في زمان غيبته، عندما يُسأل الإمام الصادق عَلَيْهِ الْكَلَمَانُ: فكيف ينتفع الناس بالحجّة الغائب المستور؟ قال عَلَيْهِ الْكَلَمَانُ: «كما ينتفعون بالشمس إذا سترها السحاب»^(٩). يشير إلى أنَّ الانتفاع به لا يختص بعالم التشريع والاعتبار، بل يتجاوز ذلك إلى عالم التكوين. أي: أنَّ الإمامة تتضمن أيضاً «الهدایة التكوينية» أي النفوذ الروحي للإمام، وتأثيره على القلوب المستعدة للهداية المعنوية. والإمام في ذلك يشبه الشمس التي تبعث الحياة في النباتات، فكذلك دور الإمام في بعث الحياة الروحية والمعنوية في الكائنات الحية.

يقول سبحانه: «هُوَ الَّذِي يُصَلِّي عَلَيْكُمْ وَمَلَائِكَتُهُ لِيُخْرِجُكُمْ مِّنَ الظُّلُمَاتِ إِلَى النُّورِ وَكَانَ بِالْمُؤْمِنِينَ رَحِيمًا»^(١٠). قيل: أريد بالصلاحة هنا العناية بحال المؤمنين، وذلك لأن الصلاة في الأصل: التعطف، لأن المصلي يتعطف في رکوعه وسجوده، فاستعير لهن يتعطف على غيره حنواً وترؤفاً. ولذلك روى عن الإمام الصادق عَلَيْهِ الْكَلَمَانُ «الصلاحة من الله رحمة، ومن الملائكة تركة، ومن الناس دعاء»^(١١).

وهكذا نستوحى من كل ذلك أنَّ لكلمة «الصلاحة» معنى واحداً هو الترؤف

والتعطف، والمزيد من العناية والتوجه. وهذا المعنى مشترك بين العبد وربه، فالله سبحانه يتغطى على المؤمنين بالمزيد من الرحمة، وعلى العباد أن يتغطفوا على رسلهم بطلب التعطف من الله له، وهو الدعاء، أما الملائكة فهم من جهة يستغفرون ربهم للمؤمنين، ومن جهة ثانية يقومون بدور مباشر في نشر رحمة الله لهم.

﴿لِئْخِرِ جَكْمٌ مِنَ الظُّلُمَاتِ إِلَى النُّورِ﴾، من شح الذات، والجهل، والعجز، والسلبية، والخذل، والبغضاء إلى رحاب الحق، والمعرفة، والإرادة، والأمل، والمحبة، والسلام. وهذا الموضوع يصدق على الإمام أيضاً، فالقوة الروحية للإمام وللأنبياء الحاذقين على منزلة الإمامة وخلفائهم، لها التأثير العميق على تربية الأفراد المؤهلين، وإخراجهم من ظلمات الجهل والضلال إلى نور الهدایة.

لا شك أن المراد من الإمامة في الآية التي نحن بصدد تفسيرها هو المعنى الثالث للإمامية، لأنه يستفاد من آيات متعددة أن مفهوم «الإمامية» ينطوي على مفهوم «الهداية» كقوله تعالى: **﴿وَجَعَلْنَا مِنْهُمْ أَئِمَّةً يَهْدُونَ بِأَمْرِنَا لَمَّا صَبَرُوا وَكَانُوا بِآيَاتِنَا يُوقِنُونَ﴾**^(١٢). وهذه الهداية يلزمها شروط ذكرتها الآية المباركة لصفات الإمام القائد وهي ثلاثة:

شروط الإمام:

- ١- الهدي إلى الله وبأمره، وليس إلى نفسه أو حزبه أو وطنه، أو.. أو.. وما أشبه من الدعوات الجاهلية.
- ٢- الصبر، وتحمل الشدائـد، فالقائد هو الذي تتبلور شخصيته في ميادين العمل الجهادي، وسوح القتال في سبيل الله، وليس الذي يركب الموجة، أو يتسلّم صهوة الانتصار من دون عمل وخلفية جهادية، وربما لذلك كان الله يختار الأنبياء والرسل والأئمة من رحم الشدائـد، وعند اجتياز أصعب العقبات.

٣- اليقين، وذلك يعني وصوله إلى مستوى رفيع من الإيمان بالله، لا يرتاتب
بعد في طريق الحق، سواء انتصر أو أو انتكس مرحلياً.

ولليقين بدوره درجات ثلاثة هي: اليقين، وحق اليقين، وعين اليقين، التي إذا
وصلها الإنسان حق له أن يقول كما قال الإمام أمير المؤمنين علي بن أبي
طالب عليهما السلام: «لوكشف الغطاء ما ازدلت يقيناً»^(١٣). أو قوله عليهما السلام: «ما رأيت شيئاً
قط إلا رأيت الله قبله ومعه وبعده»، أو كقوله عليهما السلام: «إِنَّمَا عَبَدْتُكَ خَوْفًا مِّنْ نَارِكَ،
وَلَا طَمَعاً فِي جَنَّتِكَ، وَإِنَّمَا وَجَدْتُكَ أَهْلًا لِّلْعِبَادَةِ فَعَبَدْتُكَ».

الرسول ﷺ يعرف علياً عليهما السلام لأصحابه مرتين

قال الله تعالى: ﴿فَإِنَّ اللَّهَ هُوَ مَوْلَاهُ وَجِبْرِيلُ وَصَالِحُ الْمُؤْمِنِينَ﴾^(١٤).

ما لا شك فيه أن صالح المؤمنين، لها معانٌ واسعة تشمل جميع المؤمنين
الصالحين الأتقياء الذين كمل إيمانهم، ورغم أن كلمة « صالح » وردت هنا بصيغة
الفرد، ولكن يمكن أن يستفاد منها العموم لأنها تتضمن معنى الجنس^(١٥).

ولكن من هو المصدق الأكمل والأتمّ لهذا المصطلح؟

يستفاد من روایات عديدة أن المقصود هو الإمام علي بن أبي طالب عليهما السلام
 فهو « صالح المؤمنين » أي: خيرتهم وأفضلهم، فهو الذي نصر الرسول عليهما السلام في كل
معاركه وحرر وبه العسكرية والسياسية وغيرهما. قال الإمام الصادق عليهما السلام: « صالح
المؤمنين هو علي بن أبي طالب عليهما السلام »^(١٦). وفي حديث عن الإمام الباقر عليهما السلام يقول:
«لقد عرف رسول الله علياً أصحابه مرتين: أاما مرّة فحيث قال: «من كنت مولاه فعلـيـ
مولـاهـ» وأاما الثانية فحيث نزلت هذه الآية، ﴿فَإِنَّ اللَّهَ هُوَ مَوْلَاهُ وَجِبْرِيلُ وَصَالِحُ
الْمُؤْمِنِينَ﴾ أخذ رسول الله يـيدـ عليـ فقالـ: أـيـهاـ النـاسـ، هـذـاـ صالحـ المؤـمـنـينـ».

وقد نقل هذا المعنى في كتب عديدة لعلماء أهل السنة منهم العلامة الثعلبي
والكنجي في كفاية الطالب وأبو حيان الأندلسي والسبط ابن الجوزي وغيرهم^(١٧).

وقد أورد جمّع من المفسرين منهم السيوطي في الدر المنثور في ذيل الآية مورد البحث والقرطبي في تفسيره المعروف وكذلك الآلوسي في روح المعاني في تفسير هذه الآية أوردوها هذه الرواية.

وبعد أن نقل مؤلف روح البيان هذه الرواية عن مجاهد قال ما مضمونه: ويؤيد هذه الرواية الحديث المعروف: حديث المنزلة الذي وصف فيه الرسول مكانة علي عليهما السلام منه بقوله لعلي عليهما السلام: «أنت مني بمنزلة هارون من موسى» نظراً لأنّ عنوان الصالحين استعمل في القرآن الكريم للإشارة إلى الأنبياء، منها: «وكلاً جعلنا صالحين»^(١٨)، و«والحقني بالصالحين» حيث أطلق في الأولى على مجموع الأنبياء وفي الثانية على يوسف^(١٩). ولكون علي بمنزلة هارون فإنه سيكون كذلك مصداقاً لـ«الصالح» فتأمل.

وخلاصة القول: أنّ هناك عدداً كثيراً من الأحاديث وردت في هذا المجال، فبعد أن نقل المفسر المعروف المحدث البحري في تفسير البرهان في هذا المجال عن محمد بن عباس^(٢٠) أنه جمع ٥٢ حديثاً يتناول هذا الموضوع من طريق الشيعة والسنّة ثم قام هو بنقل بعضها^(٢١).

أميرنا عليهما السلام وإيمانه منذ الصغر

نقل أبو سعيد الخدري عن النبي عليهما السلام أنه وضع يده بين كتفيه علي عليهما السلام وقال «يا علي، لك سبع خصال لا يجاجك فيها أحد يوم القيمة: أنت أول المؤمنين بالله إيماناً، وأوفاهم بعهده الله، وأقومهم بأمر الله...»^(٢٢).

وكما أشار كتاب ومفسري القرآن الكريم، فإن عشرات الروايات في مختلف كتب التاريخ والتفسير والحديث قد نقلت عن النبي عليهما السلام وأخرين في هذا الباب، ومن أراد مزيد الاطلاع فليراجع الجزء الثالث من الغدير ص ٢٢٠ - ٢٤٠. وهنا التفاته لطيفة، وهي أنّ جماعة لما لم يستطيعوا أنكار سبق علي عليهما السلام في

الإيمان والإسلام سعوا إلى إنكار ذلك بأساليب آخر، أو التقليل من أهمية هذا الموضوع، والبعض حاول أن يجعل أبا بكر مكان علي عليهما السلام وادعى أنه أول من أسلم.

فهم يقولون تارةً إنّ علياً عليهما السلام في ذلك الوقت كان في العاشرة من عمره، وهو غير بالغ طبعاً، وعلى هذا فإن إسلامه يعني إسلام صبي، ومثل هذا الإسلام لم يكن له تأثير في تقوية جبهة المسلمين وزيادة اقتدارهم في مقابل الأعداء(هذا القول ذكره الفخر الرازي في تفسيره في ذيل الآية).

وهذا عجيب حقاً، وهو في الحقيقة إيراد واعتراض على شخص النبي عليهما السلام لأنّا نعلم أن النبي عليهما السلام قد عرض الإسلام على عشيرته وقومه يوم الدار ولم يقبله إلا علي عليهما السلام حين قام وأعلن إسلامه، فقبل النبي عليهما السلام، بل وخطبه بأنك: أخي ووصي وخليفي.

إنّ هذا الحديث الذي نقله جماعة من حفاظ الحديث من الشيعة والسنّة، في كتب الصحاح والمسانيد، وكذلك جمع من مؤرخي الإسلام، واستندوا عليه، يبين أنّ النبي عليهما السلام مضافاً إلى قبوله إسلام علي عليهما السلام في ذلك السن الصغير، فإنه عرفه للحاضرين وللناس فيما بعد - بأنه أخوه ووصيه وخليفته.

ويعبّرون تارة أخرى بأنّ أول من أسلم من النساء خديجة، ومن الرجال أبو بكر، ومن الصبيان علي عليهما السلام وأرادوا بهذا التعبير أن يقللوا من أهمية إسلام علي عليهما السلام. (ذكر هذا التعبير المفسر المعروف والمتّصّب صاحب المنار في ذيل الآية) إلا إننا نورد عليه بما يلي:

1- كما قلنا، إنّ سن علي عليهما السلام الصغير في ذلك اليوم لا يقدح في أهمية الأمر بأي وجه، ولا يقلل من شأنه، خاصة وأن القرآن الكريم قال في شأن يحيى: ﴿وَآتَيْنَاهُ الْحُكْمَ صَبِيًّا﴾^(٢٣)، وكذلك نقرأ ما قاله في شأن عيسى عليهما السلام من أنه

تكلم وهو في المهد، وخطاب أولئك الذين وقعوا في حيرة وشك من أمرهم وقال:
 ﴿إِنِّي عَبْدُ اللَّهِ أَتَانِي الْكِتَابَ وَجَعَلَنِي نَبِيًّا﴾^(٢٤).

ثم إننا إذا ضمننا مثل هذه الآيات إلى الحديث الذي نقلناه آنفًا من أنه عليه صلوات الله
 جعل علياً عليه صلوات الله وصيه وخليفته اتضحت أن كلام صاحب النار لم يصدر إلا عن
 تعصب مقيت.

٢ - إنّ من غير المسلم تاريناً أن أبو بكر هو ثالث من أسلم، بل ذكروا في
 كثير من كتب التاريخ والحديث جماعة أخرى أسلمت قبله.
 وننهي هذا البحث بذكر هذا المطلب، وهو أنّ علياً عليه صلوات الله أشار مراراً وتكراراً
 في خطبه إلى أول من أسلم وأول من آمن، وأول من صلى مع النبي عليه صلوات الله وبين
 موقعه من الإسلام، وهذه المسألة قد نقلت عنه في كثير من الكتب.
 إضافة إلى أنّ ابن أبي الحديد نقل عن العالم المعروف أبي جعفر الإسکافي
 المعذلي، أن البعض يقول: إذا كان أبو بكر قد سبق إلى الإسلام، فلماذا لم يستدل
 لنفسه بذلك في أي موقف؟ بل ولم يدع ذلك أي أحد من مواليه من الصحابة^(٢٥).

أميرنا عليه صلوات الله ابن عم النبي عليه صلوات الله وزوج ابنته عليه صلوات الله

بعد خلق الإنسان يورد الله تعالى في قرآنـه الكريم الكلام عن انتشار الإنسان،
 فيقول: ﴿وَهُوَ الَّذِي خَلَقَ مِنَ الْمَاءِ بَشَرًا فَجَعَلَهُ نَسَبًا وَصَهْرًا وَكَانَ رَبِّكَ
 قَدِيرًا﴾^(٢٦).

أي: كما جعل الله الاختلاف في المياه، جعل ذلك في بني البشر، فالناس كلهم
 من ماء واحد، وأرض واحدة، إلا أنهم يختلفون بالنسبة والصهر عن بعضهم،
 فالبعض ينتمي إلى الآخرين عبر النسب كالأخ والأخ والابن... الخ، وبعضهم
 ينتمي للأخرين عبر التصاهر بالزواج.

وبتعبير ثانٍ: إن من مظاهر قدرة الله تعالى خلق الإنسان من الماء وتنظيم

حياته عبر جعله نسباً يتصل بعضهم ببعض عبر الولادة، وصهراً يتكاملون بالزواج.

المقصود من «النسب» هو القرابة التي تكون بين الناس عن طريق الذرية والولد، مثل ارتباط الأب والابن، أو الإخوة بعضهم مع بعض، أما المقصود من «صهر» التي هي في الأصل يعني «الختن» هو الارتباط الذي يقام بين طائفتين عن هذا الطريق، مثل ارتباط الإنسان بأقرباء زوجته، وهذا الانثنان هما ما يعبر عنه الفقهاء في مباحث النكاح بـ«النسب» وـ«السبب».

في القرآن الكريم في سورة النساء، أشير إلى الحارم النسبية النسب في سبعة موارد: الأم، البنت، الأخت، العمّة، الخالة، بنت الأخ، بنت الأخت، وإلى الحارم السببية في أربعة موارد: بنت الزوجة، أم الزوجة، زوجة الابن، زوجة الأب.

والجدير بالذكر، أن لدينا حديثاً معروفاً، نقل في كتب الشيعة والسنّة، وطبقاً لهذا الحديث فإن الآية أعلى نزلت في النبي ﷺ وعلى ﷺ وذلك أن النبي زوج ابنته فاطمة من علي عليهما السلام وهذا فقد كان علي عليهما السلام ابن عم النبي عليهما السلام وزوج ابنته أيضاً، وهذا معنى **﴿نَسِبًا وَصَهْرًا﴾**.

ولكن هذه الروايات تعتبر بيان للمصاديق الواضحة، ولا تقدح بعمومية مفهوم الآية، فالآية تشمل كل ارتباط يكون عن طريق النسب والمصاهرة، وأحد مصاديقها الواضحة كان ارتباط علي عليهما السلام من جهتيه مع النبي عليهما السلام.

أميرنا عليهما السلام هو المؤذن

قال الله تعالى: **﴿وَنَادَى أَصْحَابُ الْجَنَّةَ أَصْحَابَ النَّارِ أَنْ قَدْ وَجَدْنَا مَا وَعَدْنَا رَبُّنَا حَقًّا فَهَلْ وَجَدْتُمْ مَا وَعَدَ رَبُّكُمْ حَقًّا قَالُوا نَعَمْ فَأَذَنَ مُؤَذِّنٌ بَيْنَهُمْ أَنْ لَعْنَةُ اللَّهِ عَلَى الظَّالِمِينَ﴾** ^(٢٧).

من هو هذا المؤذن! والمنادي؟ الذي يسمعه الجميع؟ وفي الحقيقة له سيطرة

ونفوذ على جميع الفرقاء والطوائف؟

لا يستفاد من ظاهر الآية شيء في هذا المجال، ولكن جاء في الأحاديث الإسلامية المفسرة والموضحة لهذه الآية، تفسير المؤذن بأمير المؤمنين علي عليه السلام.

روى الحاكم الحسكتاني الذي هو من علماء أهل السنة بسنده عن محمد بن الحنفية عن علي عليه السلام أنه قال: «أنا ذلك المؤذن». وهكذا روى بسنده عن ابن عباس أنّ لعلي عليه السلام أسماء في القرآن الكريم لا يعرفها الناس، منها «المؤذن» في قول الله تعالى: ﴿فَادْنَ مُؤَذِّنٌ بَيْنَهُمْ﴾ فهو الذي ينادي بين الفريقين أهل الجنة وأهل النار، ويقول: «ألا لعنة الله على الذين كذبوا بولايتي واستخفوا بمحققي»^(٢٨).

ولقد رويت روايات وأحاديث متعددة مماثلة بطرق الشيعة، منها ما رواه الصدوق قتيل بسنده عن الإمام الباقر عليه السلام أن أمير المؤمنين عليه السلام خطب بالكوفة منصرفة في نهر وان، وبلغه أن معاوية يسبه ويعيبه ويقتل أصحابه، فقام خطيباً إلى أن قال: «وأنا المؤذن في الدنيا والآخرة، قال الله عزوجل: ﴿فَادْنَ مُؤَذِّنٌ بَيْنَهُمْ أَنْ لَعْنَةُ اللَّهِ عَلَى الظَّالِمِينَ﴾ أنا ذلك المؤذن، وقال: ﴿وَأَذَانَ مِنَ اللَّهِ وَرَسُولِهِ﴾ أنا ذلك الأذان»^(٢٩).

ويرى المفسرون أن السبب في انتخاب أمير المؤمنين علي عليه السلام مؤذناً ومنادياً في ذلك الوقت هو:

١- لأنّه كان له مثل هذا المنصب من قبل الله والنبي عليهما السلام في الدنيا أيضاً، فهو بعد فتح مكة كلف من جانب الله بأن يتلو الآيات الأولى من سورة البراءة على مسامع الناس بصوت عال في موسم الحج، تلك الآيات التي تبدأ بقوله: ﴿وَأَذَانَ مِنَ اللَّهِ وَرَسُولِهِ إِلَى النَّاسِ يَوْمَ الْحَجَّ الْأَكْبَرِ أَنَّ اللَّهَ بَرِيءٌ مِنَ الْمُشْرِكِينَ وَرَسُولُهُ﴾^(٣٠).

٢- إن مواقف الإمام علي عليه السلام طوال حياته الشريفة دفاعه عن المظلوم

وعداءه للظلم وخاصة مع ملاحظة ظروف عصره لتسطع في الصفحات البارزة من تاريخه.

أفليست الحياة في العالم الآخر هي نوع من تجسم كبير وواسع ومتكملاً لحياة البشر في هذا العالم؟ وكلاهما بالتالي وجهان لعملة واحدة. فإذا كانت هذه حقيقة من الحقائق، لم يبق أي مجال لاستغراب أن يكون مؤذن ذلك اليوم، والذي يلعن الظالمين في مكان بين الجنة والنار، بأمر من الله والنبي ﷺ هو علي عليه السلام.

ومن هذا يتضح الجواب والرد على ما كتبه كاتب «المنار» الذي شكك في كون هذا المقام لعلي عليه السلام فضيلة، اذ يقول: "ولو كنا نعقل لاسناد هذا التأذين إليه كرم الله وجهه يعني يعد به فضيلة أو مثوبة عند الله تعالى قبلنا الرواية بما دون السند الصحيح" ^(٣١).

إذ يجب أن نقول له: كما أن النيابة عن رسول الله ﷺ في إبلاغ سورة البراءة في موسم الحج تعتبر من أكبر فضائله عليه السلام وكما أن مكافحته للظالمين والجائزين تعتبر من أبرز فضائله، يكون حمله لهذه المهمة في القيمة والذي يعد استمراً لنفس ذلك البرنامج فضيلة طاهرة له أيضاً.

كما يتضح مما قلناه -أيضاً- الرد على ما كتبه الآلوسي في تفسير روح المعاني الذي قال: "رواية الإمامية عن الرضا وابن عباس أنه على كرم الله تعالى وجهه ما لم يثبت من طريق أهل السنة" ^(٣٢). لأن هذا الحديث نقله علماء الفريقيين السنة والشيعة كلاهما في كتبهم ومصنفاتهم، فلا مجال للتشكك في صدوره.

أميرنا عليه السلام وتضحيته ومبيته على فراش النبي ﷺ

قال الله تعالى: ﴿وَمِنَ النَّاسِ مَنْ يَشْرِي نَفْسَهُ أَتِغْمَاءَ مَرْضَاهُ اللَّهِ وَاللَّهُ رَءُوفٌ بِالْعِبَادِ﴾ ^(٣٣) روى الشعبي مفسر أهل السنة المعروف في تفسيره أن النبي ﷺ لما أراد الهجرة إلى المدينة خلف علي بن أبي طالب عليه السلام بكتة لقضاء ديونه وأداء

الودائع التي كانت عنده وأمره ليلة خروجه من الدار وقد أحاط المشركون بالدار أن ينام على فراشه وقال له: اتشح ببردي الحضرمي الأخضر ونم على فراشي وإنه لا يصل منهم إليك مكروه إن شاء الله تعالى، ففعل ذلك علي عليه السلام فأوحى الله تعالى إلى جبرئيل وميكائيل إني آخيت بينكمما وجعلت عمر أحدكم أطول من الآخر فأيكمما يؤثر صاحبه بالحياة، فاختار كلاهما الحياة، فأوحى الله تعالى إليهما: أفلأ كنتما مثل علي بن أبي طالب عليهما السلام آخيت بينه وبين محمد عليهما السلام فبات على فراشه يفديه بنفسه ويؤثره بالحياة انزوا إلى الأرض فاحفظاه من عدوه. فنزلوا فكان جبرئيل عند رأسه وميكائيل عند رجليه وجبرئيل ينادي: بخ بخ من ملك يا علي يباهي الله تبارك وتعالى بك الملائكة، فأنزل الله على رسوله وهو متوجّه إلى المدينة في شأن علي عليه السلام الآية.

ولهذا سُميت هذه الليلة التاريخية بليلة المبيت، ويقول ابن عباس نزلت الآية في علي عليه السلام حين هرب -حسب قول ابن عباس- رسول الله من المشركين إلى الغار مع أبي بكر ونام علي على فراش النبي عليهما السلام. ويقول أبو جعفر الإسکافی: "إِنَّ حَدِيثَ الْفَرَاشِ قَدْ ثَبَّتَ بِالْتَّوَاتِرِ فَلَا يَجْحَدُهُ إِلَّا مُجْنَونٌ أَوْ غَيْرُ مُخَالِطٍ لِأَهْلِ الْمَلَكِ" ^(٤).

ومما يستلتفت النظر في الآية مورد البحث:

- ١- أنّ البائع هو الإنسان.
- ٢- وأن المشتري هو الله تعالى.
- ٣- وأن البضاعة هي النفس.
- ٤- وأن ثمنها هو رضوان الله تعالى.

في حين نرى في موارد أخرى أن ثمن مثل هذه المعاملات هو الجنة الخالدة والنجاة من النار، من قبيل قوله تعالى: ﴿إِنَّ اللَّهَ اشْتَرَى مِنَ الْمُؤْمِنِينَ أَنْفُسَهُمْ﴾

وَأَمْوَالَهُمْ بِأَنَّ لَهُمُ الْجَنَّةَ يُقَاتِلُونَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ فَيُقْتَلُونَ وَيُقْتَلُونَ ﴿٣٥﴾ .

ولعله لهذا السبب كانت ﴿من﴾ في الآية مورد البحث تبعية ﴿وَمِنَ النَّاسِ﴾ يعني أن بعض الناس يستطيعون أن يقوموا بقتل هذه الأعمال المخالفة بحيث لا يطلبون عوضاً عن أرواحهم وأنفسهم سوى رضوان الله تعالى، وأما في الآية من سورة التوبة التي ذكرناها توأ رأينا أن جميع المؤمنين قد دعوا إلى التعامل والتجارة مع الله تعالى في مقابل الجنة الخالدة.

وعلى أي حال، فهذه الآية ومع الإلتفات إلى سبب النزول المذكور آنفاً تُعد أعظم الفضائل للإمام علي عليه السلام الواردة في أكثر المصادر الإسلامية وكانت في صدر الإسلام من الواضح بين المسلمين بحيث دعت معاوية العدو اللدود للإمام علي عليه السلام، أن يرشي سمرة بن جندب بأربعمائة ألف درهم كي يروي حدثاً مختلطًا ينسب فيه فضيلة هذه الآية إلى عبد الرحمن بن ملجم، وقد اختلفت هذا المنافق الجاني هذه الفريدة، ولكن أحداً لم يقبل منه حديثه المجعل ﴿٣٦﴾ .

ويتلخص لنا من تقوى أمير المؤمنين عليه السلام ما يلي: أن الإنسان المتقي لا يفكر بعد أن باع نفسه لله أن يثبت لأحد أنه فعل ذلك، أو أنه مخلص، أو يشهد الله على ما في قلبه، كلا إنه يعرف أن الله بصير به فيبقى محلصاً لربه العليم بحاله، فتره خاشعاً لله مسلماً له راضياً بأقداره، نشطاً في ابتغاء مرضاته، متصلباً في ذات الله.

أميرنا عليه السلام والإنفاق

قبل أن أتحدث لقارئي الكريم عن إنفاق أمير المؤمنين الإمام علي بن أبي طالب عليه السلام أحబ الإشارة للإنفاق كمسئلة تمهيدية، وهو: أن في سبيل الله نتيجة مباشرة للإيمان بالله وعلامة على عمق اليقين بالله وبأنه واهب الحياة والغني والمالك والهادي. وشخصية المسلم تتميز بأتمها معطاء، وعطاؤها ليس من أجل

شهرة أو رباء بل في سبيل الله ووفق المنهاج الذي رسمه الله لها.

وقد تحدث القرآن الكريم عن الإنفاق والتصدق في الكثير من السور، الأمر الذي يكشف عن أهمية الموضوع ودوره في إقامة الكيان الاجتماعي، إلا أن الحديث في الآيات ٢٦١ إلى ٢٧٤ من سورة البقرة يتميز بالجوانب النفسية للإنفاق والتي تعالجها سورة البقرة أكثر من غيرها، فالإنفاق هنا جاء كمظهر من مظاهر الإيمان بالله واليوم الآخر، فلنتدبر معاً في هذه الآيات الكريمة:

١- الإخلاص في الإنفاق:

إن الله هو الذي وهب لنا الحياة ووهب لنا نعمها، والآن يأمرنا أن نقدم بعضًا مما أعطانا، حتى يعوضنا عنه أضعافاً مضاعفة، إنّ ما نقدم الله لن يضيع، بل مثله كالحبة التي ندفنه تحت الأرض فهي لا تنتهي، بل الحبة التي نأكلها هي التي تنتهي، أما التي ستترنّاها تحت الأرض فهي تنمو وتنمو حتى تصبح مئات الحبات، هذا صنع الله، إنه يأخذ منك قدرًا بسيطًا من المال تنفقه في سبيله وتصدق به على عباده فيضاعفه لك قال الله سبحانه: ﴿مَثَلُ الذِّينَ يُنفِقُونَ أَمْوَالَهُمْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ كَمَثَلِ حَبَّةٍ أَنْبَتَتْ سَبْعَ سَنَابِلَ فِي كُلِّ سُنْبَلَةٍ مِئَةُ حَبَّةٍ وَاللَّهُ يُضَاعِفُ لِمَنْ يَشَاءُ وَاللَّهُ وَاسِعٌ عَلِيمٌ﴾^(٣٧).

نعم، فقد يكون الإنفاق في سبيل الله في ظروف صعبة، كان يكون صاحبة قليل المال، ولكنه ينفق على من هو أفقر منه، أو يؤثر الآخرين على نفسه وبها حاجة، أو يتحدى بالإنفاق سلطات الطاغوت أو يداوي جرح مظلوم، وأنّه يكون الجزاء بقدر المشقة، وبحسب الظروف الموضوعية والتفسية التي تكتنف الإنفاق والله يعلم بهذه الظروف تماماً، وقدر على أن يضاعف العطاء بسبها.

﴿لَهُمْ أَجْرُهُمْ عِنْدَ رَبِّهِمْ﴾ أي: أن أجراهم محفوظ عند الله تعالى: ﴿وَلَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ﴾^(٣٨) من شيء ينبع عليهم حاضرهم لا في الدنيا

ولا في الآخرة.

ثم يؤكد القرآن الكريم هذا الشرط الصعب في الإنفاق، والذي يحتاج تحقيقه إلى ترويض شديد للنفس الأمارة بالسوء، وردع دائم للشهوات الشيطانية فيها فيقول: ﴿قَوْلٌ مَعْرُوفٌ﴾ أي: الرد الحسن الجميل الطيب للسائل ﴿وَمَغْفِرَةٌ﴾ أي: والصفح عن المحاجه وإن كان خشناً ﴿خَيْرٌ﴾ أي: أفضل عند الله ﴿مِنْ صَدَقَةٍ يَتَبَعُهَا أَذًى﴾.

ويتابع القرآن الحديث بكلمة توجيهية للمؤمنين يحذر فيها من أن صدقاتهم سوف تتبخّر، بل وتحترق، بمجرد استخدامها في سبيل السيطرة على الفقراء والحرثمين، ولا تعود الصدقات سبباً لنمو المال، ولا لرحمة الله في الآخرة.

﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تُبْطِلُوا صَدَقَاتِكُمْ بِالْمَنْ وَالْأَذَى كَالَّذِي يُنْفِقُ مَالُ رِئَاءَ النَّاسِ وَلَا يُؤْمِنُ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ﴾. وما دام إيمانه باليوم الآخر ضعيفاً فهو يبحث عن الشهوة والسمعة، والنتائج العاجلة، فسعيه يكون للدنيا وحدها، دون أن تدخل فيه حسابات الآخرة. ﴿فَمَتَّلَهُ كَمَثَلِ صَفْوَانِ عَلَيْهِ تُرَابٌ فَأَصَابَهُ وَأَبْلَى فَتَرَكَهُ صَلْدًا﴾.

أي: ان مثله كمثل حجر أملس - وهو المراد من الصفوان أي: الحجر الأملس المستوي، والوابل: المطر الشديد الواقع، والصلد: الصخرة الملساء التي لا تنبت شيئاً، وإن كان عليها طبقة خفيفة من التراب تحجب صلادته عن العين، كما أن الرياء يحجب صلادة القلب الخالي من الإيمان. ﴿وَاللَّهُ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الْكَافِرِينَ﴾^(٣٩). بل تحول قلوبهم كتلك الصخرة الصماء لا تزرع فيها الهدایة، لأنّها أساساً لا تطلب الهدایة، بل تعشق السلطة والسيطرة والتکبر على الناس. ويضرب الله مثلاً رائعاً لما يصيب الإنسان من خيبة أمل بسبب إحباط أعماله، يوم يحتاج إلى الجزاء فيكتشف أنّ لذة الشهوة، أو السيطرة التي أرادها من

عمله فأتبعه بالمن والأذى قد ذهبت بخيراته، وأصبحت هباءً منثوراً، يقول ربنا: ﴿أَيَوْدُ أَحَدُكُمْ أَنْ تَكُونَ لَهُ جَنَّةٌ مِنْ نَخِيلٍ وَأَعْنَابٍ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ لَهُ فِيهَا مِنْ كُلِّ النَّمَرَاتِ وَأَصَابَةِ الْكِبِيرِ وَلَهُ ذُرِّيَّةٌ ضُعْفَاءُ﴾ أي: وأدركه الهرم وله ذرية صغار لا قدرة لهم على الكسب وليس ثمة ما يقيم أودهم ويؤمن معيشتهم سوى هذه المزرعة. فكم يحتاج هذا المسكين إلى هذه الجنة، التي هي خلاصة جهوده في الحياة الدنيا؟ ولكن كيف به اذا احاط الخطر بجنته.

وفجأة ﴿فَأَصَابَهَا إِعْصَارٌ فِيهِ نَارٌ فَاحْتَرَقَتْ﴾ هل يمكن تصور خيبة أمل هذا الشيخ المحروم من جهده، ﴿كَذَلِكَ يُبَيِّنُ اللَّهُ لَكُمُ الْآيَاتِ لَعَلَّكُمْ تَتَفَكَّرُونَ﴾.

٢- إنفاق الطيب لا الخبيث:

إذن الشرط الاول للإنفاق الصالح، أن يكون في سبيل الله، والشرط الثاني ألا يتبعه بالمن والأذى فلا تستثمر من أجل تكريس الطبقية في المجتمع، والشرط الثالث يبينه القرآن في هذه الآية ويقول: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا أَنْفَقُوا مِنْ طَيِّبَاتِ مَا كَسَبْتُمْ وَمِمَّا أَخْرَجَنَا لَكُمْ مِنَ الْأَرْضِ وَلَا تَيَمَّمُوا الْخَبِيثَ مِنْهُ تُنْفِقُونَ﴾ أي: ولا تتحروا صرف الرديء أو الحرام أو المشبوه مما عندكم مما لا تأخذونه لو دفع إليكم.

٣- آثار الإنفاق:

ثم يحذرنا القرآن الكريم من الاستجابة لايحاءات الشيطان الذي ينادينا من داخل أنفسنا بأن لا تنفقوا لأنكم سوف تصبحون فقراء: ﴿الشَّيْطَانُ يَعِدُكُمُ الْفَقَرَ وَيَأْمُرُكُمْ بِالْفَحْشَاءِ وَاللَّهُ يَعِدُكُمْ مَغْفِرَةً مِنْهُ وَفَضْلًا وَاللَّهُ وَاسِعٌ عَلَيْمٌ﴾ بن ينفق فيجازيه خيراً من لدنـه. هذه حكمة وعلم الحياة ومعرفة بالقوانين الثابتة التي تحكمها، أن العطاء يزيد من المال والبخل ينقصه، ولكن ليس كل الناس يملكون

الحكمة التي هي خير كثير لأنَّ التعرف على الحياة طريق للسيطرة عليها.

٤- كتمان الإنفاق:

يقول الله تعالى: ﴿وَمَا أَنْفَقْتُمْ مِنْ نَفَقَةٍ أَوْ نَذْرًا ثُمَّ مِنْ نَذْرٍ فَإِنَّ اللَّهَ يَعْلَمُهُ﴾
وهكذا مهدت هذه الآية للحديث عن كتمان الإنفاق، فما دام الإنفاق في سبيل الله وليس بهدف الاستعلاء على الناس، فهو عمل صالح ولا يضره علم الناس به، ولكن كتمانه أفضل لأنه يبعد العمل عن هوا جس النفس ووساووس الشيطان.
﴿إِنْ تُبْدِلُوا الصَّدَقَاتِ فَعَمِّا هِيَ وَإِنْ تُخْفُوهَا وَتُؤْثِرُوهَا الْفُقَرَاءَ فَهُوَ خَيْرٌ لَكُمْ وَيُكَفِّرُ عَنْكُمْ مِنْ سَيِّئَاتِكُمْ وَاللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ خَيْرٌ﴾^(٤٠).

٥- مصارف الإنفاق:

إلى هنا عرفنا شروط الإنفاق الصالح، يبقى أن نعرف جواب السؤال التالي:
أين نفق الأموال؟ ولمن؟ يجيب السياق القرآني على هذا السؤال: ﴿لِلْفُقَرَاءِ الَّذِينَ أُخْرِجُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ﴾^(٤١) لا يَسْتَطِيعُونَ ضَرَبًا فِي الْأَرْضِ﴾^(٤٢).
﴿يَحْسِسُهُمُ الْجَاهِلُ﴾ بحالهم وباطن أمورهم ﴿أَغْنِيَاءَ مِنَ التَّعَفُّفِ﴾^(٤٣). في المسألة والتجمل في اللباس والستر لما هم فيه من الفقر وسوء الحال طلباً لرضوان الله وطمئناً في جزيل ثوابه، لكنك مع ذلك ﴿تَعْرِفُهُمْ بِسِيمَاهُمْ لَا يَسْأَلُونَ النَّاسَ إِلَحْافًا﴾ أي: باللحاح، أو لا يسألون الناس أصلاً ﴿وَمَا تُنْفِقُوا مِنْ حَيْرٍ فَإِنَّ اللَّهَ بِهِ عَلِيمٌ﴾^(٤٤).

وكلمة أخيرة في الإنفاق في سبيل الله، على الإنسان ألا يضع حدًّا لإنفاقه بل عليه أن ينفق متى ما وجد ثغرة في المجتمع فيحاول سدها بإنفاقه ويكون من ﴿الَّذِينَ يُنْفِقُونَ أَمْوَالَهُمْ بِاللَّيْلِ وَالنَّهَارِ سِرًا وَعَلَانِيَةً فَلَهُمْ أَجْرٌ هُمْ عِنْدَ رَبِّهِمْ وَلَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ﴾^(٤٥).

سبب نزول هذه الآية المباركة:

ورد في أحاديث كثيرة أن هذه الآية الشريفة نزلت في الإمام علي بن أبي طالب عليهما السلام لأنه كان لديه أربعه دراهم فأنفق منها درهماً في الليل وآخر في النهار وثالث علانية ورابع خفية، فنزلت هذه الآية، كما في تفسير نور الثقلين ^(٤٦). وقد ورد مضمون هذا الحديث في كتب تفسير أهل السنة أيضاً، وينقله صاحب الدر المنثور عن ابن عساكر والطبراني وأبي حاتم وابن جرير وغيرهم، ويرى البعض أن علماء الشيعة بالاتفاق وأكثر علماء السنة ذهبوا إلى أن هذه الآية نزلت في علي بن أبي طالب عليهما السلام، ومن علماء السنة، الواحدي، الشعبي، الخوارزمي، السدي، العكبي، الزمخشري، القشيري، ابن المغازلي، ابن أبي الحديد، وغيرهم وراجع تفسير البرهان.

ثبات أمير المؤمنين عليهما السلام في ساحات الحروب

قال الله تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِذَا لَقِيْتُمُ الَّذِينَ كَفَرُوا زَحْفًا فَلَا تُوْلُوْهُمْ الأَدْبَارَ﴾ أي: فلا تفروا منهم ^(٤٧).

كما ذكر في الآيات التي سبقت هذه الآية الشريفة الحديث عن قصة معركة بدر وأطاف الله الكثيرة على المسلمين الأوائل من أجل أن يتخذ منها المسلمون العبرة والدرس في المستقبل، لذلك فإن هذه الآية المباركة التي ذكرناها والآيات التي سنذكرها لاحقاً توجه خطابها للمؤمنين وتأمرهم أمراً عاماً بالقتال.

والمراد من ﴿لَقِيْتُمُ﴾ من مادة اللقاء بمعنى الاجتماع والمواجهة في ميدان الحرب. والمراد من ﴿زَحْفًا﴾ الزحف وهو الدنو قليلاً قليلاً والتزاحف التدافي. واستخدام كلمة «زحف» تشير إلى أنه بالرغم من أن عدوكم قوي وكثير، وأنتم قليلون فلا ينبغي لكم الفرار من ساحة الحرب، وكما كان عدوكم كثيراً في

ميدان بدر فثبتتم وانتصرتم بالإرادة الإلهية. وانتصار الله سبحانه للمؤمنين لا يعني أبداً تخليلهم عن مسؤولياتهم القتالية الخطيرة ومنها: الثبات في المواجهة في ميادين القتال وعدم الفرار تحت أي ضغط كان، اللهم لا تراجعوا تكتيكياً للعودة إلى الحرب في وضع أفضل. ومن هنا أفتى الفقهاء حول الصمود والثبات في موقع القتال:

- أ- على المقاتل أن يصمد في المعركة ما دام له قوة يرجي معها النصر.
- ب- ليس من الانسحاب التحول من موقع لموقع، أو إعادة تنظيم الصنوف ثم العودة إلى المعركة إليها بقوة أكبر، أو التراجع للإعداد والتسلح والتحيز إلى فئة أي عن طريق اختبار جماعة يتعاونون معهم ضد العدو وما أشبه من الضرورات القتالية.
- ج- تحديد تفاصيل الصمود والانسحاب يرتبط بالظروف المتغيرة، وعلى الفقيه الولي بيان ذلك معتمداً على رأي الخبراء العسكريين.
- د- لا يجوز الفرار من الحرب «الرُّحْف» لأنَّه يعد في الإسلام من كبائر الذنوب، إلا في الموارد التي يحددها الفقيه.

ويتلخص لنا مما تقدم:

أن الفرار من الحرب غير جائز في الإسلام بل ويعد من كبائر الذنوب إلا للأسباب المتقدمة ولذلك تذكر الآية بعد الآية المتقدمة جزء من يفر من ميدان الحرب مع الإشارة لمن يستثنون منهم فتقول: ﴿وَمَنْ يُوَلِّهِمْ يَوْمَئِذٍ دُّبْرَهُ إِلَّا مُتَحَرِّفًا لِقَتَالٍ أَوْ مُتَحَيَّزًا إِلَى فَتَاهٍ فَقَدْ بَاءَ بِغَضَبٍ مِّنَ اللَّهِ وَمَأْوَاهُ جَهَنَّمُ وَبِئْسَ الْمَصِيرُ﴾.

وكلمة المأوى معناها اللنجأ، وما تقرؤه في الآية محل البحث ﴿وَمَأْوَاهُ جَهَنَّمُ﴾ فهو إشارة إلى أنَّ الفارين يطلبون لنجأاً لينقذوا أنفسهم من الهلاكة، إلا إنَّ ما

يحصل هو خلاف ما يطلبون، إذ ستكون جهنم مأواهم، وليس ذلك في العالم الآخر فحسب، بل هو في هذا العالم إذ سيحترقون في جهنم الذلة والانكسار والضياع.

ولذا جاء عن الإمام الرضا عَلَيْهِ السَّلَامُ في جواب أحد أصحابه حين سأله عن فلسفة تحريم الفرار من الجهاد فقال عَلَيْهِ السَّلَامُ: «وَحْرَمَ اللَّهُ الْفَرَارَ مِنَ الزَّحْفِ لِمَا فِيهِ مِنَ الْوَهْنِ فِي الدِّينِ، وَالْإِسْخَافِ بِالرَّسُلِ وَالْأَثْمَةِ الْعَدْلَةِ عَلَيْهِ السَّلَامُ، وَتَرْكِ نَصْرَتِهِمْ عَلَى الْأَعْدَاءِ، وَالْعَقوَبَةِ عَلَى إِنْكَارِ مَا دَعَوْا إِلَيْهِ مِنَ الإِقْرَارِ بِالرَّبُوبِيَّةِ وَإِظْهَارِ الْعَدْلِ وَتَرْكِ الْجُورِ وَإِمَانَةِ الْفَسَادِ، لِمَا فِيهِ مِنْ جُرْعَةِ الْعُدُوِّ عَلَى الْمُسْلِمِينَ وَمَا يَكُونُ مِنَ السَّبِيِّ وَالْقُتْلِ وَإِبطَالِ دِينِ اللَّهِ عَزَّ ذِيَّلَهُ وَغَيْرِهِ مِنَ الْفَسَادِ»^(٤٨).

ومن ضمن الإمكانيات الكثيرة التي كانت عند الإمام علي عَلَيْهِ السَّلَامُ وربما يشير إلى نفسه أحياناً ليكون نبراً للآخرين قوله عَلَيْهِ السَّلَامُ: «إِنِّي لَمْ أُفِرْ مِنَ الزَّحْفِ قَطُّ، وَلَمْ يَأْرِزْنِي أَحَدٌ إِلَّا سُقِيتَ الْأَرْضُ مِنْ دَمِهِ»^(٤٩).

المواهش:

(١) سورة البقرة، الآية ١٢٤، والمراد من الابتلاء لغة هو الاختبار.

(٢) روي عن ابن عباس أنه استخرج اختبارات إبراهيم من أربع سور قرآنية فكانت ثلاثة موضعًا، راجع تفسير المنار تفسير الآية المذكورة.

(٣) سورة البقرة، الآية ٣٠، ومعنى «جَاعِلٌ» الجعل والخلق والفعل والأحداث نظائر، وحقيقة الجعل تغيير الشيء بما كان عليه وحقيقة الفعل والأحداث الإيجاد. وقوله تعالى: «خَلَقَهُ خَلِيفَةً» الخليفة والإمام واحد في الاستعمال إلا أن بينهما فرقاً فالخليفة من استخلف في الأمر مكان من كان قبله والإمام مأخوذ من التقدم فهو المتقدم فيما يقتضي وجوب الاقتداء به وفرض طاعته.

(٤) سورة البقرة، الآية ١٢٤.

(٥) أصول الكافي، ج ١ ص ١٩٩، كتاب الحجة، باب نادر وجامع في فضل الإمام وصفاته.



- (٦) بحار الأنوار، ج ٢٣ ص ٦ حديث رقم ١٠.
- (٧) سورة الأنفال، الآية ٣٣.
- (٨) بحار الأنوار، ج ٢٣ ص ١٩ حديث رقم ١٤.
- (٩) نفس المصدر، ج ٢٣ ص ٦ حديث رقم ١٠.
- (١٠) سورة الأحزاب، الآية ٤٣.
- (١١) تفسير نور الثقلين ج ٤ ص ٣٠٣.
- (١٢) سورة السجدة، الآية ٢٤.
- (١٣) ميزان الحكمة ج ١٠ رقم الرواية ٢٢٣٠.
- (١٤) سورة التحرير، الآية ٤.
- (١٥) يرى البعض أن كلمة «صالح» هنا، تأتي بمعنى الجمع، نظراً لأنّ واو «صالحوا» حذفت بالإضافة لذا فإنها لم تظهر في رسم الخط القرآني، إلا أنّ هذا المعنى بعيد في نظر المفسر الكبير صاحب الأمثل دامت طولته.
- (١٦) تفسير نور الثقلين ج ٥ ص ٣٧٠.
- (١٧) تفسير مجتمع البيان ج ١٠ ص ٣١٦.
- (١٨) سورة الانبياء، الآية ٧٢.
- (١٩) سورة يوسف، الآية ١٠١. انظر: تفسير روح البيان، ج ١٠، ص: ٥٣.
- (٢٠) يبدو أن محمد بن عباس هنا هو أبو عبدالله المعروف بابن الحجاج مؤلف كتاب ما أنزل من القرآن في أهل البيت الذي قال جمع من العلماء: أنه لم يؤلف كتاب مثله إلى الآن. جامع الرواية ج ٢ ص ١٣٤.
- (٢١) تفسير البرهان، للبرهاني ج ٤ ص ٣٥٣، ذيل حديث ٢.
- (٢٢) هذا الحديث - حسب نقل الغدير - قد نقل في كتاب حلية الأولياء ج ١ ص ٦٦.
- (٢٣) سورة مريم، الآية ١٢.
- (٢٤) نفس السورة، الآية ٣.
- (٢٥) الغدير، ج ٣ ص ٢٤٠ بتصرف بسيط.
- (٢٦) سورة الفرقان، الآية ٥٤.
- (٢٧) سورة الأعراف، الآية ٤٤.

- (٢٨) تفسير مجعـمـ البـيـانـ عـنـ الـآيـةـ المـطـرـوـحةـ هـنـاـ.
- (٢٩) تفسـيرـ البرـهـانـ،ـ لـلـبـرـهـانـ جـ ٢ـ صـ ١٧ـ.
- (٣٠) سـورـةـ التـوـبـةـ،ـ الـآيـةـ ٣ـ.
- (٣١) تـفـسـيرـ المـنـارـ،ـ جـ ٨ـ صـ ٤٢٦ـ.
- (٣٢) تـفـسـيرـ رـوـحـ الـمعـانـيـ،ـ جـ ٨ـ صـ ١٢٣ـ.
- (٣٣) سـورـةـ الـبـقـرـةـ،ـ الـآيـةـ ٢٠٧ـ.
- (٣٤) كـمـاجـاءـ هـذـاـ فـيـ شـرـحـ نـهـجـ الـبـلـاغـةـ لـابـنـ أـبـيـ الـحـدـيدـ،ـ جـ ٣ـ صـ ٢٧٠ـ.
- (٣٥) سـورـةـ التـوـبـةـ،ـ الـآيـةـ ١١١ـ.
- (٣٦) نـقـلـ قـصـةـ هـذـهـ الـعـامـلـةـ لـابـنـ أـبـيـ الـحـدـيدـ فـيـ شـرـحـ نـهـجـ الـبـلـاغـةـ جـ ٤ـ صـ ٧٣ـ.
- (٣٧) سـورـةـ الـبـقـرـةـ،ـ الـآيـةـ ٢٦١ـ.
- (٣٨) نـفـسـ السـورـةـ،ـ الـآيـةـ ٢٦٢ـ.
- (٣٩) نـفـسـ السـورـةـ الـآيـةـ ٢٦٤ـ وـالـتـيـ سـيـقـتـهـ بـرـقـمـ ٢٦٣ـ.
- (٤٠) نـفـسـ السـورـةـ،ـ الـآيـةـ ٢٧١ـ.
- (٤١) «أـحـصـرـوـاـ فـيـ سـبـيلـ اللـهـ»ـ أـيـ:ـ أـحـصـرـهـمـ الـجـهـادـ أـيـ:ـ حـبـسـهـمـ فـانـقـطـعـوـاـهـ.
- (٤٢) أـيـ:ـ لـاـ يـسـتـطـيـعـوـنـ ذـهـابـاـ بـهـاـ لـلـكـسـبـ لـاـ لـتـزـامـهـمـ بـالـجـهـادـ.
- (٤٣) بـسـبـبـ التـرـفـ وـالتـنـزـهـ عـنـ السـؤـالـ.
- (٤٤) سـورـةـ الـبـقـرـةـ،ـ الـآيـةـ ٢٧٣ـ.
- (٤٥) نـفـسـ السـورـةـ،ـ الـآيـةـ ٢٧٤ـ.
- (٤٦) اـنـظـرـ الـبـزـءـ أـلـأـوـلـ صـ ٢٩١ـ وـ ٢٩٠ـ.
- (٤٧) سـورـةـ الـأـنـفـالـ،ـ الـآيـةـ ١٥ـ.
- (٤٨) تـفـسـيرـ نـورـ الـثـقـلـيـنـ،ـ جـ ٢ـ صـ ١٣٨ـ.
- (٤٩) نـفـسـ الـمـصـدرـ،ـ صـ ١٣٩ـ.



آية التطهير

عبد الله عبد النبى ضيف



بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ قَالَ اللَّهُ تَعَالَى: ﴿ وَقَرْنَ فِي
بَيْوَتِكُنَّ وَلَا تَبْرُجْنَ تَبْرُجَ الْجَهْلِيَّةِ الْأُولَى وَأَقِمْنَ الصَّلَاةَ
وَءَاتِينَ الزَّكَوَةَ وَأَطْعِنَ اللَّهَ وَرَسُولَهُ إِنَّمَا يُرِيدُ اللَّهُ لِيُذْهِبَ
عَنْكُمُ الرِّجْسَ أَهْلَ الْبَيْتِ وَيُظَهِّرَكُمْ تَطْهِيرًا ﴾^(١).

المقدمة

سوف نستعرض في هذا البحث بعض الأدلة العقلية والنقلية التي ذكرها العلماء والتي تفند الإشكالية المتعلقة بآية التطهير، وهي هل أنَّ هذه الآية الكريمة نزلت في نساء النبي ﷺ أو أنَّ نزولها كان مختصاً بأمر آخر؟

والبحث يتعرض لبيان الروايات من طرق الفريقين، وذلك ليكون الإشكال موضحاً وشاملاً من حيث الآية المبحوث عنها. ويدور البحث أيضاً عن مدى تلازم العصمة من عدمها للمشار إليهم في الآية الكريمة، وما هو المقصود من إرادة الله تعالى الواردة في الآية من حيث كونها تشريعية أم تكوينية.

ونتيجة البحث، هي الإجابة عما إذا كانت آية التطهير تدل على الولاية لأهل البيت المشار إليهم أم لا؟

تمهيد

آية التطهير من الآيات التي اختلف فيها الشيعة مع غيرهم من يقول بأنها نزلت في نساء النبي عليهما السلام، علماً بأنَّ ما قبل الآية وما بعدها توجد ضمائر وأفعال مؤنثة، ولكن هذه الآية خلت من أي ضمير أو فعل مؤنث، وجميع الضمائر حول الآية ٢٧ ضمير وفعل مؤنث. فهل هذا التفاوت من واقع الصدفة أو الاتفاق، أم له حكمة خاصة؟

شرح المفردات الآية

﴿إِئَمَّا﴾: كلمة -إِئَمَّا- تدل على حصر الإرادة في إذهاب الرجس والتطهير، وكلمة أهل البيت سواء كانت مجرد الاختصاص أو المدح أو النداء فإنها تدل على اختصاص إذهاب الرجس والتطهير بهم لقوله: **﴿عَنْكُمْ﴾**، ففي الآية في الحقيقة قصران؛ قصر الإرادة في إذهب الرجس والتطهير، وقصر إذهب الرجس والتطهير في أهل البيت^(٢).

﴿يُرِيدُ اللَّهُ﴾: معنى الإرادة هل هي تشريعية أم تكوينية؟ يجب أولاً أن نعرف أن هناك إرادتين عنده تعالى وسنبين معنى الإرادتين:

١. الإرادة التشريعية: وهي توجيه التكاليف إلى المكلف، وتعني أوامر الله

تعالى ودستوراته من الواجبات والمحرمات الواردة في الشريعة المقدسة، ووردت آية في القرآن الكريم تدل على هذا المعنى، وهي قوله تعالى: ﴿يُرِيدُ اللَّهُ بِكُمُ الْيُسْرَ وَلَا يُرِيدُ بِكُمُ الْعُسْرَ﴾^(٣)، فهذه الآية الكريمة تتكلم عن بيان وجوب صيام شهر رمضان المبارك وهذا الاستثناء تشيري في حالة المرض والسفر فالمقصود هنا هي الإرادة التشريعية له ﴿بَعْلَهُنَّا﴾.

٢. الإرادة التكوينية: وهي التي تستخدم في مقام الخلق والتكون، مثل إرادته خلق العالم والخلق وسائر الكائنات كقوله في كتابه المجيد: ﴿إِنَّمَا أَمْرُهُ إِذَا أَرَادَ شَيْئًا أَنْ يَقُولَ لَهُ كُنْ فَيَكُونُ﴾^(٤). فالمقصود من هذه الآية الكريمة هي الإرادة التكوينية فهي تعني قدرته على هذا الكون في جميع ذراته وهذا ما تدل عليه الآية: ﴿يَقُولَ لَهُ كُنْ فَيَكُونُ﴾.

وبعد ما بيّنا معنى الإرادة بشقيها فهنا يطرح سؤال جوهري وهو، ما هي الإرادة المقصودة في هذه الآية الشريفة؟

فنقول: بما أنّ هذه الآية اختصت بأهل البيت تحديداً فلا بد أنّ للتطهير خصوصية أيضاً لسبب الحصر بأهل هذا البيت بـ(إنما)، وتأكيي اللام بعدها لتؤكد هذا الحصر والتطهير في قوله: ﴿لِيُذَهِّبَ عَنْكُمُ الرِّجْسَ﴾، ولم يعممها لعامة المسلمين أو المؤمنين، ونحن نقول بأنّ هذه الإرادة هي إرادة تكوينية في تطهير أهل البيت، وهذه الإرادة تستلزم عصمتهم في واقعهم الروحي والعملي على جميع الأصعدة، وسنبين معنى الرجس الذي أذهبه الله عنهم من خلال الآيات الشريفة.

ويرد هنا إشكال، وهو أليست العصمة في هؤلاء تكون هنا بثابة الجبر؟

والجواب: لا تكون هذه العصمة لهم بثابة الجبر، ولو كانت كذلك لما كانت هذه العصمة ميزة لهم، وذلك لأنّ الحال على قسمين:

الأول:- الحال العقلي: وهو امتناع وقوع الشيء وتحقيقه عند العقل، لأن

(تكون خارج البيت وداخله في نفس الزمن الذي تكون في الخارج) فهذا محال عقلاً لأنَّه جمع بين النقيضين.

الثاني:- الحال عادة: وهو أن يكون وقوع الشيء ممكناً عقلاً، ولكنه ممتنع عادةً، مثل أنْ يوجد عالم دين كبير يخرج عارياً في شهر رمضان وهو يشرب الخمر، هذا العمل ممكناً حدوثه، ولكن ممتنع على مثل هذا العالم أو على هذا الفرد من المجتمع.

وارتكاب الذنب بالنسبة للمعصوم من الحال العادي، لأنَّ المعصوم لا بد أنْ يعرفحقيقة هذا العمل (الرجس أو الذنب)، فالنتيجة هي أنَّ العصمة ليست أمراً جبرياً، فتكون إرادة الله في التطهير وإذهاب الرجس هي إرادة تكوينية، ولا إشكال في ذلك.

﴿لِيُذْهِبَ عَنْكُمُ الرِّجْسَ﴾: المراد من الرجس: هو القبيح أو الشيء القذر، ويطلق هذا الرجس تارة على الأمور المادية والظاهرة في مثل قوله ﴿تَعَانِتُهَا﴾: ﴿قُلْ لَا أَجِدُ فِي مَا أُوحِيَ إِلَىٰكُمْ مُّحَمَّداً عَلَىٰ طَاعِمٍ يَطْعَمُهُ إِلَّا أَنْ يَكُونَ مَيْتَةً أَوْ دَمًا مَّسْفُوحًا أَوْ لَحْمًا خَنزِيرًا فِي رِجْسٍ أَوْ فِسْقًا أَهْلًا لِغَيْرِ اللَّهِ بِهِ...﴾^(٥). وتارة على الأمور المعنوية ﴿وَأَمَّا الَّذِينَ فِي قُلُوبِهِمْ مَرَضٌ فَزَادُهُمْ رِجْسًا إِلَىٰ رِجْسِهِمْ وَمَا تُوْأْدُ وَهُمْ كَفَرُونَ﴾^(٦).

ويأتي أيضاً شاملاً لكلا الأمرين الظاهري والمعنوي كقوله تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِنَّمَا الْخَمْرُ وَالْمَيْسِرُ وَالْأَنْصَابُ وَالْأَزْلَامُ رِجْسٌ مِّنْ عَمَلِ الشَّيْطَانِ فَاجْتَنِبُوهُ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ﴾^(٧)، لأنَّ الخمر: الشراب المسكر وهو رجس معنوي، والأزلام: الأفراح التي كانت يستقسم بها مشركون العرب في الجاهلية، والقمار: وهو أخذ المال الحرام من اللعب، والأنصاب: عبادة الأصنام التي تقدم لها القرابين وهي رجس معنوي، وفي آية التطهير وردت كلمة الرجس مطلقة، وغير مقيدة؛

فتكون النتيجة، أنها تشمل جميع القبائح الظاهرة والمعنوية؛ أي في كل شيء.
﴿يُطَهِّرُكُمْ تَطْهِيرًا﴾: وهذا المقطع يدل على التأكيد بأنهم طهروا تطهيرا،
ومن خلال الآية نفهم بأن أهل البيت قد طهروا من الرجس، وهي الإرادة
التكوينية، فهم يتمتعون بالعصمة المطلقة لإطلاق الآية الكريمة.
والعوامل الواردة (إنما، واللام، وعنكم، ويطهركم تطهيرا) هي عوامل تفيد
الحصر والتأكيد في أهل البيت الذين سمووا في هذه الآية بأنهم بلغوا الكمال في
الطهارة المطلقة.

من هم أهل البيت المقصودين في الآية؟

﴿أَهْلَ الْبَيْتِ﴾: بعد البيان العلمي في بيان مفردات الآية وبعد أن توصلنا إلى
أن أهل البيت مميزين عن باقي المسلمين في مقام الطهارة والعصمة المطلقة فنريد
أن نعرف من هم أهل البيت خصتهم هذه الآية بهذا المقام الكبير والرفيع؟
وللإجابة سوف نتعرض إلى نظريات المسلمين وسنكتفي بذكر أربع منها^(٨):

الأولى: زوجات النبي:

هذا ما ذكره بعض مفسري أهل السنة (عن عكرمة) بأن الآية تقصد
زوجات النبي، وعلى طبق هذا التفسير فإنَّ أهل البيت هم من جهة السبب
وليسوا من جهة النسب، أي يعني أن الدائرة منحصرة في الزوجات لا غير،
ويخرج من هم من جهة النسب وهم البنت وأل جعفر وأل أبي طالب وغيرهم.
ودليلهم على هذا الأمر هو أنَّ آية التطهير وردت ضمن آيات تتكلم عن
نساء النبي ﷺ ويرد العلماء على هذا الأمر بدللين:

1. كما ذكرنا في التمهيد أنَّ الآية ورد قبلها وبعدها ٢٥ ضمير و فعل مؤنث،
ولكن آية التطهير لم يرد فيها لا فعل ولا ضمير مؤنث، وهذا يدل على شمولها

للذكر، إما للذكر فقط أو للذكر والمؤنث، فالنتيجة بأنها لا تختص بنساء النبي ﷺ وحدهم بشكل قطعي. ونحن نعتقد بأن القرآن ورد بأبلغ بيان وأفصح عبارة فتغيير الضمائر والأفعال يراد به أمر آخر غير نساء النبي ﷺ، وهذا جعلها مميزة عن باقي الآيات الكريمة.

٢. وبما أنا أثبتنا أن أهل البيت المذكورين في الآية لديهم العصمة المطلقة، ولا نجد من علماء السنة والشيعة من يقول بعصمة نساء النبي ﷺ، وذلك لأن بعضهن قد ارتكبن بعض المخالفات، والتاريخ يثبت ذلك كالخروج على الإمام علي عليه السلام، حتى لو فرضنا حصول التوبة بعد ذلك، وعائشة تقول: "أن علياً أفضل الناس وكل من أبغضه كافر"، فالآية لا تشمل نساء النبي ﷺ قطعاً. بالإضافة إلى أنَّ الآية نزلت منفردة وليس مع الآيات التي سبقتها، وبعد نزولها أمر النبي ﷺ بوضعها في هذا الموضع من القرآن الكريم.

الثانية: النبي الأكرم والإمام علي وفاطمة والحسن والحسين عليهما السلام مع نساء النبي ﷺ:

وطبقاً لهذه النظرية سينتفي أحد الإشكالات وهو أنَّ الآية لا يوجد فيها ضمائر للمؤنث، بل الآية تأخذ الضمير المذكر وهو شامل للذكر والمؤنث، ولكن يبقى إشكال العصمة، لصدور المعصية من بعض نساء النبي ﷺ، وأنها نزلت في وقت قبل نزول الآيات التي تتكلم عن نساء النبي، فيتبين بطلان هذه النظرية.

الثالثة: القاطنوں فی مکہ هم أهل البيت:

أي أنَّ أهل البيت هم أهل المكرمة وهو البيت الحرام واضح بطلان هذه النظرية؛ لأنَّه ما هو الفرق بين مكة والمدينة المنورة، مع إشكال العصمة أيضاً.

الرابعة: حصرها بالنبي الأكرم ﷺ والإمام علي وفاطمة والحسن والحسين علیهم السلام

وهذه النظرية التي يقول بها جميع علماء الشيعة والتي لا يرد عليها أي إشكال من الإشكالات التي تمت مناقشتها.

١. فهذه النظرية تقول بوجود امرأة ورجال وهو مناسب لأفعال المذكر؛ لأنَّه يشمل الاثنين.

٢. العصمة والولاية الإلهية عندهم من نص القرآن والروايات الدالة على ذلك، وهذا الأمر يدل على صحة النظرية الرابعة، ويقول العلامة الطباطبائي في الميزان بأنَّ عدد الروايات يبلغ أكثر من سبعين رواية، والملفت للنظر أن أكثر هذه الروايات مذكورة في مصادر السنة المعتبرة أمثال: صحيح مسلم: ج ٤، ص ١٨٨٣، صحيح الترمذى: ج ٢، ص ٥٠٣ وهو أحد الصحاح الستة لدى أهل السنة، والدر المنثور لسيوطى: ج ٥، ص ١٩٨، ومسند أحمد: ج ١، ص ٣٣٠ وغيرها كثير، وسنورد في أسباب النزول روايات وأحاديث تدعم هذا القول.

٣. أن نساء النبي هن اللاتي يروين عن النبي ﷺ بأنَّ آية التطهير نزلت في هؤلاء النساء، كأم سلمة، وعائشة.

فعن مجمع (جميع) التيمي قال: دخلت مع أمي على عائشة فسألتها أمي أرأيت خروجك يوم الجمل، قالت: إنه كان قدرًا من الله، فسألتها عن علي علیه السلام، فقالت: تسأليني عن أحب الناس كان إلى رسول الله علیه السلام، وزوج أحب الناس كان إلى رسول الله علیه السلام، لقد رأيت علياً وفاطمة وحسناً وحسيناً علیهم السلام وجمع رسول الله علیه السلام بشوب عليهم ثم قال: «اللهم هؤلاء أهل بيتي وحامي؛ فاذهب عنهم الرجس وطهرهم تطهيرًا» قالت: فقلت يا رسول الله: أنا من أهلك، قال: «تنحي فإنك إلى خير»^(٩).

وفي أسباب النزول للواحدي عن عطاء بن أبي رباح، قال: حدثني من سمع أم سلمة تذكر: أنَّ النبي صلى الله عليه وآله - سلم كان في بيته، فأتته فاطمة ببرمة فيها خزيرة فدخلت بها عليه فقال لها: «ادع لي زوجك وأبنيك»، قالت: فجاء علي والحسن والحسين فدخلوا فجلسوا يأكلون من تلك الخزيرة، وهو على منامة له، وكان تحته كساء خييري قالت: وأنا في الحجرة أصلي، فأنزل الله تعالى هذه الآية: ﴿إِنَّمَا يُرِيدُ اللَّهُ لِيُذْهِبَ عَنْكُمُ الرِّجْسَ أَهْلَ الْبَيْتِ وَيُطَهِّرُكُمْ تَطْهِيرًا﴾ قال: فأخذ فضل الكساء فغشّاهم به، ثم أخرج يديه فألوي بهما إلى السماء ثم قال: «اللهم هؤلاء أهل بيتي وخاصتي [و حاميتي] فاذهب عنهم الرجس وطهرهم تطهيراً». قالت: فأدخلت رأسي البيت فقلت: وأنا معكم يا رسول الله، قال: «إنك إلى خير إنك إلى خير»^(١٠).

وروى الشعبي في تفسيره بإسناده عن أبي سعيد الخدري عن النبي ﷺ قال: «نزلت هذه الآية في خمسة في وفي علي وحسن وحسين وفاطمة علیہم السلام»^(١١).

وعن أبي الحمراء، قال: رابطت المدينة سبعة أشهر على عهد النبي صلى الله عليه وآله - سلم، قال: رأيت النبي صلى الله عليه وآله - سلم إذا طلع الفجر، جاء إلى باب علي وفاطمة فقال: «الصلاوة الصلاة، ﴿إِنَّمَا يُرِيدُ اللَّهُ لِيُذْهِبَ عَنْكُمُ الرِّجْسَ أَهْلَ الْبَيْتِ وَيُطَهِّرُكُمْ تَطْهِيرًا﴾»^(١٢).

٤. آية المباهلة أيضاً تدل على ذلك، قال تعالى: ﴿فَمَنْ حَاجَكَ فِيهِ مِنْ بَعْدِ مَا جَاءَكَ مِنَ الْعِلْمِ فَقُلْ تَعَالَوْا نَدْعُ أَبْنَاءَنَا وَأَبْنَاءَكُمْ وَنِسَاءَنَا وَنِسَاءَكُمْ وَأَنْفُسَنَا وَأَنْفُسَكُمْ ثُمَّ تَبَاهُلْ فَنَجْعَلْ لَعْنَتَ اللَّهِ عَلَى الْكَذَّابِينَ﴾^(١٣)، فخرج الخمسة فقط لا غير وهذه الآية دالة على أنهم أهل بيت النبي ﷺ، ويقول الفخر الرازي في ذيل الآية: "واعلم أن هذه الرواية كالمتفق على صحتها بين أهل التفسير والحديث"^(١٤).

هل آية التطهير مختصة بهؤلاء الخمسة؟

الجواب: لا، ليست مختصة بهؤلاء الخمسة، لماذا؟ وذلك:

أولاً: لأنَّ الحصر في الخمسة في عصر النبي ﷺ لكونهم هم الموجودون فقط في ذلك الزمان، وإذا ثبتت إمامتهم وعصمتهم، تعين قبول قوهم في تعين بقية الأئمة من أهل البيت.

وثانياً: قوله تعالى: ﴿الَّذِي أَوْلَى بِالْمُؤْمِنِينَ مِنْ أَنفُسِهِمْ وَأَزْوَاجُهُ أَمَهَاتُهُمْ وَأَوْلُوا الْأَرْحَامِ بَعْضُهُمْ أَوْلَى بَعْضٍ فِي كِتَابِ اللَّهِ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ وَالْمُهَاجِرِينَ إِلَّا أَنْ تَفْعَلُوا إِلَى أَوْلِيَائِكُمْ مَعْرُوفًا كَانَ ذَلِكَ فِي الْكِتَابِ مَسْطُورًا﴾^(١٥)، فقد وردت روايات كثيرة عن أئمَّة أهل البيت ع ع في تفسير الآية فيما يتعلَّق بأولي الأرحام، حيث فسرت في بعض منها بمسألة (إرث الأموال)، كما هو المعروف بين المفسِّرين، في حين فسرت في البعض الآخر بمسألة (إرث الخلافة والحكومة) في آل النبي ع ع وأئمَّة أهل البيت ع ع.

ومن جملتها ما نقرؤه في حديث عن الإمام الصادق ع حينما سُئل عن تفسير هذه الآية، فقال: «نزلت في ولد الحسين ع...». قيل: في المواريث؟ قال: لا، نزلت في الإمارة». ومن البديهي أنَّه ليس المراد من هذه الأحاديث نفي مسألة إرث الأموال، بل المراد لفت الانتباه إلى أنَّ للإرث معنى واسعاً يشمل إرث الأموال وإرث الولاية والخلافة.

وليس لهذا التوارث أي وجه شبه مع مسألة توارث السلطة في سلسلة الملوك والسلطانين، فإنَّ التوارث هنا نتيجة للأهليَّة واللياقة، ولذلك فإنه يشمل من بين أولاد الأئمَّة من كانت له هذه الأهليَّة، ويشبه تماماً ما طلبَه إبراهيم ع من الله سبحانه لذرِّيْته، فأجابَه الله تعالى: إنَّ الإمامة والولاية لا تنال الظالمين، بل هي خاصة بالطاهرين ﴿لَا يَنَالُ عَهْدِي الظَّالِمِينَ﴾.

الخاتمة:

ما الحكمة من هذا العمل؟ ولم ضمهم تحت الكساء؟ ولماذا وقوفه أمام بيت الزهراء وتكراره القول بأن الله طهرهم من الرجس؟ ولماذا لم يضم أم سلمة وعائشة تحت الكساء؟

الحكمة من وراء هذا العمل هو تبييز أهل البيت وتعريفهم للناس بحيث لا يبقى أي غموض في أمر الولاية والعصمة، ويأتي في شواهد التنزيل عن أنس بن مالك الخادم الخاص لرسول الله عليه وآله يقول: إن رسول الله بعد الحادثة كان يأتي كل يوم قبل أذان الصبح وقبل إقامة صلاة الجمعة إلى بيت علي وفاطمة ويقف أمام البيت ويكرر هذه العبارة: «الصلاحة يا أهل البيت، إِنَّمَا يُرِيدُ اللَّهُ لِيُذْهِبَ عَنْكُمُ الرِّجْسَ أَهْلَ الْبَيْتِ وَيُطَهِّرُكُمْ تَطْهِيرًا» وهذا العمل استمر لمدة ستة أشهر بلا انقطاع. وفي نقل آخر عن أبي سعيد الخدري: أن النبي الأكرم كان يعمل هذا العمل لمدة ثمانية أشهر^(١٧).

وعليه فتخرج نساء النبي عليه وآله عن دائرة أهل البيت المقصودين في الآية، وهذا بيان للمسلمين بأن أهل البيت المقصودين هم (النبي وعلي وفاطمة والحسن والحسين عليه وآله). والله ولي التوفيق.

المواهش:

(١) الأحزاب .٣٣

(٢) تفسير الميزان.



- (٣) البقرة .١٨٥ .
- (٤) يس .٨٢ .
- (٥) الأنعام .١٤٥ .
- (٦) التوبة .١٢٥ .
- (٧) المائدة .٩٠ .
- (٨) آيات الولاية .
- (٩) شواهد التنزيل، للحسكاني، ج ٢، ص ٦٢ .
- (١٠) أسباب نزول القرآن (الواحدي) ص ٣٦٩ .
- (١١) مجمع البيان (ج ٨٠، ص ٥٥٩) .
- (١٢) تفسير ابن كثير، ج ٣، ص ٤٩٢ .
- (١٣) سورة آل عمران .٦١ .
- (١٤) التفسير الكبير للرازي، ج ٨، ص ٨٠ .
- (١٥) الأحزاب .٦ .
- (١٦) تفسير الأمثل ج ١٣، ص ١٧٣ .
- (١٧) شواهد التنزيل ج ٢ ص ١١، ١٢، ١٣، ٢٨ .



الأبعاد الإجتماعية في حديث الكساء

حسن ملال الزكي

المقدمة

بسم الله الرحمن الرحيم، والصلوة على أشرف الأنبياء والمرسلين أبي القاسم محمد وآلـهـ الطـاهـرـينـ الـمـتـنـجـبـينـ المـعـصـومـينـ الـذـيـنـ أـذـهـبـ اللهـ تـعـالـىـ عـنـهـمـ الرـجـسـ وـطـهـرـهـمـ تـطـهـيرـاـ، فـكـانـواـ هـمـ السـبـيلـ وـالـمـقـتـدـىـ إـلـيـهـ. وـنـحـنـ مـاـ عـلـيـنـاـ سـوـىـ أـنـ نـسـيـرـ عـلـىـ خـطـاهـمـ وـنـتـبـعـ آـثـارـهـمـ.

لا شك بأن الرسول الأكرم ﷺ يعيش القدوة الأولى للمؤمنين لقوله تعالى: «لَقَدْ كَانَ لَكُمْ فِي رَسُولِ اللَّهِ أُسْوَةً»^(١)، وإن هذه القدوة تتضمن خالل القرآن الكريم والسيرة والحديث الشريف لرسول الله ﷺ وأهل بيته. فالحديث

الشريف وما يثله من ركيزة أساسية في الدين الإسلامي الحنيف، لا يمثل فقط مصدراً للتشريع الإسلامي وإنما يمثل إشعاعاً لهذه القدوة على جميع الأصعدة (الاجتماعية السياسية، الاقتصادية... إلخ)، ومن هنا لو نظرنا لحديث الكسae بعين اجتماعية، لاتضح لنا كثيراً من الجوانب اللطيفة في علاج أكثر مشاكلنا الاجتماعية.

وفي هذه الصفحات نرجو من الله أن يوفقنا لنوضح بعض الدروس الاجتماعية المستوحاة من حديث الكسae التي من الممكن أن تساهم في علاج ما وقع فيه الكثير من الأسر العزيزة في المشكلات والآفات الاجتماعية المختلفة، وكل ذلك نتيجة لابتعادها عن منهج أهل البيت عليهم السلام، الذي يمثل فيحقيقة منهج السماء، وخط القرآن الكريم، كيف لا وهم القرآن الناطق!

وحدث الكسae هو من نعم الله علينا، ليس بقراءته فقط وببركاته وفيوضاته الغيبية، بل من الممكن أن نأخذه بعين أخرى ليكون ذكرنا لأهل البيت عليهم السلام ذكرأ عملياً على جميع الأصعدة.

سند الحديث

لا ريب في كون السند لحديث الكسae متصلأ بقامة العصمة الكبرى، يحكي عن صدور الحديث من المعصوم عليه السلام قطعاً، ويكتفي بذلك أن روایات جمة تزيد على سبعين رواية من طرق أهل العامة^(٢). وقد وجد صاحب العالم من بين مخطوطات السيد هاشم البحرياني طريقاً لهذا الحديث، حيث قال في العوالم^(٣): "رأيت بخط الشيخ الجليل السيد هاشم، عن شيخه السيد ماجد البحرياني، عن الحسن بن زين الدين الشهيد الثاني، عن شيخه المقدس الأردبيلي، عن شيخه علي بن عبد العالى الكرکي، عن الشيخ علي بن هلال الجزائري، عن الشيخ أحمد بن هدب العلى، عن الشيخ علي بن الخازن الحائرى، عن الشيخ ضياء الدين علي بن الشهيد

الأول، عن أبيه، عن فخر المحققيين، عن شيخه العلامة الحلي، عن شيخه المحقق، عن شيخه ابن نما الحلي، عن شيخه محمد بن إدريس الحلي، عن ابن حمزة الطوسي صاحب ثاقب المناقب، عن الشيخ الجليل محمد بن علي بن شهر آشوب، عن الطبرسي صاحب الاحتجاج، عن شيخه الجليل الحسن بن محمد الطوسي، عن أبيه شيخ الطائفة، عن الشيخ المقيد، عن شيخه بن قولويه القمي عن شيخه الكليني، عن علي بن إبراهيم، عن أبيه إبراهيم بن هاشم، عن أحمد بن محمد بن أبي نصر البزنطي، عن قاسم بن يحيى الجلاء الكوفي، عن أبي بصير، عن أبان بن تغلب البكري، عن جابر بن يزيد الجعفي، عن جابر بن عبد الله الأنصاري، قال سمعت فاطمة عليها السلام أنها قالت: «...الحديث الشريف المعروف بحديث النساء اليماني...».

وقد أثرانا الشيخ علي أصغر بن الحسن (فيض بور) بتحقيق سند حديث النساء المنسوب إلى فاطمة الزهراء عليها السلام سيدة النساء في الآخرة والدنيا، فتحققه في أربعة فصول أوله عند الخاصة، وثانية نزول الآية على أصحاب النساء الخمسة، وثالثه تحقيقه حول احتجاج أهل البيت بالآية الشرفية، والفصل الرابع حقق في الروايات التي نقلها علماء العامة في نزول الآية بحق أصحاب النساء عليها السلام، فجاء حديث النساء عن طرق العامة بما يربو على العشرة من الرواية السنّة، منهم ابن حنبل والخوارزمي والحسكاني والطبراني والنسائي^(٤).

ونحن هنا نقتطف بشكل موجز مقاطع من الحديث المبارك ونستعرض أهم الأبعاد الاجتماعية المستوحاة منها:

«فأقبل الحسن نحو النساء وقال السلام عليك يا جده يا جدها يا رسول الله أنا ذنن لي أن أدخل معك تحت النساء فأقبل الحسين نحو النساء وقال السلام عليك يا جده .. إنـ». (٥)

الاستئذان .. حريم البيت:

حالة الأدب والأخلاق الرفيعة التي تميزت بها الأسرة العلوية الفاطمية النموذجية في الحقيقة تتمثل في هذا الحديث على لسان السيدة الطاهرة صلوات الله عليها وعلى أبيها وبعلها وبناتها. حيث استعرضت مفهوم الاستئذان في الدخول في بيت الطهارة، ليعطينا درساً في أهمية حرمة البيوت، فمن العجيب أن الاستئذان كان من أفراد الأسرة كلها من الصغير إلى الكبير، مع أن هذا المنزل مزدهر ومسكناً لهم إلا أن بيت الرسالة كانوا في أعلى مستوى من العفة والطهارة من الأخلاق. فما معنى أن يستأذن الإمام الحسن عَلَيْهِ الْمَسْكَنَةُ لدخول منزل أبيه للدخول على أمه وعائلته المباركة... كما اتضح ذلك من خلال استئذان أقطاب الأسرة المباركة للدخول تحت الكساء. وللاستئذان أهمية كبيرة في حياة بيت الرسالة، فقد أكد عليه المعصومون عَلَيْهِمُ الْأَكْثَرُ، فجاء عن أبي بصير عن أبي عبد الله عَلَيْهِ الْمَسْكَنَةُ: قال: «الاستئذان ثلاثة: أولهن يسمعون، والثانية يحدرون والثالثة إن شاؤوا أذنوا وإن شاؤوا لم يفعلوا، فيرجع المستأذن».»

”فلا يحق لأحد في الإسلام أن يدخل بيت أحد إلا إذا استأذن من صاحبه. ولقد نزل القرآن على العرب في وقت لم يكن من المتعارف بينهم أن يستأذنوا عند الدخول إلى بيت أحد. بالنظر لأن مداخل بيوت العرب كانت مفتوحة دائماً فلم يكن الاستئذان متداولاً بينهم، ثم جاء الإسلام واستقبح تلك العادة ونسخها، ومن الواضح أن فلسفة هذا الحكم أمران:

الأول: هو قضية العرض وتحجب المرأة ولذلك جاء هذا الأمر مع آيات الحجاب في مكان واحد.

الثاني: هو أن لكل امرئ في بيته أموراً قد لا يحب أن يطلع عليها أحد، وعليه فالاستئذان لا يقتصر على البيوت التي فيها نساء، بل الحكم عام مطلق“^(٥).

وجاء حديث الكسأ ليؤكد على هذه المفردة الإسلامية، وهي أهمية الاستذان، فمن اللطيف أن كلمة (إذن) من الاستئذان ذكرت ١٢ مرة في هذا الحديث الشريف، ومن المعلوم أن التكرار له دلالة على أهمية هذا العنوان وتأكيده في النفوس، كما يمكن أن يكون لهذا العدد دلالة أخرى وهي خصوصية مرتبطة بالأئمة المعصومين عليهم السلام.

”ثم إن هذا الحريم الاجتماعي الخاص للأسرة الذي يهتم به ويركز عليه الإسلام من شأنه أن يحافظ على كثير من الأمور المهمة أهمها:

١- خصوصية الأفراد والأزواج.

٢- أن تكون مشاكل الأسرة وتجاذبها داخل المحيط الأسري وعدم جعله لكل شارد ووارد.

٣- تخلق هذه الحرمة للبيت مدرسة خصوصية لتعلم الأخلاق والتعاليم المختلفة، باعتبارها تقابل واردات الخارج وتغربل ما يأتي من الشارع والمدرسة والأصدقاء.

٤- تحقيق الجو الملائم لقيام الزواج المثالي بإقامة الروابط الرصينة من كل الجوانب (عاطفية - نفسية - جنسية).

٥- تهيء البيت لأن تسوده لغة الحب والودة والتآلف التي أمر بها الإسلام العزيز ﴿وَجَعَلَ بَيْنَكُمْ مَوْدَةً وَرَحْمَةً﴾ ^(٦).

الخلاصة

إن حرم وحصن الأسرة - أي أسرة - مقدس، وهذا التقديس لأجل الحفاظ على أسراره، ومكانة الرابطة الاجتماعية لتحقيق السلام، والسرية للأسرة، والاطمئنان لأفرادها، كل ذلك في سبيل تحقيق الأهداف المناطة للأسرة في المجتمع، باعتبار أن الأسرة اللبنية الأولى في أي مجتمع، فإن سلامه وصيانة المجتمع مرهون بسلامة الأسرة.

﴿فَدْنَا الْحُسْنَى نَحْوَ الْكَسَاءِ وَقَالَ: السَّلَامُ عَلَيْكَ يَا جَدَاهُ، السَّلَامُ عَلَيْكَ يَا مِنْ أَخْتَارِهِ اللَّهُ، أَتَأْذُنُ لِي أَنْ أَكُونَ مَعَكُمَا تَحْتَ الْكَسَاءِ فَقَالَ: وَعَلَيْكَ السَّلَامُ يَا ولَدِي وَيَا شَافِعِ أُمِّي﴾

التحية المحترمة.. تحية الإسلام:

يتضح من خلال ما ورد من تحيات راقية متبادلة بين أفراد أصحاب الكفاءة، أنَّ لتحية الإسلام -السلام- أثر كبير في المحيط الاجتماعي، وهذا الأثر يمكن أن يلاحظ عندما نفرق بين الروابط الاجتماعية في المجتمعات الغربية والمجتمعات الإسلامية. وما لتحية السلام من الأثر والوقع الإيجابي الكبير في النفس الإنسانية من توفير الطمأنينة وتأسيس المجتمع المترابط.

وقد أكد المعصومون على هذه التحية بشكل كبير، فقد ورد في الكافي للكليني، عن أبي عبدالله عليه السلام أنه قال: «يسلم الصغير على الكبير والمدار على القاعد والقليل على الكبير»^(٧).

وفي الحقيقة إن من يلاحظ هذا الحديث والأحاديث الأخرى في باب السلام، يتبيّن له مدى دقة هذا الدين وكأن الإمام قد أعطى دستوراً خاصاً بالسلام، ويتبّع لنا أهمية السلام في المجتمع بين أفراده، فيزيد علاقتهم ببعضهم البعض، ويرفع بينهم رمزاً خاصاً يكون معناه أنني في المجتمع المسلم الذي تربّطه روابط. إذن فالتحية المعروفة للدين الإسلامي لها دلالات كبيرة تمحور في أنها تطبع العلاقات الاجتماعية وتكسر الحاجز بين الطبقات الاجتماعية، فالسلام يساهم بشكل كبير في سرعة قيام العلاقات بين الأفراد في المجتمع الواحد، ولكن أن تلاحظوا المجتمعات التي تقوى فيها هذه التحية، والأخرى التي يضعف إلتزامها بالسلام من هذه الناحية.

﴿فَقَالَ عَلِيٌّ لِأَبِيهِ: يَا رَسُولَ اللَّهِ أَخْبَرْنِي مَا بَحْلُوسُنَا هَذَا تَحْتَ السَّكَاءِ مِنْ
الْفَضْلِ عِنْدَ اللَّهِ فَقَالَ النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ: وَالَّذِي بَعْثَنِي بِالْحَقِّ نَبِيًّا...﴾

الحوار الهداف في الأسرة:

الحوار والمجلس بين الأسرة الواحدة له الأهمية في صلابة الأسرة واستمرارها، لا سيما إذا كانت أعمدة وأركان الأسرة لهم القدرة على توجيه الحوار وتوظيفه في العملية التربوية، لما له من تحسيس الشاب أو الشابة أو الطفل بأنه ركناً له أهمية ولو وجوده ضرورة في كيان الأسرة. وقد يتضح ذلك من خلال ما جاء عن الرسول الأكرم ﷺ: «جلوس المرأة عند عياله أحب إلى الله تعالى من اعتكاف في مسجدي هذا»^(٨). مما أعظم عبادة الاعتكاف باعتبارها مساحة وقتية ومكانية مقدسة يخلو فيها العبد بربه ويناجيه، ولكن الرسول ﷺ يريد أن يبين المردود العظيم من جلوس الأب أو الأم بين العيال وتبادل العواطف والآداب والمعارف.

ومن النكات اللطيفة في أدب الحوار، هو ما يستفاد من خلال المعاوراة الأخيرة التي جرت بين رسول الله الأكرم ﷺ وأمير المؤمنين عثمان، حيث كان سيداً شباب الجنة موجودين في المجلس، إلا أنها ولرفعه شأنهما وعظمة أخلاقهما كانا يشعران بعظمة أبيهما أمير المؤمنين عثمان فيتوقفان حتى عن إبداء السؤال لرسول الله ﷺ، حيث كان التبادل لأطراف الحديث بين النبي الأكرم ﷺ ووصيه الأمير عثمان.

”وبحسب التتبع نجد أن هناك مجموعة حوارات أسرية نقلها لنا القرآن الكريم، جرت بين مختلف الأشخاص في الأسرة كالحوار بين الإخوان أو الأب وأبنائه أو الحال وابن أخيه، أو الأولاد مع أبيهم، وغيرها، لكنها تختلف في نوعها وهدفها.. فنذكر بعض أنواع الحوارات:



الأول: حوار الاهتمام والتقدّم:

قوله تعالى: ﴿قَالَ يَا مَرِيمُ أَنِّي لَكِ هَذَا قَالْتُ هُوَ مِنْ عِنْدِ اللَّهِ إِنَّ اللَّهَ يَرْزُقُ مَنْ يَشَاءُ بِغَيْرِ حِسَابٍ﴾^(٩). حيث تتحدث الآيات عن حوار بين زكريا ومريم التي تربطه بها رابطة الخوّولة. حيث تميز الحوار بالثقة حول الفاكهة التي في غير زمانها حيث لم يبدأ متهمًا لها بأي تهمة كما أتهمها قومها عندما أتتهم تحمل ولدها عيسى عليه السلام ﴿لَقَدْ جِئْتِ شَيْئًا فَرِيًّا﴾ فالمربّي حين يشاهد في أسرته شيئاً غريباً يسترعى الانتباه فعليه أن يتعرّف عليها من خلال الحوار فإنه سيقف على كثير من الفوائد.

الثاني: حوار المبادئ:

قوله تعالى: ﴿إِذْ حَضَرَ يَعْقُوبَ الْمَوْتُ إِذْ قَالَ لِبْنِيهِ مَا تَعْبُدُونَ مِنْ بَعْدِي قَالُوا نَعْبُدُ إِلَهَكَ وَإِلَهَ أَبَائِكَ...﴾^(١٠). فيحاور الأب أبنائه موجهاً لمبادئهم توجيهاً صحيحاً ودقيقاً، فالقيم على الأسرة لا بد له من المتابعة الحثيثة لأسرته بأحسن الأساليب الثالث: حوار العقل والبرهان:

قوله جل من قائل: ﴿إِذْ قَالَ لِأَبِيهِ يَا أَبَتِ لَمْ تَعْبُدُ مَا لَا يَسْمَعُ وَلَا يُبَصِّرُ﴾^(١١). وما يميز هذا الحوار بين النبي إبراهيم عليه السلام وعمه مع أنه في حالة انفعالية، لكنه لم يصل إلى التشنج بالرغم من أن عمّه كان يهدّد بالرجم، لكن كان جواب إبراهيم هو الاستففار والتسليم^(١٢).

﴿وَالَّذِي بَعَثَنِي بِالْحَقِّ نَبِيًّا وَاصْطَفَانِي بِالرِّسَالَةِ نَجِيَا مَا ذُكِرَ خَبَرَنَا هَذَا فِي مَحْفَلِ مَحَافِلِ أَهْلِ الْأَرْضِ وَفِيهِ جَمِيعُ مَا شَيَعْنَا وَمَحْبِبُنَا إِلَّا وَنَزَّلْنَا عَلَيْهِمُ الرَّحْمَةَ وَحَفَّتْ بِهِمُ الْمَلَائِكَةَ...﴾

الجماعة وأهميتها:

التركيز على الحالة الجماعية والتقاء الأفراد ببعضهم، وفضيلتها على الجانب الفردي له دلالة على أهمية الجماعة في الإسلام، ف الصحيح أن الإسلام يتعامل بحالة وسطية في النظر للفرد والجماعة، لكنه في كثير من الأخبار له اهتمام واضح بالجماعة والحالة الجمعية.

فلقد أكد القرآن الكريم على الجماعة في المجتمع الإسلامي، حتى أن أغلب الآيات كان التخاطب فيها بالصيغة الجماعية، حيث كانت تفصل بتميزها الجماعة المؤمنة عن الكافرين أو الفاسقين أو الضالين.

"وحيث إن شكل الجماعة تعتبر -كما يقول الاجتماعيون- المجال والوسيلة الأكثر تأثيراً على أفرادها، فهي التي تكسب الفرد خصائصه الإنسانية، حيث تتركز في التفاعل الاجتماعي والنفسي وهو الاتصال الإنساني المتمثل في العملية المركبة من تبادل المعرف وتقسيرها وفهمها، وتبادل المشاعر والأفكار فتحدث في الأخير عملية التأثير المتبادل.

وفي العصر الحديث نجد أن الشخص ينتمي إلى عدة جماعات ومن ثم تتعدد علاقاته الاجتماعية بتنوع الجماعة التي ينتمي إليها مثلاً: جماعات الأسرة، العمل، الجماعة الدينية، إلخ..

وبهذه الجماعات تتشكل علاقات الإنسان الاجتماعية من خلال تناقض وصراع وتوافق يمر به الفرد خلال تجاربه المختلفة في الوسط الجماعي.."^(١٣).

وفي الأخير تسيطر الثقافة التي أثبتت جدارتها في النفس إما لقوتها أو أسلوبها المؤثر في النفس.

﴿السلام عليك يا فاطمة فقلت: عليك السلام قال: إني أجد في بدني ضعفا فقلت له: أعيذك بالله يا أبناه من الضعف فقال: يا فاطمة آتني بالكساء اليماني﴾

فغضبني به فأتيته بالكساء اليماني فغضبنيه به وصرت أنظر إليه

العلاقة بين الفتاة وأبيها:

بعيدا عن خصوصية فاطمة الزهراء عليها السلام وعلاقتها الكبيرة بأبيها رسول الله صلوات الله عليه وآله وسلامه إلا أن سيدتنا الجليلة تعطي فتياتنا وأبناءنا درسا في المسؤولية التي تقع على عاتق الفتاة حتى ولو خرجت لبيت زوجها ف تستطيع أن توفر الطمأنينة والراحة في قلب الأب، نعم كانت الزهراء تمثل ملاذ رسول الله صلوات الله عليه وآله وسلامه لتخلاصه من آلامه وأتعابه.

وفي الحقيقة والواقع إن مجتمعاتنا تفتقد هذا المعنى الجميل في علاقة الأب وأبنته، حيث في أغلب الأحيان تجدها مقتصرة على توفير أساس الحياة المعيشية، غافلين عن الجانب العاطفي، نعم هناك علاقة خجولة بين الأب والفتاة، فتجد الأب تقتصر علاقته العاطفية مع ابنته في صغرها، وما أن تتقدم في مراحل حياتها تجد بوناً شاسعاً بينها وأبها، وهذا يمثل نقصاً معيناً في أسرنا العزيزة كما ينفع الأخصائيون الاجتماعيون. ولا يعني هذا أن الآباء لا يحبون أبناءهم بل المقصود أن الأبناء لا يشعرون بهذا الحب والحنان.

وهذا النقص له أعراض سلبية كثيرة، وبالخصوص إذا نقص التوجيه الديني في الأسر، لأن هذا النقص تستشعره الفتاة في بداية دخولها في أوساط المجتمع وزياادة علاقاتها المختلفة. فقد يكون التأثير في قوة نفسيتها وثقتها بذاتها، وقد يكون هذا التأثير سلبياً أكثر وقد ينتهي الأمر إلى شرخ مفكك للأسرة من هذه الناحية.

ولهذا ذكر وصايا سريعة قد ذكرها أحد الاجتماعيين في مسألة الاهتمام بالجانب العاطفي للفتاة لتكون هذه العواطف مأقرة بأمر العقل والشرع:

- ١- مراعاة الوضع المزاجي والرغبات والسلامة الصحية والبدنية، ومع مراعاة

هذا الجانب يضعف خوفها وتتنزلزل ثقتها بالنفس.

٢- إشعار الطفل في التنشئة الاجتماعية بطعام الحبة والفرح وإعاده عن التعب والغضب.

٣- نخلق فيهم روح الثقة بالنفس ونجعلهم يفكرون بأوضاعهم العاطفية لكي يستطعوا أن يقيموا سلوك الآخر بين وعيزون الأفعال السليمة من غرها.

٤- مراقبة المحيط الاجتماعي من صديقات، مدرسة،... وتوجيهه هذا التأثير
الخارجي، الذي له الأثر الكبير في عواطف البنت.

٥- المذر كل المذر من تفرقة التعامل بين الأبناء، أو مقايسة الآخر بينهم:

﴿ما ذكر خبرنا هذا في محفل من محافل أهل الأرض وفيه جمٌ من شيعتنا
وحبينا وفيهم مهمور إلا وفرج الله عنه ولا مغمور إلا وكشف الله غمه ولا طالب
حاجة إلا وقضى الله حاجته...﴾

الرابط الاجتماعي:

أما الدرس الذي نستوحيه من هذه الكلمات التي خرجت من قلب
الرسول ﷺ هو اهتمام النبي ﷺ بمشاكل وحوائج وهموم شيعته، وهذا يعطينا إشارة
كبيرة لتنفيسي هموم الآخرين والتحرك لقضاء حوائجهم...والدعاء لهم.

وقد ورد في الأحاديث الشريفة ما يؤكد هذه المفردة، فقد روي عن الرسول عليه السلام أنه قال: «خدمة المؤمن لأخيه المؤمن درجة لا يدرك فضلها إلا عليه السلام أكملها»^(١٤). وعن عبد الله بن محمد الجعفي عن أبي جعفر عليه السلام قال: «إن المؤمن لن تزد عليه الحاجة لأخيه فلا تكون عنده فيهتم بها قبله فيدخله الله تبارك وتعالى بهمّه الجنة»^(١٥).

ولَا عَجْبٌ فِي الإِسْلَامِ إِنَّمَا يُكَوِّنُ هَذَا التَّأْكِيدُ عَلَى هَذَا التَّرَابِطِ الَّذِي

أسس له ركائز، أهمها صلة ذوي الأرحام وما وضعه في احترام حقوق الجيرة والمؤمنين، وتشريعه الزكاة كنظام اقتصادي محكم.

﴿فَقَالَ: يَا أَمَّا إِنِّي أَشَمُ عَنْكُمْ مِراثَةً طَيِّبَةً كَأُنْهَا مِراثَةً حَدِيَّ مَرْسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ فَقَالَتْ: نَعَمْ إِنْ جَدَكَ تَحْتَ الْكَسَاءِ فَأَقْبَلَ الْخَيْرُ نَحْنُ الْكَسَاءُ...﴾

الأُم ودورها المحوري:

لقد اتضح من خلال هذا الحديث الشريف دور الأم المحوري؛ حيث كانت الزهراء عليها السلام هي محور اللقاء والتفاعل الأسري، الذي تَشَلَ هنا بالتحية والسلام وحلقة الوصل في إدارة هذا البيت العظيم المنزلة. فالملاحظ والمدقق في قراءة هذا الحديث الشريف سيتضاح له هذا بشكل جليٌّ.

ختاماً: إِلَّا نَزَّلْتَ عَلَيْهِمُ الرَّحْمَةَ

أي كيان أسري يستنشق عبر هذا الحديث المبارك ويسير على خط القدوة والأسوة الحسنة لأهل البيت عليهم السلام لا بد له أن يعيش حالة الطمأنينة والرضا في الأسرة والمجتمع، كيف لا، وهو وعد رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ.

المواهش:

- (١) سورة الأحزاب: ٢١.
- (٢) الأسرار الفاطمية ص ١٩٧.
- (٣) عوالم المعارف والأحوال ١١/٢، ص ٩٣٠-٩٣٤.
- (٤) التحقيق حول سند حديث الكساء / علي أصغر فيض بور / قم: عصر جوان، ١٣٨٦. الطبعة الأولى.
- (٥) مسألة الحجاب / الشهيد مطهري / ص ١٠٩ / الطبعة الثانية ٢٠٠٩ م / مكتبة الإمام

الصادق عَلَيْهِ السَّلَامُ.

- (٦) الروم، ٢٠، النظام التربوي في الإسلام باقر شريف القرشي.
- (٧) الكافي، ج ٢، باب من يجب أن يبدأ بالسلام.
- (٨) تنبيه المخواطر ج ٢ ص ١٢٢.
- (٩) آل عمران ٣٧.
- (١٠) البقرة-١٣٣.
- (١١) مريم-٤٢.
- (١٢) الأسرة في القرآن الكريم / سيد محيي الدين المشعل / ص ١٧١ / ط الأولى ٢٠٠٤ م.
- (١٣) الجماعة كنسق اجتماعي / أ.د. إبراهيم بيومي مرعي .
- (١٤) مستدرك الوسائل ٤٢٨/١٢.
- (١٥) الكافي ١٩٦/٢.



العقل والتربية مع العلم

حسين عبد السالم الأعرج

تمهيد

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ، الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي عَلَمَ بِالْقَلْمَنْ،
عَلَمَ الْإِنْسَانَ مَا لَمْ يَعْلَمْ، وَصَلَّى اللَّهُ عَلَى حَبِيبِهِ وَعَبْدِهِ
وَتَبَّيَّهِ مُحَمَّدًا، أَفْضَلَ مَنْ عُلِّمَ، وَعَلَى آلِهِ وَاصْحَابِهِ الْمُتَّأْدِبِينَ
بِآدَابِهِ وَسَلَّمَ.

لَا يَخْفَى عَلَى كُلِّ ذِي وِجْدَانٍ أَنَّ الْإِنْسَانَ بِحَسْبِ فَطْرَتِهِ
الْأَصِيلَةِ وَجَبْلَتِهِ الذَّاتِيَّةِ يُعْشِقُ الْكَمالَ التَّامَّ الْمُطْلَقَ، وَيَتَوَجَّهُ
قَلْبَهُ شَطْرَ الْجَمِيلِ عَلَى الإِطْلَاقِ وَالْكَاملِ مِنْ جَمِيعِ الْوِجْوهِ. وَهَذَا مِنْ فَطْرَةِ النَّاسِ
الَّتِي فُطِرُوا عَلَيْهَا، وَبِهَذَا الْحُبِّ لِلْكَمالِ تَتَوَفَّ إِرَادَةُ الْمَلَكِ وَالْمَلَكُوتِ، وَتَتَحْقِقُ

أسباب وصول عشاق الجمال المطلق إلى معشوقهم.

فإنَّ كمال الإنسان إنما هو بالعلم، الذي يضاهي به ملائكة السماء، ويستحقُّ به رفيع الدرجات في العقبى مع جميل الثناء في الدنيا، ويفضُّل مداده على دماء الشهداء، وتضع الملائكة أجنحتها تحت رجليه إذا مشى، ويستغفر له الطير في الهواء والحيتان في الماء، وتفضل نومة ليلةٍ من لياليه على عبادة العابد سبعين سنةً، وكفى بذلك جلاله وعظمةً.

الإسلام دين يبدأ بالتوحيد، والتوحيد قضية عقلية لا يجوز فيها التقليد والتسليم التعبدي، بل لا بدَّ فيها من التعُّقُّل والاستدلال. ولو كان الإسلام قد ابتدأ بالثنائية أو التثليث لما استطاع إطلاق الحرية في هذا البحث، وما كان له إلا أن يعلن عنه كمنطقة محرّمة ممنوعة. ولكنه إذ بدأ بالتوحيد، فقد أعلنه منطقة مفتوحة، بل واجبة الارتياد، ومدخل المنطقة -في نظر القرآن- هو الكائنات برمتها، وبطاقة الدخول هي العلم والتعلم، ووسيلة التنقل في هذه المنطقة هي قوة الفكر والاستدلال المنطقي.

وبهذه البطاقة والوسيلة يتفضل الناس في الحياة، لا بالأموال والأصول وغيرها من الأمور، فعن الإمام علي عليه السلام: «يتفضل الناس بالعلوم والعقول، لا بالأموال والأصول»^(١). وعلى هذا الأساس نجد الناس مذاهب في سعيهم لتحصيل العلم والمعارف، وكلُّ له فكره وعقله واستدلاله، ولكن ليس السعي كالمجوع الرعاء، بل السعي برجاء الوصول إلى الحقيقة الحقة، والأمر الواقعي عند الله تعالى ليزداد قربهم من خالقهم بهذه البطاقة والوسيلة الموصلة.

وبالنظر لنفس العلم مجرداً عن الحيشيات المتعلقة به فهو أمرٌ يُعدُّ السعي لتحصيله فضيلة، والساubi في دربه محفوفٌ بال بصيرة، وملازمٌ للنور، وماشٌ على أجنبة الملائكة لعظم ما يقوم به طالب العلم. أيضاً مع غض النظر عن نوع العلم

وكيفية تحصيله فإن العلم بحد ذاته دليل وحجاب من الآفات، والعلم مصباح لعقل الإنسان يسترشد به الطريق ويقتصر به الجهل وينير به ظلام البصيرة. كما أن بني البشر كل له أنيس فإن طالب العلم منهم يستأنس بالعلم ويستمتع بهذا الكنز الرفيع عن كل اللذات والراحة لما يستشعر طالبه من تعالٍ في المعنويات ورقى في الدرجات كما قال الله عز وجل في حكم كتابه وجليل خطابه: ﴿يَرْفَعُ اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا مِنْكُمْ وَالَّذِينَ أَوْتُوا الْعِلْمَ دَرَجَاتٍ وَاللَّهُ يَعْلَمُ مَا تَعْمَلُونَ خَيْرٌ﴾^(١).

وعليه فإذا أدرك الإنسان قيمة العلم ومنزلته من بين كل الفضائل قدّمه عليها كله وجعل من وقته نصيب الأسد لتحصيل العلوم والمعارف النافعة له والهاديه لكل خير في الدنيا والآخرة. والعلم ضروب شتى، والعارف نفسه ومصلحتها يسعى لاكتساب النافع واجتناب العلم الفاسد الذي يوقع الطالب في البلاء ويحيطه بالمشاكل ويشعره بالهوان أكثر من أن يرفعه إلى الدرجات العليا ويقربه من رضا الخالق الله عز وجل.

لم يفتح الإنسان عينيه على هذه الدنيا إلا وله تكليف يجده لأدائه على أفضل وجه بالكمال والتمام، حيث وجد هذا المخلوق ليتمثل بخالقه وينضج لأوامره لأن الخالق أدرى بشؤون المخلوقين وأعلم بصلاح أمرهم كلهم، فأمر الله الخالق عز وجل الإنس والجن بالعبادة وجعلها هدف الخلقة وعليها فليتنافس المنافسون ويسعى الكل لتحصيل الرتب وإخلاص النيات وشحذ الهمم لعبادة قوامها التوحيد، ومزيتها أنها تقوم من ألفها إلى يائها بأعلى نية خالصة لوجهه عز وجل. ولا يتبدّل إلى ذهن أحد أن العبادة لأجل العبادة فقط، بل الأمر أكبر من هذا، فإن الله عز وجل جعل من التعبد غاية؛ ألا وهي معرفته، فهذه العبادات التي يأتي بها العباد هي الطريق ليعلو شأن المرء في الحياة إذا ما أوصلته للكمال ومنه إلى معرفة الله عز وجل.

والمعروفة تحتاج إلى دليل يأخذ به سالك الطريق ليجد الشمرة وليكون في الجادة المستقيمة، والعلم خير دليل، يقول الإمام علي عليه السلام: «ثمرة العلم معرفة الله»^(٣)، وعنده عليه السلام: «العلم نعم دليل»^(٤).

الإنسان مجبر بفطنته الظاهرة الصافية من الشوائب والأدناس على أن يبعد عن نفسه الضرر، وبما أن العلم منه الصالح ومنه الطالع فلا بد من تقييز الزين منه عن الشين لتصفيته النافع من الفاسد. فهذا بديهيًّا ومعلوم لدى الناس أن ليس كل ما يقال ويكتب صحيحًّا، فطالب العلم يجب عليه أن يتفحّص ويقيس ويجعل الموازين الفكرية والمنطقية في إطار المنظومة الإسلامية الشاملة، وهذا لا يقوم إلا بالعقل السليم.

إضافة إلى العقل السليم الذي يتمُّ من خلاله انتقاء الأصلح من بين العلوم، فهناك ثمة شيء لا بد وأن يكون مؤطرًا لطالب العلم ومتوجًا لشخصيته المراد بناؤها وتربيتها وفق الدين الإسلامي الحمدي الأصيل، ألا وهو التربية، وللتربية عوامل يأخذ بها السالك ليصل إلى بر الأمان، الأمان من الانزلاق والتهاوي في مزاج الآفات الأخلاقية والسلوكيات المذمومة.

وعليه فلا بد من تقوم العلم بأمرتين مهمتين جداً ألا وهما العقل والتربية، إذ بما يكون السير أقرب للحقيقة وأنقى للسريرة، وبهما يضمن الطالب صواب جادته من خطئها. وهذا الأمران كل واحد منها له مباحث مطولة وروايات كثيرة وردت في مجاميع الأحاديث والروايات، وليس بقليل هم الذين تطرقوا لبحث العقل والتربية، وليس بشحة هم الذين سبروا هذا الطريق بين حياثات هذين الأمرتين من أصول وفروع.

فما كان هذا البحث إلا تقصٍ لبعض ما كُتب في هذا المجال، ولعل أروع ما كُتب، هي كتابات الشهيد السعيد الشيخ مرتضى مطهرى عليه السلام، وهذا معاين بالعين

المجردة أن كتباته لها قوة وأسلوب في الإقناع، ولها ما لها من منطق وأساس يقوم على فكر محمدي أصيل محاط بالإخلاص لخدمة الدين الأكمل والأكثر شمولاً، دين محمد عليه وآله وآل بيته .

البحث يقوم بالعرض لعنوانين رئيسين مع بيان المتعلق بهما:

العنوان الأول: ترشيد عقل الإنسان.

العنوان الثاني: عوامل التربية الصحيحة.

١- ترشيد عقل الإنسان

البحث في التعليم والتربية هو بحث في كيفية بناء شخصية الإنسان. فإن الدين الذي يرسم للإنسان أهدافاً مشخصة ومقررات شاملة في جميع الجوانب، لا يمكن أن يُعدم أسلوباً وطريقة للتعليم والتربية والتعقل.

مسألة العلم هي التعليم لا التربية ولا التعقل، فالتعلم هو الشخص المستلم للعلوم فقط، فيكون ذهنه بثابة مخزن يجمع فيه سلسلة من المعلومات، ولكن التربية والتعقل لا يكفي فيهما هذا الهدف فقط، وليس من الصحيح في هذا الزمان أن يكون هدف المعلم حشو ذهن التلميذ بسلسلة من المعلومات والمعارف والاصطلاحات فقط، فيكون ذهنه كالمحوض الذي يجمع مقداراً من الماء، إذ لا بد أن يكون هدف المعلم أسمى من هذا، وهو أن يربّي فيه القوة الفكرية، ويحيي فيه قوة الابتكار، فعمل المعلم في الواقع هو إعطاء جذوة للطالب، فهناك فرق بين التأثير الذي تصله النار من الخارج حتى يحرّر، والتأثير الذي تجمع فيه الحطب وتتأتي بجذوة من الخارج وتضعها تحته حتى يشتعل هو لوحده تدريجياً.

الإمام الكاظم عليه السلام يقول في الرواية: «يا هشام، العقل مع العلم»^(٥) أي أن العقل والعلم توأمان، فالعلم بمنزلة تحصيل الموارد الأولية، والعقل والتفكير هو الاستنتاج، والتحليل والتمييز.

وبعبارة أخرى هو وجوب أن يتلازم العقل مع العلم، فلو أن الإنسان كان يفكر كثيراً، ولكن معلوماته قليلة، فمثلاً مثل المصنوع الذي يفتقد المادة الخام، أو أن مواده الأولية قليلة، وبالتالي يكون مصوّله قليلاً، لأن المنتجات الصناعية مرتبطة بالمواد الخام، ولو كانت المواد الأولية كثيرة ولكن المصنوع متوقف عن العمل فسوف لا ينتج أيضاً.

يجب أن يكون العقل غريالاً

من الواضح أن أذني السامع لا تقتصر على سماع واستماع سليم الكلام وصحيح الحديث حتى لا نألو جهداً وعملاً في غربلة ما يقال، بل الأمر مغاير لذلك، فمما نستمع إليه حسنٌ ومنه ما هو خلاف ذلك.

قال الله تعالى: ﴿... فَبَشِّرْ عَبَادَ * الَّذِينَ يَسْتَمِعُونَ الْقَوْلَ فَيَتَبَعُونَ أَحْسَنَهُ أُولَئِكَ الَّذِينَ هَدَاهُمُ اللَّهُ وَأُولَئِكَ هُمْ أُولُوا الْأَلْبَابِ﴾^(٦).

هذه الآية تبشر العباد على استماعهم للقول، ولكن ليس كل استماع، وليس التصديق والأخذ بكل ما سمعوه والعمل به، بل لا بد من أخذ أحسنـه، فيتضح وجود حث على غربلة الكلام وتحقيقه وترجيح بعضه على الآخر، ثم الأخذ بالأحسن والأفضل وإتباعـه، ثم هؤلاء هـم الذين هـداهم الله، يعني أنـ الهدـاية الإلهـية هي الاستفادة من قـوة العـقل.

من هذه الآية يتضح أنـ إحدى الصفـات البارزة في الإنسان هي القدرة على تميـز الكلام الكاذـب من الصـادق، والضعفـ من القـويـ، والكلـام المنـطـقيـ من غيرـ المنـطـقيـ، والنـتيـجةـ أنـهـ يـقومـ بـعملـيةـ غـربـلـةـ، وهـنـاـ يـكونـ لـلـإـنـسـانـ عـقـلاـ، أيـ آنـهـ يـتـحـنـ كـلـ ماـ يـرـدـ إـلـيـهـ فـيـطـرـحـ الضـارـ وـيـحـفـظـ بـالـنـافـعـ وـيـرـميـ بـالـطـالـعـ وـيـقـلـ الصـالـحـ.

نقد الكلام

من يطلب الحقيقة لا يغفل عن نقد الكلام، أي تحليل الكلام، وهو يعني تقييز العناصر السليمة من غير السليمة، وفرق بين الإنسان الذي يسمع كلامين فيأخذ بالصحيح ويطرح السقيم، وبين تحليل الكلام الواحد إلى عناصر صحيحة وعناصر غير صحيحة فيطرحها ويأخذ بالصحيح، يعني أن يكون الإنسان ذات قدرة على تشخيص الكلام الواحد ويقول هذا القسم صحيح وهذا القسم خطأ. ورد عن المسيح عليه السلام أنه قال: «خذ الحق من أهل الباطل، ولا تأخذ الباطل من أهل الحق وكونوا نقاد الكلام»^(٧). أي لا تلتفت إلى المتكلم، بل عليك أن تفكّر في نفس الكلام، فعندما تسمع الحقَّ من أهل الباطل فخذنه، وعندما تسمع الباطل من أهل الحقَّ فلا تأخذنه.

النظر إلى العاقبة

مسألة النظر إلى العاقبة أمرٌ يجب تفعيله، فيجب على العقل أن يُعمل حسابه للمستقبل، ويتدبر في عواقب الأمور، وقد ورد التأكيد على هذه المسألة في التربية الإسلامية، فهي تدعوك إلى أن لا تحصر نفسك في زمان الحال، بل انظر إلى المستقبل والعواقب والنتائج النهائية في أعمالك. ومن ضمن الشواهد التي تؤيد هذا المعنى الوصية المعروفة للرسول عليه السلام للشخص الذي جاءه طالباً مواعظه، حيث قال له مكرراً كلامه ثلثاً: «إذا أنت هممت بأمرٍ فتدبر عاقبته»^(٨).

تحرير العقل من العادات الاجتماعية

العقل نور وبصيرة ولكنه قد يكون مقيداً بحكومة المحيط ومسؤولاً بالعرف والعادة، وما يصطلح عليه اليوم من نفوذ العادات الاجتماعية وإيجاءات البيئة والتقاليد.

القرآن الكريم يذمّ الذين وقعوا أسري التقليد للآباء والأجداد ولم يستخدمو عقوهم وأفكارهم ليحرّروا أنفسهم من هذه التقليد، وهدف القرآن من هذا الذم هو التربية، يعني يريد أن يواظب الأفراد بأن يكون معيار ومقاييس الإنسان هو تشخيص العقل والفكر لا اتّباع الآباء في أعمالهم وأقوالهم، قال الله تعالى في محكم كتابه العزيز: ﴿وَإِذَا قِيلَ لَهُمُ اتَّبَعُوا مَا أَنْزَلَ اللَّهُ قَالُوا بَلْ تَتَّبِعُ مَا أَفْيَانَا عَلَيْهِ آبَاءُنَا أَوْ كَانَ آبَاؤُهُمْ لَا يَعْقِلُونَ شَيْئًا وَلَا يَهْتَدُونَ﴾^(٩).

عدم اتّباع الأكثريّة

موهوم من يعتقد بصحة مذهب الأكثريّة في كل الأحوال، بل اتّباع الكثرة قد ذمّها الله ﷺ فقال: ﴿وَإِنْ تُطِعْ أَكْثَرَ مَنْ فِي الْأَرْضِ يُضْلُلُوكَ عَنْ سَبِيلِ اللَّهِ﴾^(١٠).

لا ينبغي للعقل أن تسيطر عليه حكمة العدد فالاكثرية ليست هي الملاك، ولا ينبغي للإنسان أن يسلك الطريق الذي سلكه أكثر الناس ويقول بما أنّ هذا الطريق سلكه أكثر الناس، فإذاً فهو الصحيح، فهذا تقليد، فكما أن الإنسان بطبيعته منجذب نحو تقليد الآخرين، فكذلك منجذب إلى تقليد الأكثريّة. هذا هو المراد من كلمات أمير المؤمنين علیه السلام: «لا تستوحشوا في طريق الهدى لقلة أهله»^(١١).

فلو كان أمامك طريقان ووجدت أكثر الناس يسيرون في أحدهما زرافاتٍ زرافات، بينما الطريق الآخر لا تجد فيه إلا القليل من الناس، فأحياناً يستوحش الإنسان من ذلك ويقول: لابدّ أن نسلك طريق الأكثريّة وما يجري عليهم يجري علينا أيضاً، بينما الإمام علیه السلام يقول: بـألا تستوحش طريق الحق إذا ما رأينا عدد سالكيه قلة.

التأثر بحكم الآخرين

من الأمراض الشائعة التي يُبتلى بها أغلب الناس هو التأثر بحكم الآخرين، فلا ينبغي أن يكون حكم الناس هو الملاك بلا تعقل وتبصر في الأمور، والأمر يصبح أكثر تعقيداً إذا ما كان مرتبطاً بالشخص نفسه، فلا ينبغي أن يكون ضحية تشخيص الآخرين وحكمهم بالنسبة للقضايا المختصة بنفس الإنسان. الإنسان أدرى بحاله من كل أحد، وهو الذي له القدرة على أخذ القرار النهائي المرتبط به لعلمه بصلاح نفسه وأمره.

٢- عوامل التربية الصحيحة

ال التربية بشكل عام تختلف عن الصناعة بفارقٍ أساسي وهو أن الصناعة عبارة عن جعل الشيء أو الأشياء خاضعة لما يريد الإنسان منها، فيجعل بين الأشياء وبين القوى التي تحكمها رابطة معينة، فيقطع أو يصل، أو يركب الصورة المطلوبة للإنسان ومن ثم يكون ذلك الشيء مصنوعاً للإنسان، كما يصنع من الذهب خاتماً أو قلادة ذهبية، فيعطي الصورة المطلوبة لهذا المعدن و يجعلها بوضع مخصوص.

ولكن التربية عبارة عن إحياء القابليات الباطنية الموجودة بالقوة في الشيء وإخراجها إلى الفعلية، هذا لا تكون التربية إلا في موارد (الأحياء) يعني النبات والحيوان والإنسان، فهذا النوع من التربية يعني تفتح القابليات الباطنية والفطرية الموجودة، ولا تكون إلا في الموجودات الحية.

ومن هنا تعلم أن التربية لا بد وأن تكون تابعة للفطرة، أي أنها لا بد أن تتبع طبيعة الشيء وفطنته، فلو أريد إحياء القابلية في شيء يجب السعي إلى إظهار وإحياء تلك الاستعدادات والقابليات الكامنة فيه، فلو لم تكن لديه القابلية على شيء معين، فلا يمكن تربيته على أمر غير موجود فيه من الأساس.



وستعرض الآن بشكل مختصر لعوامل التربية الصحيحة وكسب الأخلاق السليمة التي وقعت مورد اهتمام الإسلام.

تقوية الإرادة

يُوجَد فرقٌ بين الإرادة، وبين الميول والرغبات، الإرادة هي قوة وقدرة أخرى في الإنسان، مرتبطة بعقل الإنسان، بخلاف الميل والرغبة التي ترتبط بالطبيعة المادية للإنسان، الميل هو نوع من الجاذبية إلى الأشياء التي يحتاجها الإنسان، وكلما يزداد الميل شدةً فإن اختيار الإنسان يقلّ، يعني أنَّ الإنسان يقع تحت سيطرة قدرة أخرى خارجة عن ذاته،عكس الإرادة التي هي قوة باطنية، والإنسان يمكنه أن يستقلَّ عن تأثير الضغوط والقوى الخارجية بإرادته كلما كانت الإرادة قوية.

سلطة الميول الغريزية على الإنسان تؤثر على إرادته و اختياره، فعقل الإنسان يريد، وميوله وغرائزه تريده، فينشأ الصراع في أخذ القرار، ففي هذه الحالة لا بدَّ من ضمانات تنفيذية لهذا الأمر، والإرادة هي القوة التنفيذية للعقل، والعقل والإرادة لا بدَّ وأن يحكما وجود الإنسان، وتخضع الغرائز لحكومة العقل، ولكن ما الذي يضمن تنفيذ حكومة العقل والإرادة على الميول؟

إذن فما لم يوجد شيء يدفع الإنسان إلى ما وراء مصالحه الشخصية، ويتجاوز منافعه، فإنَّ العقل والإرادة لا يستطيعان صنع شيء، وذلك الشيء هو (الإيمان) الذي يستطيع أن يحدَّ من مطامع الإنسان المادية إلى حدٍ كبير، وكذلك يؤمِّن له الأغراض والميول الاجتماعية وغير الأنانية، فهو يخلق في الإنسان المدفَع المطلوب، ثمَّ يأتي دور العقل ويحرك الإنسان نحو ذلك المطلوب.

العبادة

للروح الإنسانية أبعادٌ أو غرائز مختلفة، منها بُعدُ البحث عن الحقيقة لأجل الحقيقة، ومنها بعد الأخلاقي والمراد منه هو العاطفة الإنسانية والشعور بالمحبة للآخرين. وأنه يعتقد بأصالة هذه العاطفة. وبعد الآخر هو العبادة، أي بمعنى أصالة الشعور الديني. فإذا ما أريد من التربية أن تكون تامةً ومتکاملة، فيجب تقوية هذا الحس الإنساني. فالإنسان المتكامل أو المشرف على التكامل لا يمكن تعطيل هذا الجانب من وجوده.

مما لا شك فيه أنَّ النظر إلى العبادة على أنها مجرد معاملة بين خالق وملائكة تستوجب للعبد الجنة أو الفرار من النار، هذه النظرة القاصرة لا تؤثر في التربية لأنَّ الملاحظ فيها المصلحة الشخصية - وإن كانت حسنة بشكل عام -، بل يجب أن ينظر إلى العبادة على أنها أكبر وأرقى من أن تكون مجرد وسيلة وصول، فلا عبادة الطمع أكمل ولا عبادة الخوف أسمى، إنَّ العبادة التي لها الحظ الأوفر في التربية هي تلك القائمة على مبدأ الحب واستشعار لذة الوصال مع المحبوب بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ، وهي عبادة الأحرار.

ونحن نعلم أنَّ العبادة في نظر الإسلام لها درجات ومراتب، وإحدى مراتبها هي العبادة طمعاً في الجنة، ومرتبة أخرى العبادة خوفاً من جهنَّم، وأعلى من ذلك العبادة لا للجنة ولا للنار، والعبارة المعروفة في نهج البلاغة عن أمير المؤمنين عَلَيْهِ السَّلَامُ: «إِنَّ قَوْمًا عَبَدُوا اللَّهَ رَغْبَةً قَتَلَكَ عِبَادَةُ التُّجَارِ، وَإِنَّ قَوْمًا عَبَدُوا اللَّهَ رَهْبَةً فَتَلَكَ عِبَادَةُ الْعَيْدِ وَإِنَّ قَوْمًا عَبَدُوا اللَّهَ شُكْرًا قَتَلَكَ عِبَادَةُ الْأَحْرَارِ»^(١٢).

والنتيجة أنَّ الإنسان إذا ما أراد تربية نفسه أو أبنائه أو الآخرين تربية إسلامية فلا بد من الاهتمام بمسألة الدعاء والعبادة والمناجاة، وأساساً فإنَّ مسألة العبادة -بعضُ النظر عن تقويتها للجانب الأصيل والفطري في الفرد- تؤثر تأثيراً

كبيراً على سائر نواحي الإنسان.

المحبة

إنَّ من جملة الأمور في التعليم والتربية في الإسلام عنصر (الحبة)، وطبعاً يقابل الحبة الحقد والكراهية، وأثر المحبة هو الإحسان والاعطف، وأثر الحقد هو الحشونة، ومن كمال الدين الإسلامي أنه دعا للمحبة والعداء معاً ولكن كلُّ في مكانه، قال أمير المؤمنين عَلَيْهِ السَّلَامُ: «أحَبَّ لِغَيْرِكَ مَا تُحِبُّ لِنَفْسِكَ وَأَكْرَهَ لِهِ مَا تُكْرِهُ لِنَفْسِكَ».

الحبة نوعان، أوَّلُهُما الحبة المنطقية والعقلية المساوية للمصلحة، والمقصود ما فيه الخير والسعادة واقعاً، فكما أتاكَ تُريدُ الخير والسعادة لنفسك دائمًا، فينبغي عليك أن تُريدُ الخير والسعادة لسائر الناس، فليس من الصحيح أن نحب ما لغيرنا مثل ما لأنفسنا بشكل عام وفضفاض، بل يجب أن يكون مورد الحبة مورد مصلحة للغير لا عموم الحبة المماثلة.

والنوع الآخر للمحبة هو الحبة الموافقة للمصلحة والشاملة لزمان الحال والمستقبل أيضاً، فتلك المحبة الواقعية والإحسان الواقعي.

تارةً يُنظر للمحبة بانتظار الفرد، وأخرى بانتظار المجتمع، وكلاهما له مصلحة خاصة، وفي نفس الوقت تجمعهما مصلحة عامة، أي بمعنى آخر هناك موارد توافق وموارد تقاطع بالنسبة لحبة الفرد والمجتمع، فلا بدّ من النظر إلى مصلحة المجموع أيضاً، ولا ينكر أحدٌ أنَّ هناك أوقاتٍ لا بدَّ فيها من التضحية للمجتمع على حساب الفرد، لأنَّ الفرد يبقى عنصراً واحداً والمجتمع يمثل كيان الأمة الأكبر، وخير مثال على ذلك هو فلسفة القصاص، فعلى الرغم من أنَّ القصاص يجيز لنا إعدام القاتل عمداً للنفس البريئة، ولكنه لا يُعدَّ كراهية وحدة بل اعتبره القرآن حياة؛ لما فيه من حفظ مصلحة المجتمع وحياة أفراده، قال الله عَزَّ ذَلِكَ: ﴿وَلَكُمْ فِي

القصاص حيَا أُولِيَ الْأَبَابِ لَعَلَّكُمْ تَشَفَّوْنَ ﴿١٣﴾ .

وأمّا هذا الذي يُنادي به في العالم وفي العصر الحديث من (حب الإنسانية)، فهو أمر ذو بعدين، أي يكون الحب مرّة للإنسان على أنه إنسان؛ أي حيوان ذو رأس وأذنين ومستقيم القامة ومتكلّم، وأخرى يكون الحب على أساس القيم الإنسانية. الأول ليس مطلوبا بلا أدنى إشكال، فالنظر له على أنه حيوان أي قد يصدر منه ما يترجم حيوانيته من ظلم وجور وفواحش لا يستوجب الحب. وأمّا الإنسان بلحاظ القيم فهنا مورد الحب والحبة، لأنّه يحكّم القيم والأخلاق الحسنة في حياته ويوظفها خير توظيف، توظيفاً يخدم بني البشر ويرقى بهم لمعرفة خلقهم ودينهم الحق ليتكاملوا ويقطعوا المسافات لنيل القرب.

تقوية شعور البحث عن الحقيقة

الحقيقة ظمآن العطاشى ومقصد الطلاب، والبحث عن الحقيقة بل تقويته صار من عوامل التربية، فيقول الباحثون: إنَّ في كلِّ إنسان غريزة البحث عن الحقيقة، لذلك يطلب الإنسان العلم. والمجاهدة في طلب العلم بعيداً عن قصد الحقيقة والأمور الحقة الواقعية هو ضياع وقتٍ وعمرٍ على السواء، فيجب على الطالب أن ينوي السلوك في تحصيل العلم لينال الحقيقة وليس أيّ أمرٍ آخر من شهرة ومكانة ومنصب وواجه وما شابهها. ولعله من أهمّ عقبات طريق العلم هو التعصب، ونحن نعلم أنَّ الإسلام حارب التعصب والعصبية بشدة.

فالتربيّة لها دخلٌ في البحث عن الحقيقة لأنّها تؤدّبُ السالك على السير لطلب ما هو حقٌّ، والحقُّ فضيلةٌ وطالب الفضيلة كأنّما يطلب تربيةً، فالنتيجة أنَّ الطالب يتربّى على هذا المُلْقُ القويم، فيغدو همّه الحقيقة وال بصيرة.

المراقبة والمحاسبة

المعروفُ بأنَّ مسألة المراقبة والمحاسبة أكَّدَ عليها علماء الأخلاق والعرفاء بشكل خاصٍ. والقرآن عَبَرَ عنها (بالنظر إلى ما قدَّمت النفس) حيث قال الله تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَلْتَنْظُرْ نَفْسٌ مَا قَدَّمَتْ لِعَدِ وَاتَّقُوا اللَّهَ إِنَّ اللَّهَ خَيْرٌ بِمَا تَعْمَلُونَ﴾^(١٤).

ويستوحى علماء الأخلاق الإسلاميون من هذه الآية أنَّ أمَّ المسائل الأخلاقية هي المراقبة، وتعني أَنَّه لا بد من الاحتراس والاحتراف في أي معاملة وعمل، والإنسان مطلوبٌ منه المراقبة باستمرار. وهناك أمرٌ يُضافُ على المراقبة وهو (المحاسبة)، أي بعد تحصيل العمل والثمرة بالمراقبة تأتي المحاسبة، بمعنى إعمال حساب لما أقدم عليه الإنسان من أعمال، فيكون الثواب والاستمرار في حسن العمل، والعقوب والجزاء في قبيح العمل.

والمحاسبة مسألة وردت في التعاليم الإسلامية فنحن نرى قوله عَزَّلَهُ عَزَّلَهُ: «حاسِبُوا أَنفُسَكُمْ قَبْلَ أَنْ تُحاسِبُوا وَزِنُوهَا قَبْلَ أَنْ تُوزَنُوا»^(١٥)، هذه العبارة تأمر الناس أن يحاسبوا أنفسهم في الدنيا قبل الحساب يوم القيمة، فهناك سوف يضعون كل فرد في الميزان، فمن الآن على الإنسان أن يزن أعماله ويعرف أنَّها خفيفة أو ثقيلة.

وحتى يكون الأمر كاملاً تأتي المشارطة قبل المراقبة، وذلك بأن يتعهد الإنسان بعمل شيء أو بتجنبه، فيشرع في تنفيذ ما شرطه على نفسه مقرئاً بالمراقبة والمعاينة، وعليه أن يعرف مدى صدقه ومدى التزامه بما اشترطه، وهكذا تدوم المراقبة لأيام وأسابيع مثلاً، ومن ثم ينتقل الإنسان لمرحلة أخرى من هذه العملية. ويأتي دور المحاسبة، أي أن يأْتي بأعماله وينظر إلى صغيرها وكبيرها ويحاسب نفسه، فإذا ما أَجَادَ الْأَمْرَ خَيْرٌ إِجَادَةٌ وَأَتَى بِكُلِّ مَا اشترطه على نفسه بالتمام والكمال فهنا يشكِّر الله تعالى ويستمرّ لما هو أعلى من ذلك، وأمّا إذا كان

هناك تقصيرٌ وكسلٌ فيعاتب نفسه ويحاسبها، ولكن لا سمح الله إذا خالف عمله وقوله وتعهداته، بل لم يف بالتزامه على الإطلاق، فهنا يأتي دور العاقبة، بأن يُنزل العقاب على نفسه، والعقاب درجات؛ فلكل تخلفٍ وتقصيرٍ درجة معينة مثلاً وهكذا دواليك، إلى أن يستتبّ الأمر ويجد نفسه تسير باستقرار نحو الكمال صاعداً سالماً الرقي والعلا بثباتٍ وصمودٍ راسخين.

التفكير

الأمر الآخر الذي له جنبة تربوية أيضاً وهو واردٌ بكثرة في التعاليم الإسلامية هو (التفكير)، والتفكير أحد أنواع العبادة، إذا ما قلنا بأن العبادة ثلاثة أنواع، أولها العبادة البدنية مثل الصلاة والصوم، وثانيها العبادة المالية مثل الزكاة والخمس والصدقات بشكل عام، والنوع الأخير هو العبادة الفكرية - وهي العبادة الروحية - وهي أفضل العبادات «تفكر ساعة خير من عبادة سنة أو ستين سنة أو سبعين سنة»^(١)، فلهذا تظهر قيمة التفكير وأ أنها أفضل من العبادات البدنية، ولا ينبغي إساءة الفهم وتوهم أن المقصود هو ترك العبادات والالتزام بهذه العبادة - التفكير - فقط، كلاً، فكل واحدة منها ضرورية، ولكنَّ الغرض هو بيان أهمية هذا الأمر.

ومن موارد التفكير هو عالم الخلقة، التاريخ، نفس الإنسان وغيرها، والقرآن الكريم أشاد بموارد التفكير هذه بآيات دالة على ذلك.

والتفكير في عالم الخلقة هو لمعونة الله تعالى، فهو في الواقع اكتشاف ما في العالم معرفة الله، قال الله تعالى: ﴿إِنَّ فِي خَلْقِ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَاحْتِلَافِ اللَّيْلِ وَالنَّهَارِ لَآيَاتٍ لِأُولَئِي الْأَلْبَابِ * الَّذِينَ يَذْكُرُونَ اللَّهَ قِيَاماً وَقَعُوداً وَعَلَى جُنُوبِهِمْ وَيَتَفَكَّرُونَ فِي خَلْقِ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ﴾^(١٧)، ولا شك أنَّ الإنسان لو تأمل بدقة في عالم المخلوقات والنظم الموجودة في المخلوقات وكان هدفه من التأمل

واكتشاف أسرار العالم هو الوصول إلى الحقيقة ومعرفة الله أكثر، فهذا في الواقع علمٌ وفي نفس الوقت عبادة، فهو تفكّر علمي وعبادي.

المورد الآخر للتفكير العبادي، هو تفكّر الشخص في نفسه، يعني أن تكون النفس موضوعاً لتفكير الإنسان، وهو على قسمين: تارة يكون التفكير في نفس الإنسان، وأخرى في أعماله وكيف يصّمم على بعض الأمور وكيف يعمل بشكل لا يسير مع تيار الحوادث الاجتماعية بشكل أعمى.

والتفكير شرط أساسي للتسلّط على النفس والمجتمع فينبعي أن لا يستسلم أمام التحديات التي يفرضها الواقع الاجتماعي. وهذا التفكير الأخلاقي نظير محاسبة النفس، يعني أن الإنسان يجب أن يجعل له في اليوم والليلة فرصة للتفكير وينقطع عن جميع الأشياء ويهمّ بإصلاح باطنه، فيتأمّل في أوضاعه وحالاته الشخصية ويقيّم أعماله والأعمال التي ينبغي أن يقوم بها. ومسألة التفكير يجب أن تكون عادة، لأنّه يعشّل حقيقةً عامل تربية وإصلاح، فلا بدّ وأن يعتاد على التفكير في كلّ ما يريد أن يقوم به.

معاشرة الصالحين ومحبة الأولياء

دلت روایات كثيرة على تأثير المجالسة سواء في جانبها الإيجابي أو السلبي، فالمجالسة مع الصالحين لها الأثر الإيجابي الكبير، وبعكس ذلك مجالسة الطالحين التي لها ما لها من الأثر السلبي الفاسد والمفسد للنفس والروح. ولا إشكال في أنَّ الأثر ليس من الضروري أن يكون جلياً واضحاً، بل قد يكون كدبب النمل في الليلية الظلماء، يعني أنَّ الإنسان لا يستطيع مهما حاول أن يضبط نفسه عن الوقوع تحت تأثير الطرف الآخر، فلا بدّ أن يختلف ولو أثراً قليلاً، يقول النبي الأكرم ﷺ: «المرءُ عَلَى دِينِ خَلِيلِهِ وَقَرِينِهِ»^(١٨)، والمقصود هو أنَّ الشخص إذا أراد أن يتّخذ خليلاً فيجب أن يتّخذ من يُقبل دينه.

وورد في نهج البلاغة قوله عليه السلام: «مجالسة أهل الهوى منسأة للإيمان»^(١٩)، أي أنَّ الشخص ينسى إيمانه بعشرة أهل الهوى، فإذا أخذناها (منسأة) بأنَّها مصدر ميمي فتكون نسيان الإيمان، وإذا أخذناها بأنَّها اسم مكان، فيكون التعبير هو أن المعاشرة تكون مكاناً لنسيان الإيمان، أي أنَّ الإنسان ينسى إيمانه من الأساس.

فعلى هذا لا بدَّ أن يختار الإنسان رفيقه الذي يعاشره، فإن المعاشرة الأخلاقية غير معاشرة المعلم للمتعلم، وغير معاشرة المربَّي لمن يربِّيه، فالقصد هو اتّخاذ الأنبياء، فكل شخص في الدنيا له رفيق وصديق يأنس به ويعاشره.

الأمر المهم في باب المعاشرة والذي له أثُرٌ كبيرٌ جدًا على شخصية الإنسان هو حالة الحبُّ والتعلق بالطرف الآخر، فهو من أكبر العوامل وأعظمها أثراً في تغيير الإنسان، فإذا كان الحبُّ في محلِّه فإنَّ ذلك سوف يصلح الإنسان بشكل عجيب، فإذا اعتقاد شخصٍ بأنَّ الطرف المقابل هو إنسان كامل ثمَّ أحبه وأحبَّ أخلاقه ومعنوياته فإنه سيخضع لتأثيره بصورة كبيرة، ولذلك نجد العرفاء يهتمُّون اهتماماً بالغاً بالعثور على الشيخ والمريد.

الزواج

وأحد العوامل المهمة في التربية والتي لا يمكن الاستعاضة عنها بديل آخر، هو (الزواج) الذي جعله الإسلام أمراً مقدساً وعبادة، مع أنه من مقوله اللذة والشهوة. فالزواج يُعتبر أول قدم يضعها الإنسان خارج الأنماط الفردية والأنانية وحبُّ الذات، فالإنسان يمرُّ بمراحل، فقبل الزواج لم يكن سوى الأنماط الفردية ويكون الهدف من كلِّ عمل يقوم به الشخص هو لأناته وذاته فقط، وأول مرحلة لكسر هذا الحصار هو إيجاد أنا أخرى إلى جانب هذه الأنماط الفردية والعمل لصلحتهما معاً، وهو الزواج، ثمَّ تتسع الأنماط الفردية السابقة في زاوية النسيان.

فهناك مرتبة روحية ودرجة في التربية لا ينالها الإنسان إلا من باب الزواج



وتكون الأسرة، حتى لو كان الشخص عارفاً، فيلسوفاً، حكيناً، قسيساً أو كاردينالاً فإنه يبقى هناك نقص مفقود ألا وهو الإحساس الذي يشعر به من له زوجة وأولاد ومسؤوليات منزلية.

الجهاد

الجهاد أحد العوامل التي لا يقبل أن يقوم غيره مقامه، يعني لا يمكن أن يتساوى المؤمن المجاهد في روحه ومعنوياته مع المؤمن الذي لم ير ميدان القتال، الإنسان الذي تنتابه حالات بحيث إذا أصبح الموت أمام عينيه فإنه ولأجل ثبات إيمانه وقوّة عقيدته سوف يُلقي بنفسه على الموت من أجل دينه، والأثر الذي يخلفه هذا العامل في تربية النفس لا يمكن أن يُجبر بعامل آخر.

العمل

لقد رفض الإسلام البطالة بشدة، واعتبر العمل أمراً مقدساً، وعندما ي يريد الدين أن يمنح قداسة خاصة للشيء يذكره بهذه الصورة: إن الله يحب ذلك العمل، فمثلاً ورد في الحديث الشريف: «إن الله يحب المؤمن المحترف»^(٢٠).

لا يقتصر النظر للعمل على أنه فقط حاجة للمادة والمال، بل العمل ضروري لجسم الإنسان على أساس أنه كائن حي، وكذلك العمل لازم لقوة الخيال والعقل لدى الإنسان، بل للتفكير والقلب والإحساسات والعواطف الموجودة في نفس الإنسان. وفي الحديث عن العمل وتركيز قوة الخيال نقول أن الخيال في الإنسان قوة، أي يفكّر ويعمل بخياله وذهنه، وتركيز الخيال هذا له الأثر الإيجابي على صرف الذهن عن الفساد وضبط النفس عن المزلاقات، يعني أن الإنسان يحتاج إلى تركز قوة الخيال، لأن قوة الخيال في الإنسان إذا تحرّرت ولم تنضبط بضابطة، فسوف تفسد أخلاقه.

إن العمل مضافاً إلى أنه يُعتبر مانعاً من الفساد والوقوع في الذنب والخطيئة يكون أيضاً مانعاً من بروز الوساوس والخيالات الشيطانية، وهذا يقال أنه لا بد أن ينتخب الشخص العمل الذي له القابلية على القيام به، ويكون له علاقة وارتباط نفسي بذلك العمل، فلو لم يكن العمل متطابقاً للقابلية ولم تكن هناك علاقة عاطفية مع العمل بأن يقوم الإنسان بذلك العمل من أجل تحصيل المال فقط، فلا يكون لهذا العمل أثرٌ تربويٌّ، ولعله يفسد الروح أيضاً. عبارة أخرى وحتى لا يكون عمل العامل هباءً منثوراً، عليه أن ينتخب العمل الأكثر انسجاماً مع قابلياته وشوقه وذوقه وجاذبيته وعشقه ليحصل الإنتاج والإبداع والابتكار نتيجة تلاقي الرغبة مع المرغوب ووقوع العشق في محله، ومعرفة أنَّ الإنسان أسير ما يحبه ويعشقه ويجد نفسه فيه.

والأكثر من هذا أنَّ انتخاب العمل المنسجم امتحانٌ للذات، لأنَّ أحد الأمور التي ينبغي للإنسان القيام بها قبل كل شيء هي أن يجرب نفسه، فإنه لا يعلم قبل التجربة ما هي قابلياته وملكاته، فيكتشفها بالتجربة. إذن فالإنسان يكتشف نفسه بالعمل وهذا أفضل أنواع الاكتشافات، فعندما يكتشف العمل الذي يوافق سليقته وذوقه وقابلياته فذلك يحدث في نفسه ذوق وعشق عجيب، فهنا يبتكر الإنسان وتحصل لديه حالة من النبوغ، فإنه يمكن إيجاد العمل بالمال ولكن لا يمكن إيجاد الفنُّ والعظمة والابتكار بالمال.

والأمر الآخر أنَّ العمل يرشد إلى التفكير المنطقي، أي أنَّ الإنسان إذا ما كان رزقه وثروته يحصل عليهما بالراحة والبطالة والصدفة فإنَّ تفكيره لن يكون منطقياً، بخلاف من يكون غارقاً في عمله وداخلاً في ميدان العمل يكون فكره منطقياً، لأنَّ فكره مرتبط بالأمور الخارجية الطبيعية، أي توجد رابطة العلة والمعلولية، ولما ارتبط الفكر بعالم الطبيعة وبالواقع الموجود أي تعلق بحساب

المطلق والقانون فالنتيجة أنّ الفكر يكون منطقياً بالنسبة للعامل. أمّا تأثير العمل على عواطف الإنسان، فالعمل داخلُ في التأثير على إحساس الإنسان وعواطفه وهو المذكور في القرآن بعبارة (القلب) وهذا الأثر هو الرقة والخشوع والنور في مقابل القسوة والظلمة. فمن جملة آثار العمل أنّه يزيد خصوص قلب الإنسان وخشوعه أو ينبع من قسوة القلب، وأمّا البطالة تزيد من قسوة القلب.

وعلى أية حال فالعمل يؤدي إلى تربية الخيال و التربية العقل والفكر والقلب، وبشكل عام يؤدى إلى تربية الإنسان.

ونقطة أخيرة في باب العمل، ألا وهي علاقة العمل والإحساس بالشخصية، حيث أنَّ من فوائد العمل هو حفظ الشخصية والحيثية والاستقلال، لأنَّ الإنسان يتَّالم حينما تتعرَّض شخصيَّته لضربة وإهانة وإراقة ماء وجه، فالعمل - وخصوصاً المصحوب بالابتكار - يؤدِّي بالفرد إلى الشعور بعدم الحاجة إلى الآخرين، ومن ثمَّ الإحساس بالشخصية، يعني أنه لا يحسُّ بالمحارة في مقابل الآخرين.

محلّة البحث

بعد هذا السرد المُبِين للعقل وحيثيّاته، والتربية وعواملها، نقول: إنَّ العقل يرشد إلى كل فضيلة وبصيرة إذا ما تعاملنا معه على أنَّه المرشد والموجَّه بحيث يفكَّر به الإنسان تفكيرًا سليماً، ويختار طريقه عن وعي، ويتبع الحق. وأيضاً نقول: إنَّ التربية الصحيحة ترْتَبِّع العلم على السموِّ الروحي والمعنوی ليكون الهدف منه هو طلب الحقيقة ذاتها، بل تأخذ بنفس الإنسان نحو الصفاء والإخلاص في طلب العلم.

الخاتمة

العلم لوحده نور وبصيرة للمجهولات والحقائق الغائبة، فهو يُحدث في النفس انتقالاً من جهلٍ بحقيقة إلى معرفتها، وبهذا يكون العلم دليلاً وسراجاً ظلماً في عالم المجهولات. ويبقى العلم لو ترك لوحده -أي لم يؤخذ إلا العلم فقط، من دون عقل وتربيه وتهذيب لما يُكتسب- مؤدياً لحصول الخلل في شخصية الإنسان الساعية لطبيه واكتسابه ونيله. والعقل والتربية لا بد أن تقارن وتصاحب العلم المراد منه السمو والرقي نحو الحق والحقيقة وال بصيرة الوعائية، لأنَّ تحصيل المعارف والعلوم لا تقرّ دون منافذ ومعابر عقلية وتربوية ليترشح ما هو محض الحق والواقع وهو المطلوب من العلم.

فإذا سلمنا بلزم العقل والتربية، جاء النظر فيما يتعلق بالعقل من ترشيد وترجيح لما هو صحيح، وجاء النظر فيما يرتبط بالتربية من تهذيب وتشذيب للأخلاق والسلوك ليصدر ما هو متوافق ومتلائم مع طلب المعرفة والعلوم. تم الكلام ببركة الصلاة على خير الأئمَّةِ محمد وآل محمد، والحمد لله رب العالمين.

المواهش:

- (١) ميزان الحكمة، ص ٢٧٣٢.
- (٢) المجادلة ١١.
- (٣) ميزان الحكمة، ص ٢٤٩١.
- (٤) ميزان الحكمة، ص ٢٧٣٣.
- (٥) الكافي: ج ١، ص ٥.
- (٦) الزمر ١٧-١٨.
- (٧) بحار الأنوار، ٩٦/٢.

- (٨) الكافي، ج ٨، ص ١٥٠.

(٩) سورة البقرة .١٧.

(١٠) سورة الأنعام .١١٦.

(١١) نهج البلاغة، خطبة .٢٠١.

(١٢) نهج البلاغة، قسم قصار الحكم، الحديث ،٢٣٧، ص ٧٠٢.

(١٣) سورة البقرة .١٧٩.

(١٤) سورة الحشر .١٨.

(١٥) وسائل الشيعة، ج ١٦، ص ٩٩.

(١٦) البحار، ج ٦٦، ص ٢٩٣.

(١٧) سورة آل عمران .٩١-٩٠.

(١٨) الكافي، ج ٢، ص ٣٧٥.

(١٩) ميزان الحكمة، ج ١، ص ٤٠٣.

(٢٠) الكافي، ج ٥، ص ١١٣.



الموخ وأحكامها

علي فاضل الصدوي

بسم الله الرحمن الرحيم، وصَلَّى اللهُ وَسَلَّمَ عَلَى مُحَمَّدٍ
وَآلِهِ وَبِضْمَنِهِ.

الموخ (فتح أوله وبضمه) أو الأمساخ أو المسوخات،
واحدها المسوخ: حيواناتٌ أو طيور أو حشائر ثبتت لها بعنوان
الموخ أحكام خاصة، أو يُدعى ثبوتها لها. وقد دلت بعض
الروايات على أنها على صورة المسوخ الأصلية، وأن الأصلية
لم تبق أكثر من ثلاثة أيام^(١).

والكلام فيها يقع في مقامين:



المقام الأول: في أفراد هذا العنوان:

وعددها المحصل من الأخبار بعد الجمع بينها -على ما في الجواهر- نِيف وعشرون^(٢)، وقد أنهى العلامة المجلسي قِبَّلاً عددها -بملاحظة الروايات صحيحها وضعيفها- إلى ثلاثة، وقد نبه عليه على أن بعضها يرجع إلى بعض^(٣)، وهي ما يلي: الفيل والدب والأرنب والعقرب والضب والوزغ والعطاية والعنكبوت والدُعموص والجرّي والوطواط والقرد والخنزير والكلب والزهرة وسهيل والطاووس والزنبور والبعوض والخفافش وال فأر والقملة والعنقاء والقنفذ والحيّة والحنفباء والزمير والمارماهي والوبر والورل^(٤)، وفي المستند زيادة (الدب)^(٥)، وفي الجواهر: "وَزَادَ فِي كِشْفِ الْفَطَاءِ عَلَى مَا عَدَّهُ فِي الْبَعَارِ" (العيقيقا)^(٦)، وفي الجواهر أيضاً زيادة (الذئب)، وفي الفقيه زيادة (الثعلب واليربوع والنعامنة)^(٧)، وأفاد في الجواهر متعمقًا ما في الفقيه من عدّ (النعامنة) مسوحاً: "إلا أنه قيل: لا موافق للصدق على النعامنة من الأخبار أو كلام الأصحاب، بل ربما يظهر منهم في كتاب الحج في بحث الصيد ومن كتاب الأطعمة في عدّ المحرمات -الاتفاق على إباحتها، وعن بعض نسخه (بعامة) بباب الموجدة"^(٨).

هذا وتحقيق أفراد المسوخ منها يستدعي عرض الروايات وملاحظة دلالتها وسندتها:

الأولى: صحيحة الحلبي عن أبي عبد الله عَلَيْهِ السَّلَامُ قال: "سألته عن أكل الضب؟ فقال: «إن الضبّ والفارة والقردة والخازير مسوخ»"^(٩).

الثانية: صحيحة الحسين بن خالد قال: "قلت لأبي الحسن عَلَيْهِ السَّلَامُ: أيجعل أكل لحم الفيل؟ فقال: «لا»، فقلت: لم؟ قال: «لأنه مثلاً، وقد حرم الله لحوم الأمساخ ولحم ما مثل به في صورها»^(١٠). وإطلاق الحسين بن خالد منصرف إلى المخاف الثقة؛ وذلك لأنّه هو الذي له كتب، وقد روى عنه غير واحد من الأجلاء، كابن أبي

عمير وأبان بن عثمان وجعفر بن بشير وصفوان بن يحيى وعبد الله بن المغيرة وعلي بن أسباط وعلي بن الحكم وفضالة بن أيوب. ثم إن عمرو بن عثمان الوارد في طريقها هو الثقفي المخراز الثقة كما لا يخفى.

الثالثة: رواية أبي سهل القرشي قال: "سألت أبا عبد الله عليه السلام عن لحم الكلب؟ فقال: هو مسخ، قلت: هو حرام؟ قال: هو نحس، أعيدها ثلاث مرات كل ذلك يقول: هو نحس"^(١). وهي ضعيفة -على الأقل- بالقرشي؛ إذ هو مهملاً.

الرابعة: رواية سليمان الجعفري أبي الحسن الرضا عليه السلام قال: «الطاوس مسخ، كان رجلاً جميلاً، فكابر امرأة رجل مؤمن تحبه، فوقع بها، ثم راسته بعد، فمسخهما الله طاوسين أثني وذكراً، فلا تأكل لحمه ولا بيضه»^(٢). وهي الأخرى ضعيفة ببكر بن صالح الواقع في طريقها الذي ضعفه النجاشي^(٣).

الخامسة: ما رواها الكليني والشيخ بسنديهما عن محمد بن الحسن الأشعري عن أبي الحسن الرضا عليه السلام قال: «الفيل مسخ، كان ملكاً زناة، والذئب مسخ، كان إعرابياً ديوثاً، والأرنب مسخ، كانت امرأة تخون زوجها، ولا تقتسل من حيضها، والوطواط مسخ، كان يسرق تمور الناس، والقردة والخنازير قوم من بني إسرائيل، اعتدوا في السبت، والجريث والضبّ فرقة من بني إسرائيل، لم يؤمّنوا حيث نزلت المائدة على عيسى بن مرريم، فتاهوا، فوّقعت فرقة في البحر وفرقّة في البر، والفارة وهي الفويسقة، والعقرب كان ثماماً، والدبّ والوزغ، والزنبور كان لحاماً يسرق في الميزان»^(٤). ونحوها ما رواها الصدوق في العلل بسنده عن محمد بن الحسن بن علان قال: "سألت أبا الحسن عليه السلام عن المسوخ، فقال: «اثنا عشر صنفاً لها علل، فأما الفيل فإنه مسخ؛ لأنّه كان ملكاً زناة لوطياً، ومسخ الدبّ؛ لأنّه كان رجلاً ديوثاً، ومسخ الأرانب؛ لأنّها كانت امرأة تخون زوجها ولا تقتسل من حيض ولا جنابة، ومسخ الوطواط؛ لأنّه كان يسرق تمور الناس، ومسخ سهيل؛ لأنّه كان عشاراً باليمين، ومسخ الزهرة؛ لأنّها كانت امرأة فتن بها هاروت وماروت، وأما القردة والخنازير، فإنّهم قوم من بني إسرائيل

اعتدوا في السبت، وأما الجري والضب ففرقة من بني إسرائيل حين نزلت المائدة على عيسى لم يؤمنوا به فتاهوا، فوّقعت فرقة في البحر وفرقه البر، وأما العقرب فإنه كان رجلاً ثمامنة، وأما الزنبور فكان لحاماً يسرق في الميزان»^(١٥). وهذه الرواية ضعيفة بطريق الصدوق؛ لعدم توثيق محمد بن الحسن بن علان(العلا)، كما أنها بطريق الكليني والشيخ ضعيفة بمحمد بن الحسن الأشعري؛ إذ لم يثبت توثيقه، وإن وصفها في الجواهر بالصحة^(١٦).

السادسة: رواية الكلبي النسابة قال: «سألت أبا عبد الله عَلَيْهِ الْكَلَمُ عن الجري؟ فقال: «إن الله مسخ طاففة من بني إسرائيل، فما أخذ منهم بحراً فهو الجري والزمير والمارماهي وما سوى ذلك، وما أخذ منهم براً فالقردة والخنازير والوبر والورل وما سوى ذلك»^(١٧). وهي ضعيفة بضعف أو جهالة معلى بن محمد وعلي بن محمد وهو الهمداني المعروف بأبي سمينة وكذا براويها المباشر الكلبي النسابة.

السابعة: رواية محمد بن سنان عن الرضا عَلَيْهِ الْكَلَمُ فيما كتب إليه من جواب مسائله في العلل: «وحرم الأربب؛ لأنها معنزة السنور، ولها مخالفات كمخالب السنور وسباع الوحش، فجرت بجرها مع قدرها في نفسها، وما يكون منها من الدم، كما يكون من النساء؛ لأنها مسخ»^(١٨). وكثرة طرق الرواية إلى ابن سنان^(١٩) تغنينا عن النظر في آحادها، وأما ابن سنان نفسه فالمختار وثاقته؛ فإن تضعيفه محظوظ^{٢٠} بما يصلح للقرینية على أنه راجع إلى عقيدته أو ينطاق عنها، ومعه فلا يعود هذا التضعيف شهادةً حتى تصلح لمعارضة توثيق المفيد قائم له في الإرشاد، وأنه من خاصة الرضا عَلَيْهِ الْكَلَمُ وثقاته وأهل الورع والعلم والفقه من شيعته^(٢١)، كما أنه قد دلّت جملة وافرة من الروايات على جلالته^(٢٢)، وتفصيل الكلام فيه موكول إلى محله.

الثامنة: ما رواها الصدوق قائم في العلل والمحصال بسنته عن علي بن جعفر عن (علي بن المغيرة)^(٢٣) عن أبي عبد الله عَلَيْهِ الْكَلَمُ عن أبيه عن جده عَلَيْهِ الْكَلَمُ قال:

«المسوخ من بني آدم ثلاثة عشر صنفاً: منهم القردة والخنازير والخفاش والضب والغيل والدب والدعومص والجريث (الجري) والعقرب وسهيل والقنفذ والزهرة والعنكبوت، ثم ذكر سبب مسخهم»^(٢٣). وهي ضعيفة سواء كان الرواية عن الصادق ع عليهما السلام بن المغيرة أو مغيرة، وهي مولاة الإمام الصادق ع عليهما السلام؛ لجهوليتها.

الحادية عشرة: رواية معتب عن جعفر بن محمد عن أبيه عن علي بن أبي طالب ع عليهما السلام قال: «سألت رسول الله صلى الله عليه وسلم عن المسوخ، فقال: هم ثلاثة عشر: الغيل والدب والخنازير والقرد والجريث (الجري) والضب والوطواط والدعومص والعقرب والعنكبوت والأرنب وسهيل والزهرة، ثم ذكر أسباب مسخها». قال الصدوق: «سهيل والزهرة دابتان من دواب البحر المطيف بالدنيا»^(٢٤). وهي ضعيفة؛ لاشتمال سندها على نفر من المجاهيل.

الثانية عشرة: رواية علي بن جعفر عن أخيه موسى بن جعفر ع عليهما السلام قال: «المسوخ ثلاثة عشر»^(٢٥)، أقول: ثم ذكرت نفس نفس ما اشتملت عليه سابقتها من المسوخ، ثم تعرّضت لأسباب مسخها. وهي ضعيفة؛ لجهالة بعض رواثتها.

الحادية عشرة: رواية محمد بن سليمان الديلمي عن الرضا ع عليهما السلام أنه قال: «كان الخفاش امرأة سحرت ضرّة لها، فمسخها الله خفاساً، وإن الفار كان سبطاً من اليهود، غضب الله عليهم فمسخهم فاراً، وإن البعوض كان رجلاً يستهزئ بالأنبياء، ويشتمهم، ويكلح في وجوههم، ويصفق بيديه، فمسخه الله عزوجلّه بعوضاً، وإن القملة هي من الجسد، وإن نبياً كان يصلّي، ف جاءه سفيه من سفهاء بني إسرائيل، فجعل يهزا به، مما برح عن مكانه حتى مسخه الله قملة، وأماماً الوزغ فكان سبطاً من أسباط بني إسرائيل، يسبون أولاد الأنبياء، ويغضبونهم، فمسخهم الله وزغاً (أوزاغاً)، وأمام العنقاء فمن غضب الله عليه مسخه، وجعله مثلاً، فنعود بالله من غضب الله ونقتمه»^(٢٦). وهي ضعيفة؛ لتصرّيح التجاشي والشيخ ع عليهما السلام بضعف روايتها الديلمي^(٢٧)، ولجهالة عباد بن سليمان الواقع في طريقها.

الثانية عشرة والثالثة عشرة: روايتا تفسير العياشي رحمه الله عن أبي الحسن عليه السلام ومضمونهما: "أن الخنازير من قوم عيسى عليه السلام، سألا نزول المائدة، فلم يؤمنوا بها، فمسخهم الله خنازير" ^(٢٨).

الثالثة عشرة: مرسلة العياشي رحمه الله في (تفسيره) عن الأصيغ عن علي عليه السلام قال: "أَمْتَان مسختا من بني إِسْرَائِيل، فَأَمَا الَّتِي أَخْذَتِ الْبَحْرَ فَهِيَ الْجَرِّيْثُ، وَأَمَا الَّتِي أَخْذَتِ الْبَرَ فَهِيَ الْضَّبَابُ" ^(٢٩).

الرابعة عشرة: رواية حبابة الوالبيه قالت: "رأيت أمير المؤمنين عليه السلام في شرطة الخميس، و معه درة لها سبابتان يضرب بها بياعي الجري والمارماهي والزمار، ويقول لهم: «يا بياعي مسوخ بني إسرائيل وجند بني مروان»، فقام إليه فرات بن أخفن، فقال: يا أمير المؤمنين، وما جند بني مروان؟ قال: فقال له: «أقوام حلقوا اللحى وقتلوا الشوارب فمسخوا...» ^(٣٠). ولكنها ضعيفة السندي؛ إذ أن أكثر رواتها مجاهيل.

الخامسة عشرة: رواية عبد الله بن طلحة قال: "سألت أبي عبد الله عليه السلام عن الوزغ؟ فقال: «هو رجس، وهو مسخ كلّه، فإذا قتله فاغتسل» ^(٣١). وهي ضعيفة سندًا؛ فإن جل روتها مجاهيل.

السادسة عشرة: موثقة عمّار عن أبي عبد الله عليه السلام "في الذي يشبه الجراد، وهو الذي يسمى الدبا" ^(٣٢)، ليس له جناح يطير به، إلا أنه يقفز قفزًا، أيحل أكله؟ قال: «لا يؤكل (يحل) ذلك؛ لأنّه مسخ». وعن المهرجل ^(٣٣)، فقال: «لا يؤكل؛ لأنّه مسخ، ليس هو من الجراد» ^(٣٤).

أقول: فالذي دلت الروايات المعتبرة على كونه مسوخاً هو القرد والخنزير والفيل والضبّ والفار والدبا والمهرجل، كما وقد اشتملت عدّة وافرة من الروايات المزبورة - وإن لم يتم سندها - على مضمون واحد، ومثل هذا يورث وثوقاً

بصدوره، وهو أن من المسوخ الدب والأرنب والعقرب والجرّي وهو الجريث، والوطواط وهو الخفافش، خصوصاً بعد اتفاقها على كبرى أن المذكورات مسوخة وإن اختلفت في المصادر.

المقام الثاني: في أحكام المسوخ

والبحث فيه في مطالب:

المطلب الأول: في نجاستها وعدمها:

المشهور طهارة المسوخ، وعن الشيخ قيثر في المبسوط^(٣٥)، وابن حمزة في الوسيلة^(٣٦) نجاستها، ولا دليل على نجاسة مجموعها، نعم وردت جملة روايات استفادة منها نجاسة الأرنب والعقرب والفار، وفي قبال تلك الاستفادة قال في العروة: "الأحوط الاجتناب عن الثعلب والأرنب والوزغ والعقرب والفار، بل مطلق المسوخات، وإن كان الأقوى طهارة الجميع"^(٣٧)، فلا بد من عرض الروايات المشار إليها:

الرواية الأولى: وهي ما قد يستدل به على نجاسة الأرنب وكذا التعلب، ولم يثبت كونه من المسوخ كما تقدم، وهي مرسلة يومنس عن بعض أصحابه عن أبي عبد الله عاشور قال: "سألته هل يحل أن يمس التعلب والأرنب أو شيئاً من السبع حيّاً أو ميتاً؟ قال: «لا يضره، ولكن يغسل يده»"^(٣٨)، فقد يستدل على النجاسة بالأمر بغسل اليد.

وأجيب عنها -بعد أن كان موضوعها السابع- بـلزوم حمل الأمر بالغسل على التزّه، بقرينة ما دلّ على طهارة السابع^(٣٩)، وما دلّ على قبول الأرنب والشعلب للتذكية^(٤٠); فإنه لا أثر لها مع كونهما نجسین، على أن الرواية ضعيفة السند بالإرسال. نعم قبول الحيوان للتذكية لا يثبت طهارته؛ فإن للتذكية آثاراً

غير الأكل كبيعه على مستحلّه.

الروايتان الثانية والثالثة: وهمما ما قد يستدل به على نجاسة العقرب، وهي موثقة أبي بصير عن أبي جعفر ع قال: "سألته عن الخنفساء تقع في الماء أیتواضأ به (منه)؟ قال: «نعم، لا بأس به». قلت: فالعقرب؟ قال: «أرقه»^(٤١)، وموثقة ساعنة قال: "سألت أبا عبد الله ع عن جرّة وُجد فيه خنفساء قد مات؟ قال: «ألقه وتوضأ منه، وإن كان عقرباً فارق الماء وتوضأ من ماء غيره»^(٤٢)؛ ولكن الأمر بالإراقة فيما لا يفهم منه النجاسة؛ لعرفية احتمال أن الأمر بها بلحاظ تسمم الماء.

الرواية الرابعة: ما قد يستدل به على نجاسة الفأر، وهي صحيحة علي بن جعفر عن أخيه موسى ع قال: "سألته عن الفارة الرطبة قد وقعت في الماء فتمشي على الشياب، أيصلى فيها؟ قال: «اغسل ما رأيت من أثراها، وما لم تره انضجحه بالماء»^(٤٣)، ولكنها معارضة بما دلّ على طهارة الفأرة، منه صحيحته الأخرى عن أخيه موسى بن جعفر ع في حديث - "سألته عن فأرة وقعت في حبّ دهن وأخرجت قبل أن تموت، أيبيعه من مسلم؟ قال: «نعم، ويدهن منه»^(٤٤)، فإنها ظاهرة بحسب إطلاقها اللغطي والمقامي في طهارة الفأرة، فلا بدّ من حمل ما دلّ على نجاستها على رجحان التنزّه عنها، وهذه الرواية وإن كانت ضعيفة بنقل الشيخ ع في التهذيب؛ لعدم وجود طريق له إلى العمري الرواية عن علي بن جعفر لا في مشيخة التهذيب ولا في غيرها، إلا أن الشيخ ع نقلها في الاستبصار عن علي بن جعفر، وطريقه إليه معتبر، وإن اشتمل على أحمد بن محمد بن يحيى، فإنه ثقة؛ لأنّه من معاريف الطائفة الذين لم يرد فيهم قدح، وكلّ من كان حاله كذلك كشف ذلك عن حسن ظاهره، وحسن الظاهر كاشف عن الوثاقة عرفاً وشرعياً.

الرواية الخامسة: ما قد يستدل به على نجاسة الوزغة، وإن تقدّم عدم قيام

دليل معتبر على كونها من المسوخ، وهي صحيحة معاوية بن عمار، قال: "سألت أبا عبد الله عليه السلام عن الفارة والوزغة تقع في البئر، قال: «يُنْزَحُ مِنْهَا ثلَاثَ دَلَاءٍ»^(٤٥)، ولكن في مقابله صحيحة علي بن جعفر المتقدمة عن أخيه موسى بن جعفر عليه السلام - في حديث - قال: "سألته عن العظاية والمحية والوزغ يقع في الماء، فلا يوت، أيتووضأ منه للصلوة؟ قال: «لَا بِأَسْبَابِهِ»^(٤٦)، فيحمل الأمر بالنزح على رجحان التنزيه عن ملاقي الوزغ، وربما يرشد نزح ثلث دلاء إلى عدم النجاسة؛ إذ لو كانت الوزغة نجسة لوجب نزح قام الماء الملاقي، وهذا كله بناء على عدم اعتصام ماء البئر، وإنما كان الحال أوضح تجاه ما دل على نزح ثلث دلاء لوقوع الوزغة، وأنه محض تنزيه.

وجملة القول أن ما دل على نجاسة المذكورات إما ضعيف سندًا، وإما لا عامل بها من الطائفة، وإما معارضة بما هو أظهر منها في الطهارة، ولو تنزلنا إلى القول بالتكافؤ فحليف الجميع التساقط، والرجوع هو أصلالة الطهارة. فالمتحصل أنه لم ينهض دليل على نجاسة شيء من المسوخ.

المطلب الثاني: في حرمة أكل لحومها:

يدل على حرمتها - بعد ظهور الاتفاق^(٤٧) - جملة من الروايات، منها صحيحة الحسين بن خالد وعموم التعليل في موثقة عمار، وقد تقدمتا، ومنها موثقة سماعة بن مهران عن أبي عبد الله عليه السلام - في حديث - قال: «وَحَرَمَ اللَّهُ وَرَسُولُهُ الْمَسْوُخُ جَمِيعًا»^(٤٨). ويؤيد ذلك روایتنا سليمان الجعفري وحبابه الوالبي المتقدمان. وأما ما في المستند من أن الدليل على الحرمة هي المستفيضة بل المتوترة معنى^(٤٩) - ف محل منع؛ إذ أن الاستفاضة لروايات حرمة المسوخ فضلاً عن توادرها أمر غير بین. نعم الروايات الواردة في المسوخ عموماً كما أفيد، لا المتعرضة لخصوص حرمتها.

ثم إنَّه لا يعارض روايات الحرام ما دلَّ من الروايات على أنَّ الحرام ما حرم الله في كتابه، كصحيفة محمد بن مسلم عن أبي جعفر عَلَيْهِ الْكَلَمُ ثُمَّ سُئلَ عن سباع الطير والوحش، حتى ذكر له القنافذ والوطواط والحمير والبغال والخيل، فقال: «ليس الحرام إلا ما حرم الله في كتابه»، وقد نهى رسول الله عَلَيْهِ الْكَلَمُ يوم خير عنها (عن أكل لحوم الحمير)، وإنما نهاهم من أجل ظهورهم أن يفنوه، وليس الحمر بحرام، ثم قال: اقرأ هذه الآية: ﴿قُلْ لَا أَجِدُ فِي مَا أُوحِيَ إِلَيَّ مُحَرَّمًا عَلَى طَاعِمٍ يَطْعَمُ إِلَّا أَنْ يَكُونَ مَيْتَةً أَوْ دَمًا مَسْفُوحًا أَوْ لَحْمَ حِنْزِيرٍ فِتَّاهُ رِجْسٌ أَوْ فِسْقًا أَهْلَ لِغَيْرِ اللَّهِ بِهِ﴾^(٥١)، (نعم لا يعارضها ذلك)، لأنَّ المراد بالحرام -على ما ذكره الفاضل الهندي قيَّثَ - ما هو بمعنى الفريضة بأحد معانيها، وهو ما نُصَّ في الكتاب على تحريمه^(٥٢)، وهذا لا ينافي ثبوت النهي والحظر من المعصوم عَلَيْهِ الْكَلَمُ لبعض العناوين كالمسوخ والسباع. وقد سبق مني بحث روايات «إنما الحرام ما حرم الله في كتابه» بنحو مستقل^(٥٣).

فالتحصل حرمة لحوم المسوخ.

المطلب الثالث: في مانعيتها من صحة الصلاة فيها:

قد دلت مرفوعة محمد بن إسماعيل إلى أبي عبد الله عَلَيْهِ الْكَلَمُ قال: «لا تجوز الصلاة في شعر ووبر ما لا يؤكل لحمه؛ لأنَّ أكثرها مسوخ»^(٥٤). على مانعية المسوخ من صحة الصلاة فيها؛ إذ قد عللَت العدم بالأمر الوجدي.

ثم إن مقتضى التعليل فيها حمل ما دلَّ على مانعية عنوان (ما لا يؤكل) عن صحة الصلاة، كما في ذيل موثقة ابن بكر الآتية: «وإن كان غير ذلك مما قد نهيت عن أكله، وحرم عليك أكله فالصلاحة في كل شيء منه فاسد، ذكَاه الذبح (الذابح) أو لم يذكُه» على ما دلَّ على المنع من الصلاة في جملة من الحيوانات المحرمة الأكل، كالثعالب^(٥٥)، والسمور^(٥٦)، بأن يكون عنوان (ما لا يؤكل) قد لوحظ مرأة إلى

الحيوانات المحرّمة بعناؤينها، دون أن يكون لعنوان (ما لا يؤكل) موضوعية في المانعية.

ولكن لما كانت المرفوعة ساقطة سندًا فعنوان (ما لا يؤكل) هو موضوع المانعية، فمانعية المسوخ من صحة الصلاة لا لعنوانه، بل لكونها من أفراد عنوان (ما لا يؤكل) -كما اتضح من المطلب الثاني.-

مع أن الظاهر -كما أفاد الحقيق النائي قيئنـ - كون قوله عَلَيْهِ الْحَمْدُ وَالسَّلَامُ: «لأن أكثرها مسوخ» علةً للتشريع لا علة للحكم، ومن المعلوم أن الحكم في باب علل التشريع لا يدور مدارها، بل يطرد ولو في غير موردها^(٥٧).

المطلب الرابع: في وقوع التذكرة عليها وعدمه:

المسوخ إما ألا تكون له نفس سائلة كالعقرب والجرّي، فهذه لا تقع عليها التذكرة؛ إذ لا أثر لها بالنسبة إلى هذا القسم من المسوخ لا من حيث الحلية؛ فإنه محرّم الأكل على كلّ حال -كما سلفـ، ولا من حيث الطهارة وجواز البيع؛ لأن ميتته ظاهرة، هذا إذا قلنا بأن المنوع عن بيته خصوص الميّة النجسة، وإلا فلتذكرة أثر، كما تقدّم.

وإما أن تكون له نفس سائلة، فإن لم تكن من نجس العين ولا من الحشار فقد قال في الجوادر: "والمشهور على ما قيل: إنه لا تقع عليها الذكرة، خصوصاً مع ملاحظة القائل بنجاستها كالشيخ والديلمي وابن حمزة، وقال المرتضى، ووافقه الشهيد: تقع عليها الذكرة، بل في (غاية المراد) نسبة إلى ظاهر الأكثر، بل في (كشف اللثام) إلى المشهور"^(٥٨)، وكيف ما كان أمر الشهرة، فيقع الكلام في قابلية المسوخ للتذكرة في مبحثين:-

الأول: في الأصل الأوّلي عند الشك في القابلية:

قد يقال: إن الأصل هو أصالة عدم التذكية، أعني استصحاب عدم تتحققها، إن قلنا بأن التذكية أمر بسيط، وهو صفة خاصة تحدث في الحيوان من أسباب معينة، مثل الذبح الخاص والنحر كذلك وغيرهما من الأسباب، فهذا الأمر البسيط لا محالة مسبوق بالعدم حال حياة الحيوان فيستصحب، أو قلنا بأنها مركبة من فري الأوداج الأربع بالحديد ومن قابلية الملح للتذكية، فإن القابلية -حسب الفرض- مشكوكة، فيتنقح موضوع الاستصحاب وإن فُرِيت أوداجه، وأما إذا قلنا بأن التذكية عبارة عن خصوص فري الأوداج بالحديد المستفاد من قوله عليه السلام: «بلى» في رواية علي بن أبي حمزة قال: "سألت أبا عبد الله عليه السلام أو أبا الحسن عليه السلام عن لباس الفراء والصلاحة فيها؟ فقال: «لا تصل فيها إلا ما كان منه ذكياً"، قال: قلت: أو ليس الذكي مما ذكي بالحديد؟ قال: «بلى، إذا كان مما يؤكل لحمه.." ^(٥٩)، فلا شك عندنا في التذكية؛ لعلمنا بوقعها على الحيوان، فلا موضوع لأصالة عدم التذكية.

ولكن الذي ينبغي أن يقال ما يلي: إن قلنا إن القابلية المعتبرة في الحلية مرجعها إلى مانعية أمر وجودي كالسبعينية مثلاً فالمقام من قبيل الشك في المانع، ومقتضى استصحاب عدم الأزلي عدمه، وإن قلنا إن القابلية المعتبرة مرجعها إلى اشتراط خصوصية وجودية في الحيوان كالغنميه والأهلية ونحو ذلك فيختلف حينئذ جريان الأصل باختلاف حقيقة التذكية، فإن قلنا إنها المسبب الشرعي أو التكويني عن الذبح جرى استصحاب عدمها عند الشك فيها؛ للشك في القابلية، وإن قلنا إنها عنوان منتزع من حكم الشارع بالحلية والطهارة لم يجر استصحاب عدمها؛ للشك في منشأ انتزاعها، فتجري أصالتا الطهارة والحل، ومع جريانهما لا وجه لجريان استصحاب عدم التذكية؛ إذ الأصل الجاري في منشأ الانتزاع سابق

رتبة على الأصل الجاري في نفس العنوان المتنزع، وإن قلنا إنها عبارة عن عنوان مجعل شرعاً بازاء الذبح الخارجي فلا شك حينذ في التذكية؛ لتحققها، وإنما الشك في **الحلية** والطهارة، ومقتضى أصالتهم ثبوتها، إلا أن تكون القابلية المشكوكة خصوصية وجودية؛ إذ أن استصحاب عدمها حاكم على أصالي الطهارة والحل، وإن قلنا إنها عبارة عن نفس العمل الخارجي فتارة يقع الشك في القابلية على نحو الشبهة المفهومية، وأنها مثلاً عبارة عن الغنمية المفقودة في الأربن، أو الأهلية الموجودة فيه، والجاري حينئذ أصالة الطهارة والحل؛ لعدم جريان الاستصحاب في الشبهة المفهومية، وتارة يقع الشك في القابلية على نحو الشبهة الموضوعية، وأنها موجودة في الأربن أم لا، فإن كانت التذكية مركبة من الذبح الشرعي والقابلية - جرى استصحاب عدم القابلية أولاً، وكان حاكماً على أصالي الطهارة والحل، وإن كانت التذكية هي الذبح المقيد بالقابلية فإنه يجري استصحاب عدم تحقق المقيد نفسه، وهو حاكم على الأصالتين.

الثاني: ادعى أن أصالة عدم التذكية -على تقدير جريانها- محكومة بالعمومات الدالة على قابلية كل حيوان للتذكية، فالأصل الثانوي الحاكم هو أصالة القابلية المزبورة^(٦)، وما يمكن الاستدلال به لها ما يلي من الروايات:-

الأولى: صحيحة علي بن يقطين قال: "سألت أبا الحسن عليه السلام عن لباس الفراء والسمور والفنك والشعالب وجميع الجلود؟ قال: «لا بأس بذلك»^(١). بتقرير أن معنى نفي الباس في جميع الجلود أنه لا مانع من لبسها مطلقاً ولو في حال الصلاة، فتدل بالدلالة الالتزامية على تذكيتها؛ إذ لو لم تكن كذلك لم يجز لبسها، إما مطلقاً لو قلنا بعدم جواز الاتتفاق بالميزة، أو في خصوص حال الصلاة. وكل ما ثبت من الخارج عدم قابليته للتذكية يكون خارجاً بالتخصيص عن العموم المذكور^(٦).

وقد أورد على الاستدلال بها بإيرادين:



الإيراد الأول: أنه إذا بني على عدم حرمة الانتفاع بالميّة في غير حال الصلاة لا يتم هذا الاستدلال؛ لوضوح أن النظر في السؤال والجواب إلى لبس تلك الأشياء من حيث الجواز التكليفي والحرمة، ولا نظر إلى الجواز الوضعي لاستعمالها في الصلاة. وهذا حكم الإمام عاشور بنفي البأس مع أن جملة من العناوين المأكولة في مورد السؤال مما لا يؤكل لحمه، وهو مما لا تجوز الصلاة فيه على أيّ حال ولو كان قابلاً للتذكرة^(٦٣).

الثاني^(٦٤): أن الرواية المذكورة تدل على جواز استعمال كل الجلود، ولا شك في أن دليل عدم جواز استعمال غير المذكى يكون مختصاً بذلك العموم، فإذا شك في كون حيوان مذكى أو لا؛ للشك في قابلية للتذكرة كان شبهةً مصداقية لذلك العموم، فمن يقول بعدم جواز التمسك بالعام في الشبهة المصداقية مطلقاً لا يكتبه أن يتمسك في المقام بالعام لنفي عنوان المخصص عن الفرد المشكوك.

نعم من يرى جواز التمسك بالعام في الشبهة المصداقية فيما إذا كانت الشبهة المصداقية للعام شبهةً حكمية في نفسها جاز له التمسك به؛ لأن الشك في قابلية الحيوان للتذكرة في المقام شبهة حكمية في نفسها، وإن كانت شبهة مصداقية بلحاظ العام المخصص.

وي يكن أن يقال أيضاً: إنما لا يجوز التمسك بالعام في الشبهة المصداقية إذا لم يكن بيان المصدق من وظيفة الشارع، وإلا كان العام حجةً في الفرد المشكوك؛ لأن دليل التخصيص إنما يعارض العام إذا كان عنوان الخاص منطبقاً على عنوان العام، ومقتضى العام عدم الانطباق؛ لأنه يدل بالتطابق على ثبوت حكم العام في كل فرد، ويدل بالالتزام على نفي عنوان الخاص عن كل فرد. وهذه الدلالة الالتزامية وإن لم تكن حجةً في إثبات ذلك إذا كان خارجاً من وظيفة الشارع، لكنها حجةً إذا كان النفي من وظائفه، فإن كان الشك في التذكرة من جهة الشك

في وجود السبب الشرعي يكون المرجع أصلالة عدم التذكية، وإن كان من جهة وجود القابلية التي من وظائف الشارع بيانها، فالتمسّك بعموم الصحيح ونحوه لإثباتها في محله، نعم يختص الصحيح ونحوه بالحيوانات ذوات الجلود، فيبقى غيرها على مقتضى الأصل.

وببيان هذا كالتالي: أنه إذا ورد على خطاب العام مخصوص منفصل ثبت للعام دلالة التزامية بأن الفرد المشكوك ليس من أفراد عنوان المخصوص، وهذه الدلالة الالتزامية لا تكون معتبرة إلا إذا كان أفراد المخصوص من وظيفة الشارع، كما إذا ورد (كل ماء مطهرٌ من الحدث والخبيث)، وورد في خطاب منفصل بأن (الماء المتنجس لا يرفع حدثاً ولا خبثاً)، وشكٌ في ماء أنه متنجس أم لا بالشبهة الحكمية، كما إذا شك في أن العسالة التي يتعقبها ظهارة الحال متنجسة أم لا، ففي مثل ذلك يتمسّك بما دل على مطهريّة كل ماء لإثبات أن العسالة المزبورة ليست من المتنجس، وإذا كان للمشكوك بكونه مصداقاً للعنوان المخصوص جهتان، يكون في إحدى جهتيه بيانها من وظيفة الشارع، ولم يكن بيان جهته الأخرى وظيفته، فيتمسّك بذلك الدلالة الالتزامية فيما إذا كان الشك في جهته التي وظيفة الشارع بيانها.

والأمر في المقام من هذا القبيل؛ لأن صحة علی بن يقطين الداللة على عدم البأس بجميع الجلود مخصوصة بخطاب النهي عن الانتفاع ولبس الميّة، والحيوان المشكوك كونه من الميّة فيه جهتان، إحداهما: هل قطعت أوداجه أم لا؟ والثانية: أن نوعه قابل للتذكية أم لا، وإذا شك فيه من الجهة الأولى فلا يجوز فيه التمسّك بالدلالة الالتزامية للصحيحة بأنه ليس من الميّة، وإذا شك في كونه ميّة من جهة كون نوعه قابلا للتذكية، فيتمسّك بذلك الدلالة وإثبات أنه مع قطع أوداجه إلى القبلة وذكر اسم الله عليه ليس ميّة.

وأورد عليه بأنه لا وجوب لعدم اعتبار الدلالة الالتزامية مع ثبوتها، إلا أن عدم اعتبارها؛ لعدم ثبوتها أصلاً، حيث إن حكم العام بعد ورود خطاب المخصوص لا يكون بحسب المفهوم العرفي لنفس العام، بل يتقيّد موضوعه بما ليس فيه عنوان المخصوص، فإذا ورد (لا تكرم الفساق من العلماء) بعد خطاب (أكرم كلّ عالم) يكون الموضوع بطلب الإكرام العام المسلوب عنه عنوان الفاسق، فيكون صدقه على المشكوك غير محرز، فلا يثبت له الحكم إلا إذا جرى الأصل في ناحية عدم عنوان الخاص^(٦).

وما ذكر تامًّا لو كان العام في مقام بيان المقتضي أي أن كلّ عالم مقتضي لوجوب الإكرام ما لم يمنع مانع؛ إذ أنه والحالة هذه ليس له دلالة التزامية على نفي المانع؛ لعدم كونه في مقام البيان من هذه الجهة. فإذا ورد دليل وكان أخص منه مطلقاً كـ(لا تكرم فاسق العلماء)، وشُكَّ في الفسق مصداقاً أو حكماً فلا يجوز التمسك بالعام؛ لأن ظاهر المخصوص النظر إلى العام وتقييد موضوعه بغير الخاص، ومدلوله الالتزامي أن المولى غير متকفل في الخطاب العام للتعهد بشبوت القيد العدمي في كلّ فرد، وإنما مرجع العام لجعل الحكم على فرض ثبوت الموضوع، لا أنه متکفل بشبوته. وأما إذا كان العام في مقام بيان الوظيفة الفعلية من قام جهاته فإنَّ له مدلولاً التزامياً ينفي المانع عن وجوب إكرام كلّ عالم، وكذا إذا كان الدليل الآخر غير مخصوص، كما لو قال (لا تكرم مرتكب الكبيرة)، حيث إن النسبة بينه وبين العام عمومٌ من وجهه، وإنما قدمناه على العام لنكتة عرفية معينة، فإنه والحالة هذه ليس ناظراً لمفاد العام كي يكون دالاً على عدم تعهد المولى بشبوت الموضوع في كلّ فرد، فتبقى دلالة العام على وجдан كلّ فرد للقيد العدمي حجّةً ويؤخذ بها عند الشك في القيد على نحو الشبهة الحكمية، ومقامنا من هذا القبيل؛ فإن النهي عن الانتفاع بالمليئة أخصٌ من وجده مما دلّ على جواز

لبس جميع الجلود.

الرواية الثانية: التي يمكن الاستدلال بها على قابلية كل حيوان للتذكية، ومنه المسوخ - موثقة سماعة قال: "سألته عن جلود السباع ينتفع بها؟ قال: «إذا رميت وسميت فانتفع بجلده، وأما الميّة فلا»^(٦٦). فإن ظاهرها - بقرينة المقابلة بين ما رمي وسي على وبين الميّة - أن الترخيص في الانتفاع بالجلود إنما هو بلحاظ حصول الذكاة لها بمثل ذلك، إلا أن هذا خاص بالسباع، ومنها الدب؛ لأن له ناباً، وهو من المسوخ، - كما تقدّم في ذيل المقام الأول - ، ولكن قد يُتعدّى إلى غيرها مما ينتفع بجلده بقدر ما تساعد عليه القرائن المتصلة والمنفصلة.

الرواية الثالثة: موثقة ابن بكر قال: "سأله زرارة أبا عبد الله عاشور عن الصلاة في الشعاب والفنك والسنجاب وغيره من الوبر؟ فأخرج كتاباً زعم أنه إملاء رسول الله عليه صلوات الله عليه وآله وسلامه: «أن الصلاة في وبر كل شيء حرام أكله فالصلاحة في وبره وشعره وجلد وبروله وروثه وكل شيء منه فاسد، لا تقبل تلك الصلاة حتى يصلி في غيره مما أحل الله أكله»، ثم قال: «يا زرارة، هذا عن رسول الله عليه صلوات الله عليه وآله وسلامه فاحفظ ذلك يا زرارة، فإن كان ما يؤكل لحمه فالصلاحة في وبره وبروله وشعره وروثه وألبانه وكل شيء منه - جائز، إذا علمت أنه ذكي، قد ذاكاه الذبح، وإن كان غير ذلك مما قد نهيت عن أكله، وحرم عليك أكله فالصلاحة في كل شيء منه فاسد، ذاكاه الذبح (الذابح) أو لم يذكّه»^(٦٧). فإن قوله عاشور في ذيلها «ذاكاه الذابح أو لم يذكّه» ظاهر - كما في الجواهر - في أن الذبح تذكية لكل حيوان، - وأضاف - وكذا لو كانت الرواية (الذبح) بناء على أن المراد منه ذبح أو لم يذبح^(٦٨).

واستشكل ذلك في المستمسك بأن عدم تذكية الذابح أعم من عدم القابلية للتذكية، ولا سيما بناء على ما في بعض السنخ من قوله عاشور «ذاكاه الذبح» بدل «ذاكاه الذابح»، فإن الجمود على العبارة يقتضي أن يكون الذبح موجباً للذكاة تارة، وغير موجب لها أخرى^(٦٩).

وفيه إن الظاهر هو المقابلة بين تحقق التذكية في الحيوان خارجاً وبين عدم تتحققها، ولازمه المفروغية عن أصل القابلية لها، لأن المقابلة بين القابل للتذكية وغيره، التي لازمها عدم قبول للبعض للتذكية، وإلا لكان الأنسب أن يقال مثلاً يذكيه الذبح أو لا يذكيه، ويشهد لما ذكرناه قوله عَزَّلَهُ اللَّهُ عَزَّلَهُ: «إِنْ كَانَ مَا يُؤْكَلُ لَحْمَهُ فَالصَّلَاةُ فِي وِرْبِهِ... جَائِزٌ، إِذَا عَلِمْتَ أَنَّهُ ذَكِيٌّ، قَدْ ذَكَاهُ الذَّبْحُ» الظاهر في فعلية الذبح بعد الفراغ عن قابلية التذكية.

ولكن رغم دلالة الموثقة على المفروغية من قابلية الحيوان غير المأكول للتذكية، إلا أنه لا إطلاق لها لكل حيوان كذلك؛ لعدم كونها بصدق البيان من هذه الجهة، بل هي بصدق بيان مانعية غير المأكول من صحة الصلاة وإن كان مذكى، وأما أن كل أفراد غير المأكول قبل التذكية فلا.

والمحصلة أنه لم ينهض شيء من الروايات على قابلية المسوخ للتذكية، ولو في حدود ذوات الجلود التي يمكن الانتفاع بها، نعم ما كان من المسوخ فرداً من السباع كالدب فهو قابل لها؛ لتمامية دلالة بعض الروايات -كموثقة ساعة- على قابلية مطلق السباع للتذكية فيما إذا كانت ذوات جلود يمكن الانتفاع بها.

نعم دلت جملة من الروايات على قبول الشعلب والأرنب للتذكية^(٧٠)، كما تقدّمت الإشارة إلى ذلك في المطلب الأول.

ثم إن كانت المسوخ ذات النفس السائلة من الحشار، وهي الدواب التي تسكن باطن الأرض كالضب والفار، فلا تقع عليها التذكية؛ لاختصاص الدليل على تقدير قائمته بذوات الجلود المنتفع بها، فلا يتناول مثل الضب والفار، وكذا لا يقبل التذكية ما كان من المسوخ نجس العين كالخنزير؛ فإن لحمه وجلدته بعد الذبح مثلاً -على النجاسة، فلا أثر للتذكية.



المطلب الخامس: في جواز المعاوضة عليها وعدمه:

فالمشهور حرمة بيع المسوخ^(٧١)، بل ادعى في المبسوط الإجماع عليها وعلى حرمة الانتفاع بها واقتنائها، وذكر بأن عدم جواز بيعها لنجاستها^(٧٢) - كما تقدم في المطلب الأول -، وفي الخلاف: "دليلنا - يعني على حرمة بيعها - إجماع الفرقـة، وأيضاً قوله عليه صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّدَ اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «إِنَّ اللَّهَ تَعَالَى إِذَا حَرَّمَ شَيْئاً حَرَّمَ ثُمَّنَهُ»^(٧٣) .

فوجوه حرمة بيعها أربعة:-

١- دعوى الإجماع على حرمة البيع.

٢- دعوى الملازمة بين حرمة أكلها وبين حرمة بيعها.

٣- دعواها بين نجاستها وبينها.

٤- دعواها بين حرمة الانتفاع بها وبين حرمة البيع وضعاً؛ إذ أن حرمة الانتفاع بها المؤذنة بأن لا نفع فيها - تستلزم نفي ماليتها التي لا بد منها في تحقق البيع.

وهذه الوجوه أجمع غير تامة:

أما الوجه الأول، وهو الإجماع المدعى؛ فلعدم كشفه عن رأي الموصوم عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بعد استناده إلى الوجوه الثلاثة الأخرى أو بعضها، فهو ليس إجماعاً تعبدياً بل هو محتمل المدركيـة.

وأما الوجه الثاني؛ فلم يمنع الملازمة بين حرمة أكل شيء وحرمة البيع؛ إذ لا دليل على ذلك، وأما النبوـي باللفظ المتقدم أو بهذا اللفظ: «...إِنَّ اللَّهَ تَعَالَى إِذَا حَرَّمَ عَلَى قَوْمٍ أَكْلَ شَيْءاً حَرَّمَ عَلَيْهِمْ ثُمَّنَهُ»^(٧٥) ، فإنه ساقط عن الحاجـة؛ لخروج أكثر أفراده من تحت إطلاقه، فإنـا نعلم بأن أعيانـاً كثيرة رغم حرمة أكلها يجوز بيعها، وضربـ قانون لا يبقى تحته - رغم سعته - إلا النـزـرـ الـيـسـيرـ مستـهـجـنـ عـرـفـاًـ،ـ علىـ أنـ نـقلـهـ بـنـحـوـ مـرـسـلـ،ـ وـلـاـ جـابـرـ لـهـ؛ـ فـإـنـ الـاتـفـاقـ مـنـ الفـرـيقـيـنـ عـلـىـ عـدـمـ الـعـلـمـ

بإطلاقه.

وأما الوجه الثالث؛ فلمنع الملازمة بين النجاسة وحرمة البيع، ولو سُلِّمنا الملازمة فالملزم -أعني نجاسة المسوخ- منوع، ولو في الجملة -كما تقدم في المطلب الأول.-

وأما الوجه الرابع؛ فلأنه لئن سُلِّمت الكبri وأن حرمة الانتفاع تستلزم نفي المالية التي هي شرط في صحة البيع، إلا أَنَّا لا نسلِّم الصغرى؛ فإنه لا دليل على حرمة الانتفاع بالمسوخ، ولا ملازمة بين حرمة أكلها وحرمة ما سوى الأكل من أوجه الانتفاع بها، بل قام الدليل على جواز بيع بعضها، وهو ما ورد من جواز بيع عظام الفيل، كما في معتبرة عبد الحميد بن سعيد (سعد) قال: "سألت أبا إبراهيم عليه السلام عن عظام الفيل يحلّ بيعه أو شراؤه الذي يجعل منه الامساط؟ فقال: «لا بأس، قد كان لي منه مشط أو أمساط»^(٧٦). وعبد الحميد وإن لم يرد فيه توثيق بالخصوص، إلا أنه من روى عنه صفوان بن يحيى، بل هو راوية كتابه^(٧٧)، وإن كان ما نُقلَ في الكتب الأربعية من روايته لا يتجاوز أصابع اليad الواحدة، وكبri وثاقة من روى عنه صفوان بإكثارٍ -تامةً.

كما قام الدليل على جواز الانتفاع بالعاج -مضافاً إلى المعتبرة المزبورة- وهو صححه زرارة عن أبي عبد الله عليه السلام قال: "سألته عن الإنفحة تخرج من الجدي المبيت، قال: «لا بأس به»، قلت: اللبن يكون في ضرع الشاة وقد ماتت؟ قال: «لا بأس به»، قلت: والصوف والشعر وعظام الفيل والمجلد والبيض يخرج من الدجاجة؟ فقال: «كُلٌّ هذا لا بأس به»^(٧٨)، ويفيد ست روايات أوردها في الوسائل معونة بـ"باب استحباب التمشط بالعاج"^(٧٩).

والنتيجة أنه لم يقم دليل على حرمة بيع المسوخ أو الانتفاع بها، بل قام الدليل على جوازهما في الجملة.



نعم دلت بعض الروايات على حرمة بيع القرد، وهي روايتان:-
إحداهما: رواية مسموع عن أبي عبد الله عَلَيْهِ الْكَلَمُ نَهَا عن القرد أن يشتري وأن يباع^(٨٠)، وهذا النهي ظاهر في الإرشاد إلى فساد المعاملة، ومقتضى إطلاقها يشمل ما لو قصد به الانتفاع الحلال أيضاً لحفظ المtau، إلا أن الرواية ضعيفة سندًا بالأصل وابن شمون.

الثانية: رواية الجعفريات بإسناده عن جعفر بن محمد عن أبيه عن جده علي بن الحسين عن أبيه عن علي بن أبي طالب عَلَيْهِ الْكَلَمُ نَهَا قال: «من السحت ثمن الميتة - إلى أن قال - وثمن القرد...»^(٨١)، واحتمال الخصوصية للفرد قائم لا نافي له عرفاً، فلا يتعدى من القرد إلى غيره من المسوخ. ويبقى الكلام في جهة السندي، فقد قال في الجوادر في كتاب الأمر بالمعروف: "بل الكتاب المزبور-يعني الجعفريات ويسمى الأشعريات- على ما حكي عن بعض الأفضل ليس من الأصول المشهورة، بل ولا المعتبرة، ولم يحكم أحد بصحته من أصحابنا، بل لم تتواءر نسبته إلى مصنفه، بل ولم تصح على وجه تطمئن النفس بها، ولذا لم ينقل عنه العر في الوسائل ولا المجلسي في البحار مع شدة حرصهما -خصوصاً الثاني- على كتب الحديث، ومن البعيد عدم عثورهما عليه، والشيخ والنجاشي وإن ذكرنا أن مصنفه من أصحاب الكتب، إلا أنهما لم يذكرا الكتاب المزبور بعبارة تشعر بتعينه، ومع ذلك فإن تتبعه وتتبع كتب الأصول يعطيان أنه ليس جاريًا على منوالها، فإن أكثره بخلافها، وإنما تطابق روايته في الأكثرية رواية العامة إلى آخره^(٨٢).

بيان ما قاله من أن الشيخ والنجاشي لم يذكرا كتاب الجعفريات بعبارة تشعر بتعينه: أن كتاب محمد بن محمد الأشعري -الذي وثقه النجاشي، وقال: "له كتاب العج، ذكر فيه ما روتة العامة عن جعفر بن محمد عَلَيْهِ الْكَلَمُ نَهَا في العج"^(٨٣)- لم يصل إلينا، ولم يذكره الشيخ في الفهرست، وهو لا ينطبق على ما هو موجود عندنا؛ فإن

الكتاب الموجود بآيديينا مشتمل على أكثر أبواب الفقه، وذلك الكتاب في الحج خاصة، وفي خصوص ما روتة العامة عن جعفر بن محمد عليهما السلام. وأما ما ذكره النجاشي والشيخ في ترجمة إسماعيل بن موسى بن جعفر عليهما السلام من أن له كتاباً يرويها عن أبيه عن آبائه عليهما السلام، منها كتاب الطهارة إلى آخر ما ذكراه^(٨٤)، فهو لا ينطبق على ما هو موجود بآيديينا؛ فإن الموجود بآيديينا مشتمل على كتاب الجهاد وكتاب التفسير وكتاب النفقات وكتاب الطب والمأكول وكتاب غير مترجم، وهذه الكتب غير موجودة فيما ذكره النجاشي والشيخ، وكتاب الطلاق موجود فيما ذكراه وغير موجود فيما هو عندنا، فلم يثبت الاتحاد، حيث إنه لا طريق لنا إلى إثبات ذلك.

ولو تجاوزنا كل ذلك ولو لأجل ما ذكره المحدث النوري عليهما السلام في اعتباره^(٨٥)، إلا أن في طريق الكتاب -رغم اتصاله وعدم إرساله- موسى بن إسماعيل، وهو موسى بن إسماعيل بن موسى بن جعفر عليهما السلام نزيل مصر، ولم يرد فيه توثيق صريح، وقد ذكرت جملة وجوه لوثاقته، نعرضها ونبين ما فيها:-

الأول^(٨٧): ويتألف من مقدمتين:

أ- ذكر ابن الغضائري عليهما السلام في حق سهل بن أحمد الديباجي: "إنه كان يضع الأحاديث، ويروي عن المجاهيل، ولا بأس بما يروي من الأشعثيات، وما يجري مجرها مما رواه غيره"^(٨٨).

ب- أن طريق الكتاب منحصر بطريق موسى بن إسماعيل، فنفي البأس عن الكتاب من قبل ابن الغضائري توثيق ضمفي لرواته، ومنهم موسى بن إسماعيل. ويأتي على هذا الوجه -رغم جودة مقدمته الثانية- المناقشة في انتساب الكتاب الذي ينقل عنه العلامة عليهما السلام وغيره إلى ابن الغضائري.

الوجه الثاني: استفادة ذلك مما قاله السيد ابن طاووس في الإقبال، بناءً على

اعتبار توثيقات المؤخرین، وإليك عبارته: ”في تعظيم التلفظ بشهر رمضان رأیت ورویت من(في) كتاب الجعفریات، وهي ألف حديث بإسنادٍ واحدٍ عظیم الشأن، إلى مولانا موسى بن جعفر عليهما السلام، عن مولانا جعفر بن محمد، عن مولانا محمد بن علي، عن مولانا علي بن الحسين، عن مولانا الحسين، عن مولانا علي بن أبي طالب صلوات الله عليهم أجمعین قال: لا تقولوا رمضان...، وهذا الحديث وقف فيه الإسناد في الأصل عن مولانا صلوات الله عليه، وقد روينا في غير هذا، أن كلّ ما روی عن مولانا علي فهو عن رسول الله عليه وآله“^(٨٩).

ويرد على هذا الوجه أن توصیف إسناد الكتاب بأنه عظیم الشأن قد يكون بلحاظ اشتماله على سلسلة المعصومین من لدن الكاظم عليهما السلام إلى أمیر المؤمنین عليهما السلام، وقد يشهد لذلك ما ذیل به كلامه.

الوجه الثالث: استفاداة توثیق أو حسن عامٌ لأولاد أبي الحسن موسى عليهما السلام مما قاله الشيخ المفید عليهما السلام في الإرشاد في باب عدد أولاده: ”ولكلّ واحدٍ من ولد أبي الحسن موسى بن جعفر عليهما السلام فضلٌ ومنقبة مشهورة“^(٩٠).

وفيه أنه وإن كان من غير البعید وجود ملازمة عاديّة بين كون الراوی بتلك المنابة وبين وثاقته، إلا أن عبارۃ المفید عليهما السلام خاصة بالأولاد المباشرين لأبي الحسن موسى عليهما السلام؛ فإنه -بعد أن عدّهم بأسمائهم- ذكر تلك العبارۃ في حقّهم، والحال أن موسى بن إسماعیل حفید الإمام الكاظم عليهما السلام.

الوجه الرابع: أن موسى بن إسماعیل واقع في سند روایة في كامل الزيارات لابن قولويه عليهما السلام، وهي الروایة (١٧) من الباب (٢) في ثواب زیارة رسول الله عليه وآله وسالم.

ويرد عليه عدم تمامیّة كبری وثاقته من وقع في أسناد روایات الكامل، لأنّ قصور عبارۃ الدیباجة عن تناول غير المشايخ المباشرين لصاحب الكامل، بل لظهور عبارۃ الدیباجة في روایته بواسطة بعض مشايخه عمن ثبت ضعفه،

وإليك عبارته: لكن ما وقع لنا من جهة الثقات من أصحابنا رحمهم الله برحمته،
ولا أخرجت فيه حديثاً رويا عن الشذوذ من الرجال يؤثر ذلك عنهم عن المذكورين
غير المعروفين بالرواية المشهورين بالحديث والعلم^(٩١)، فإن الظاهر من ذيلها أنه تتفق
روايته عن الشذوذ من الرجال، ولكن بواسطة الثقات من أصحابنا المعروفين
بالرواية المشهورين بالحديث والعلم. والنتيجة أن رواية الجعفريات وإن كانت
ظاهرة الدلالة على حرمة بيع القرد، إلا أن عدم ثبوت وثافة موسى بن إسماعيل
الواقع في طريق الكتاب يحول دون الاعتماد عليها وعلى غيرها من روایات
الكتاب.

إذن لم ينهض دليل على فساد بيع القرد^(٩٢)، فلم يقم دليل على حرمة بيع المسوخ وفساده مطلقاً.

وَالْحَمْدُ لِلّٰهِ أَوَّلًا وَآخِرًا، وَصَلَّى اللّٰهُ عَلٰى مُحَمَّدٍ وَآلِهِ.

المواهش:

- (١) وسائل الشيعة: ٢٤ ب ٢ من أبواب الأطعمة المحرّمة ح ١٠٨.

(٢) جواهر الكلام: ٦، ٨٢، ٨٣.

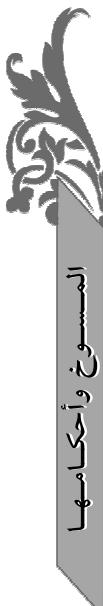
(٣) فالوطواط هو الخفافش.

(٤) بحار الأنوار: ٦٢، ٢٣٠.

(٥) مستند الشيعة: ١٥، ١٠١ - ١٠٠.

(٦) ولكن في المطبوع من (كشف الغطاء): ١٧٤ (العنقاء) لا (العييفيقا)، وفي الفقيه: ٣٣٦ (البقاء)، وفي حاشيته: "كذا في بعض النسخ، وفي بعضها (العييفيقا)، وفي بعضها: (العييقينا) بالقافية، وفي بعضها: (البباء)، وفي بعضها: (العييفيقا)، وكل ذلك مصحّح ظاهراً، وقيل: الصواب (العنقاء)، وقيل: الصواب (القعنابة) أو (العنقاء) وصفان للعقاب، وصحف لمشاكلة الخط وعدم دقة النساء وتصرّفهم".

(٧) من لا يحضره الفقيه: ٣، ٣٣٦.



- (٨) جواهر الكلام: ٨٣.
- (٩) وسائل الشيعة: ٢٤ ب ٢ من أبواب الأطعمة المحرّمة ح ١.
- (١٠) وسائل الشيعة: ٢٤ ب ٢ من أبواب الأطعمة المحرّمة ح ٢.
- (١١) وسائل الشيعة: ٢٤ ب ٢ من أبواب الأطعمة المحرّمة ح ٤.
- (١٢) وسائل الشيعة: ٢٤ ب ٢ من أبواب الأطعمة المحرّمة ح ٦.
- (١٣) معجم رجال الحديث: ٤، ٢٥١، ٢٥٢. (١٨٥٨).
- (١٤) وسائل الشيعة: ٢٤ ب ٢ من أبواب الأطعمة المحرّمة ح ٧.
- (١٥) علل الشرائع: ٢، ٢٨٦ - ٢٨٥ ب ٢٣٩.
- (١٦) جواهر الكلام: ٦، ٨٢.
- (١٧) وسائل الشيعة: ٢٤ ب ٢ من أبواب الأطعمة المحرّمة ح ٨.
- (١٨) وسائل الشيعة: ٢٤ ب ٢ من أبواب الأطعمة المحرّمة ح ١١.
- (١٩) لاحظ عيون أخبار الرضا علیه السلام: ٩٥ ب ٣٣ ح ١.
- (٢٠) الإرشاد: ٢٤٧ - ٢٤٨.
- (٢١) معجم رجال الحديث: ١٧: ١٦٢ - ١٦٧.
- (٢٢) وفي العلل: ٢، ٤٨٧ ب ٢٣٩ ح ٤، والخصال: ٤٩٣ أبواب الثلاثة عشر ح ١: بدل (علي بن المغيرة) (مغيرة).
- (٢٣) وسائل الشيعة: ٢٤ ب ٢ من أبواب الأطعمة المحرّمة ح ١٢.
- (٢٤) وسائل الشيعة: ٢٤ ب ٢ من أبواب الأطعمة المحرّمة ح ١٣.
- (٢٥) وسائل الشيعة: ٢٤ ب ٢ من أبواب الأطعمة المحرّمة ح ١٤.
- (٢٦) وسائل الشيعة: ٢٤ ب ٢ من أبواب الأطعمة المحرّمة ح ١٥.
- (٢٧) معجم رجال الحديث: ١٧: (١٣٥، ١٠٩٠٠).
- (٢٨) وسائل الشيعة: ٢٤، ١١١، ١١٢ ب ٢ من أبواب الأطعمة المحرّمة ح ١٧، ١٨.
- (٢٩) وسائل الشيعة: ٢٤ ب ٩ من أبواب الأطعمة المحرّمة ح ٢٢.
- (٣٠) وسائل الشيعة: ٢٤ ب ٩ من أبواب الأطعمة المحرّمة ح ٣، ٢: ١١٦، ١١٧، ١١٧ ب ٦٧ من أبواب آداب الحمام ح ٤.
- (٣١) وسائل الشيعة: ٣، ٣٣٢ ب ١٩ من أبواب الأغسال المندوية ح ١.

- (٣٢) الدبا: الجراد قبل أن يطير، وقيل: هو نوع آخر. لسان العرب ١٤: ٢٤٨.
- (٣٣) المهرجل: شبه الجراد. كما في هامش مخطوطه الوسائل.
- (٣٤) وسائل الشيعة ٢٤: ٨٩ ب ٣٧ من أبواب الذبائح ح ٧.
- (٣٥) الميسوط (ك البيوع) ٢: ١٦٥ - ١٦٦، وما نسب إلى الشيخ قيثـ من دعوه الإجماع على نجاسته المسوخ - مستند الشيعة ١: ٢٢٦ - ليس بيته؛ فإنه - بعد أن قال بنجاستها - رتب عليها حرمة بيعها وإجارتها والانتفاع بها واقتنانها مدعياً الإجماع على الحرمة لا على النجاست، ويشهد لذلك استثناء الكلب وأن فيه خلافاً؛ فإن نجاست الكلب مما لا خلاف فيها، وإنما الخلاف في بيعه، وإليك عبارته: "إِنْ كَانَ نُجْسُ الْعَيْنِ مِثْلَ الْكَلْبِ وَالْخَزِيرِ وَالْفَأْرَةِ وَالْحَمْرِ وَالدَّمِ وَمَا تَوَالَدَ مِنْهُمْ وَجْهِيْعَ الْمَسْوَخِ، وَمَا تَوَالَدَ مِنْ ذَلِكَ أَوْ مِنْ أَحَدِهِمَا فَلَا يَحْبُوزُ بَيْعَهُ وَلَا إِجَارَتَهُ وَلَا الْأَنْتِفَاعَ بِهِ وَلَا اقْتَنَائِهِ بِحَالٍ إِجْمَاعًا إِلَّا الْكَلْبُ؛ فَإِنْ فِيهِ خَلَافًا"، كما لا موضع لاحتمال كون (وجهيـ المسوخ) في عبارة الخلاف معطوفة على (نجاست العين)، -مهذب الأحكام ١: ٤٢٠ - كما لا يخفى.
- (٣٦) الوسيلة: ٧٣.
- (٣٧) العروة الوثقى ١: ١٥٤ ط جماعة المدرسين الحشاشة بـ ١٥ تعليقة.
- (٣٨) وسائل الشيعة ٣: ٤٦٢ ب ٣٤ من أبواب التجasات ح ٣.
- (٣٩) وسائل الشيعة ١: ٢٢٦ ب ١ من أبواب الأسـ ح ٦ و ١: ٢٢٧ - ٢٢٨ ب ٢ ح ٣، ٤ و ٤: ٣٥٣ - ٣٥٤ ب ٥ من أبواب لباس المصـ ح ٦، ٤.
- (٤٠) وسائل الشيعة ٤: ٣٥٠ ب ٤ من أبواب لباس المصـ ح ٢ و ٣: ٣٥٦ - ٣٥٨ ب ٧ ح ٢، ٦، ٧ و ٩: ٣٧٧ ب ١٤ ح ٩.
- (٤١) وسائل الشيعة ١: ٢٤٠ ب ٩ من أبواب الأسـ ح ٥.
- (٤٢) وسائل الشيعة ١: ٢٤٠ ب ٩ من أبواب الأسـ ح ٦.
- (٤٣) وسائل الشيعة ٣: ٤٦٠ ب ٣٣ من أبواب التجasات ح ٢.
- (٤٤) وسائل الشيعة ١: ٢٣٨ - ٢٣٩ ب ٩ من أبواب الأسـ ح ١.
- (٤٥) وسائل الشيعة ١: ١٨٧ ب ١٩ من أبواب الماء المطلق ح ٢.
- (٤٦) وسائل الشيعة ١: ٢٣٨ - ٢٣٩ ب ٩ من أبواب الأسـ ح ١.
- (٤٧) لاحظ كفاية الأحكام: ٢٤٨، مجمع الفائدة والبرهان ١١: ١٧٤، رياض المسائل ١٣: ٣٨٩.

- (٤٨) وسائل الشيعة: ٢٤، ١٠٥ ب٢ من أبواب الأطعمة المحرّمة ح٣.

(٤٩) مستند الشيعة: ١٥، ٩٩.

(٥٠) سورة الأنعام: ١٤٥.

(٥١) وسائل الشيعة: ٢٤، ١٢٣ ب٥ من أبواب الأطعمة المحرّمة ح٦.

(٥٢) كشف اللثام: ٩، ٢٤٦.

(٥٣) بحث تلك الروايات في رسالة بعنوان (قاعدة "إنما الحرام ما حرم الله في كتابه" في الميزان)، وقد نشرت في العدد الخامس عشر من مجلة (رسالة القلم) الصادر في رجب ١٤٢٩هـ.

(٥٤) وسائل الشيعة: ٤، ٣٤٧ ب٣ من أبواب لباس المصلي ح٧.

(٥٥) وسائل الشيعة: ٣، ٣٤٨ ب٣ من أبواب لباس المصلي ح٤.

(٥٦) وسائل الشيعة: ٣، ٣٤٩ ب٣ من أبواب لباس المصلي ح٤، ٥.

(٥٧) كتاب الصلاة، تقرير بحث الميرزا النائيني فتّش بقلم الشيخ الكاظمي فتّش ١: ٢٣٦.

(٥٨) جواهر الكلام: ٣٦، ١٩٦، ١٩٧.

(٥٩) وسائل الشيعة: ٤، ٣٤٥ ب٢ من أبواب لباس المصلي ح٢.

(٦٠) بل في الحدائق: ٥٢٢، ٥٢٣: "الظاهر أنه لا خلاف بين الأصحاب (رضوان الله عليهم) فيما أعلم أن ما عدا الكلب والخنزير والإنسان من الحيوانات الطاهرة مما لا يؤكل لحمه كالسباع ونحوها تقع عليها الذكارة" وقد تعقبه في الجوهر: ٦٠ (٣٥٠) بقوله: "لم تتحققه، بل المتحقق خلافه". في إشارة إلى خلاف الشيخ والديلمي وابن حمزة كما عرفت.

(٦١) وسائل الشيعة: ٤، ٣٥٢ ب٥ من أبواب لباس المصلي ح١.

(٦٢) التنقیح في شرح العروة الوثقى (ك الطهارة) = موسوعة الإمام الخوئي فتّش ٢: ٤١٠، جواهر الكلام: ٣٦، ١٩٦.

(٦٣) بحوث في شرح العروة الوثقى: ٣، ٥٦.

(٦٤) مستمسك العروة الوثقى ١: ٢٩٢، ٢٩٣، بحوث في شرح العروة الوثقى: ٣، ٥٧. ويختص الثاني بإضافة تبدأ من (نعم من يرى...) ويختص الأول بإضافة تبدأ من (ويكّن أن يقال:...).

(٦٥) تنقیح مباني العروة (ك الطهارة) للميرزا جواد التبریزی فتّش ٢: ٥١ - ٥٢.

(٦٦) وسائل الشيعة: ٣، ٤٨٩ ب٤٩ من أبواب النجاسات ح٢.

- (٦٧) وسائل الشيعة: ٤ ب ٣٤٥ من أبواب لباس المصلي ح ١.
- (٦٨) جواهر الكلام: ٣٦: ١٩٦.
- (٦٩) مستمسك العروة الوثقى: ١: ٢٩٢.
- (٧٠) وسائل الشيعة: ٤ ب ٣٥٠ من أبواب لباس المصلي ح ٢ و ٣٥٦-٣٥٨ ب ٧ ح ٢، ٦، ٧.
- (٧١) مستند الشيعة: ١٤: ١٠١.
- (٧٢) المبسوط: ٢: ١٦٥، ١٦٦.
- (٧٣) غوالي اللئالي: ٢: ٣٢٨ ، عنه في جامع أحاديث الشيعة: ١٧: ١٧٥ ب ١٢ من أبواب ما يكتسب به ح ١٣، ونقله في البحار: ١٠٠ ح ٥٤ عن خط الشيخ محمد بن علي الجباعي حَدَّثَنَا نقلًا من خط الشهيد قدس الله روحه عن ابن عباس.
- (٧٤) الخلاف: ٣: ١٨٤ م ٣٠٨.
- (٧٥) غوالي اللئالي: ١: ١٨١ ح ٢٤٠. عنه في مستدرك الوسائل: ١٣: ٧٣ ب ٦ من أبواب ما يكتسب به ح ٨.
- (٧٦) وسائل الشيعة: ١٧: ١٧١ ب ٣٧ من أبواب ما يكتسب به ح ٢.
- (٧٧) رجال النجاشي: ٢٤٦ (٦٤٨)، عنه في معجم رجال الحديث: ١٠: ٢٩٩ (٦٢٨٤).
- (٧٨) وسائل الشيعة: ٢٤: ١٨٢ ب ٣٣ من أبواب الأطعمة المحرّمة ح ١٠.
- (٧٩) وسائل الشيعة: ٢: ١٢٢-١٢٤ ب ٧٢ من أبواب آداب الحمام ٦-٦.
- (٨٠) وسائل الشيعة: ١٧: ١٧١ ب ٣٧ من أبواب ما يكتسب به ح ٤.
- (٨١) مستدرك الوسائل: ١٣: ٦٩ ب ٥ من أبواب ما يكتسب به ح ١.
- (٨٢) جواهر الكلام: ٢١: ٣٩٨.
- (٨٣) معجم رجال الحديث: ١٨: ٢٠٠.
- (٨٤) معجم رجال الحديث: ٤: ١٠١ - ١٠٠.
- (٨٥) مستدرك الوسائل: ١٩ (الحادة): ٢٥.
- (٨٦) لاحظ للمزيد حول كتاب الجعفريات ما يلي: التنقح في شرح العروة الوثقى (ك الطهارة)= موسوعة الإمام الخوئي ت٢: ٩٢، مبني العروة الوثقى (النکاح)= الموسوعة ٣٣: ١، مصباح الفقاہۃ(المکاسب المحرّمة)= الموسوعة ٣٥: ١٧٠، مبني تکملة المنهاج=



- الموسوعة: ٢٧٥ - ٢٧، كتاب (الشهادات والحدود) تقرير بحث السيد الخوئي قتيل، بقلم الشيخ محمد الجوادري (سلمه الله) ١: ٢٣٦ - ٢٣٧، البدر الراهن: ٣١، دراسات في المكاسب المحرمة للمنتظري ١: ٣٧٢.
- (٨٧) ذكر هذا الوجه والوجهين اللاحقين له في كتاب (إيضاح الدلائل في شرح الوسائل) ١: ٦٠٣ - ٦٠٤.
- (٨٨) خلاصة الأقوال للعلامة الحلي قتيل: ١٥٩.
- (٨٩) إقبال الأعمال ١: ٢٨ - ٢٩.
- (٩٠) الإرشاد ٢: ٢٤٦.
- (٩١) كامل الزيارات: ٣٧.
- (٩٢) احتاط لزوماً بعض الأعلام بترك بيع القرد، لاحظ كلمة التقوى للشيخ الأمين قتيل (ك التجارة) ٤: ١٢ م ١٠، منهاج الصالحين للسيد محمد سعيد الحكيم (سلمه الله) ٢: ١٠ م ٩.



Resalat Alqalam

Islamic, Enlightening & Comprehensive

- General Supervisor &
Executive Manager:
Abdulla Ali Al daqaq
 - Editor in Chief:
Aziz Hassan Salman
 - Editor in Director:
Abdulraoof Hassan Alrabia
 - Chairman of the Editorial Board:
Ghazi Abdulhassan
- Editorial Board:
- husain ali abu rwais
husain fuad Almarzooq
mohammed ali khatam
m.bager khalil Alshaikh



A Periodical Magazine Issued by the
Bahraini Students
of the Educational Hawza the
Holy City of Qom

